

# الفوائد الفقهية والوعظية

## من نكات الحج والعمرة

### ولطائفهما

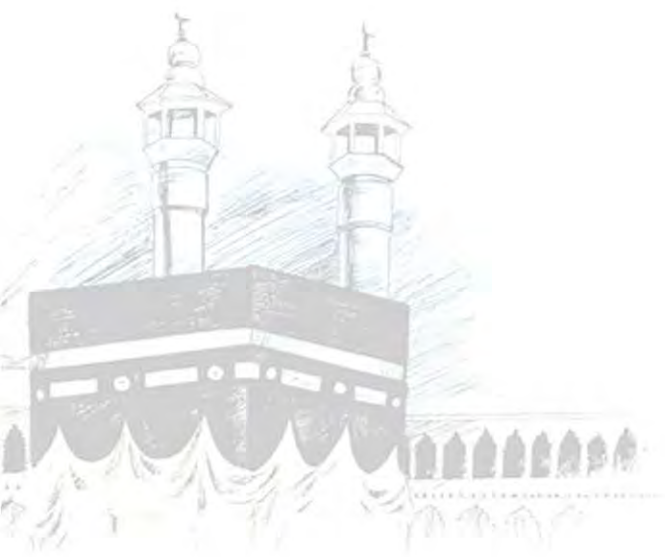


د. عَبْدَ الْمُحْمَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَامِعِ الْخُرَافِيِّ

# الفوائد الفقهية والوعظية

من نكات الحج والعمرة ولطائفهما

د. عَبْدُ الْمُحْسِنِ عَبْدَ اللَّهِ الْجَارِدِيُّ الْخُرَافِيُّ



فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

عنوان الكتاب : الفوائد الفقهية والوعظية من نكات الحج

والعمرة ولطائفهما

اسم المؤلف : د. عبدالمحسن عبدالله الجارالله الخرافي

نوع المطبوع : كتاب

عدد الصفحات : ٣٠١ صفحة .

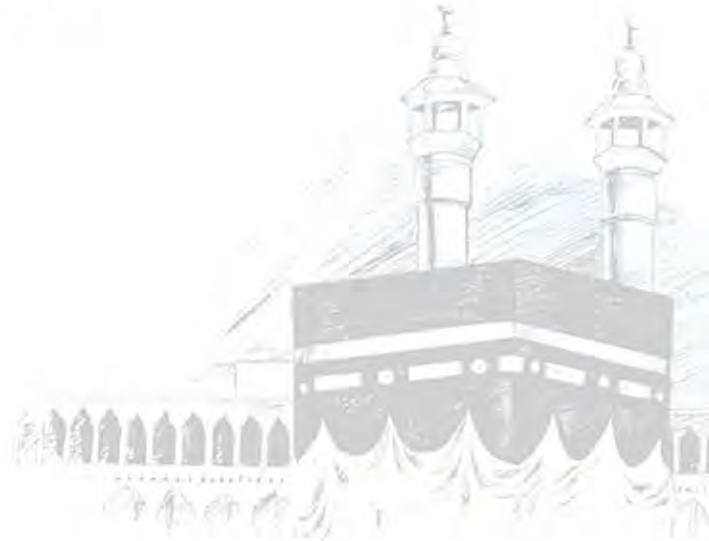
ردمك : ٣ - ١٨٦٥ - ٠ - ٩٩٢١ - ٩٧٨ - ISBN

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

[ajalkharafy@gmail.com](mailto:ajalkharafy@gmail.com)

[www.ajkharafi.com](http://www.ajkharafi.com)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

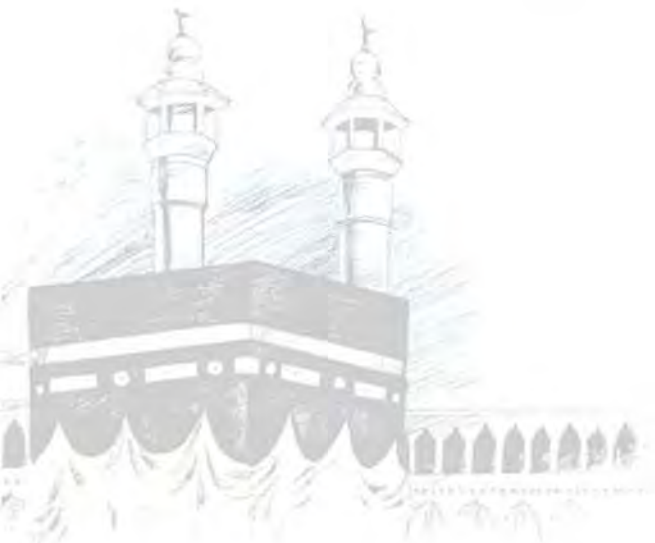
شُكْرًا وَنُفْقَاتٍ

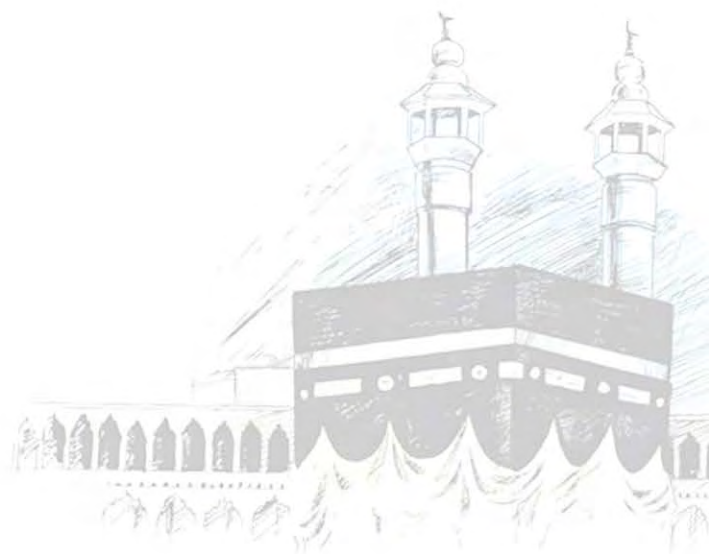
يسرني أن أتقدم بجزيل الشكر وأسمى آيات التقدير والعرفان إلى

بيت التمويل الكويتي  
Kuwait Finance House



على دعمه طباعة هذا الكتاب





## الفهرس

٥.....	الفهرس
١١ .....	المقدمة
١٣ .....	حكاية الكتاب
١٥ .....	بين الفكاهة والفاكهة
٢٣ .....	التيار الفاكهي في الشعر القديم
٢٥ .....	النكتة بين العلمية والفكاهة
٢٩ .....	منهجية الكتاب (بين الفائدة الفقهية والفائدة الوعظية)
٣١.....	<b>لطائف في الحج والعمرة</b>
٣١ .....	من لطائف وسائل السفر إلى الحج والعمرة
٣٣ .....	الحج ٣ مرات سيراً على الأقدام
٣٥ .....	الحج بالدراجة
٤١ .....	خذني الآن إلى مكة !
٤٧ .....	ضريرينقذ المبصرين من الهلاك في الوادي!
٥٠ .....	الحاج زغبوط!
٥٣ .....	<b>من لطائف الإحرام</b>
٥٤ .....	حكم الاضطباع في طواف الوداع
٥٦ .....	هل أغطي وجهي وأنا محرم لأنني أحج عن والدتي؟

- ٥٧ ..... أفناه بأن يعتمر ثلاث مرات!.....
- ٦٣ ..... استعجلنا في التحلل من الإحرام!.....
- ٦٧ ..... **من لطائف الطواف**.....
- ٦٩ ..... من لطائف الدعاء في الطواف.....
- ٧٥ ..... يطوف عكس الناس لتكون الكعبة على يمينه.....
- ٧٩ ..... يطوف من الفجر حتى الظهر!.....
- ٨١ ..... تعطي ظهرها للكعبة تخرجاً من ربها سبحانه.....
- ٨٣ ..... يتفحص لحم الطائف السمين!.....
- ٨٥ ..... **من لطائف السعي**.....
- ٨٦ ..... السعي أربعة عشر شوطاً!.....
- ٨٩ ..... الإشارة بحماس للكاميرا!.....
- ٩١ ..... السعي متشابكين، وأدعية غير لائقة.....
- ٩٥ ..... **من لطائف اليوم الثامن (يوم التروية)**.....
- ٩٥ ..... الأخيار هنا الأخيار هنا!.....
- ٩٩ ..... تأخرت عليّ وأنا دبّرت حالي!.....
- ١٠٣..... **من لطائف اليوم التاسع (يومعرفة)**.....
- ١٠٣..... حمامة عرفات!.....
- ١٠٧..... « يا رسول الله سايب بلادنا ورايح بلاد الحر ».....

١٠٩..... **من لطائف ليلة العاشر (البيات في مزدلفة)**

١٠٩..... بوقيس وصلاة الإمام بنعاله في مزدلفة!

١١٣..... السائل عن «المرقوق»!

١١٥..... **من لطائف اليوم العاشر (يوم النحر)**

١١٧..... صيام عرفة في رمضان!

١٢١..... الوقوف بعرفة في اليوم العاشر!

١٢٥..... إن لم تكن عرفة من الحرم فما بقي في الدنيا حرم!

١٢٩..... جمل سيدنا النبي !

١٣٣..... **من لطائف الحلق والتقصير**

١٣٣..... المطوف الجاهل الذي أمر اثنتي عشرة امرأة بحلق رؤسهن!

١٣٥..... **من لطائف رمي الجمار**

١٣٧..... **أولاً: اللطائف الخاصة بالمرجوم به**

١٤١..... جمع لنا الحصيات من السنة الماضية!

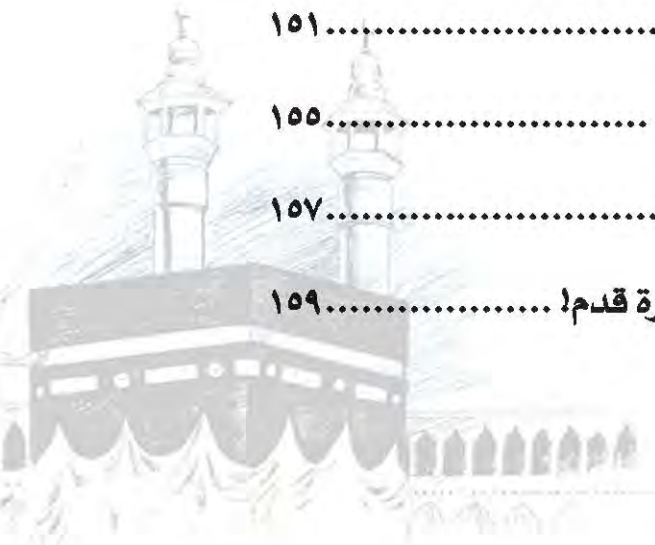
١٤٥..... **ثانياً: اللطائف الخاصة بالمرجوم**

١٥١..... رجموا زميلهم بدلاً من الشيطان!

١٥٥..... اجتماع العساكر لرجم إبليس والقضاء عليه!

١٥٧..... رمي الجمرات برصاص المسدس!

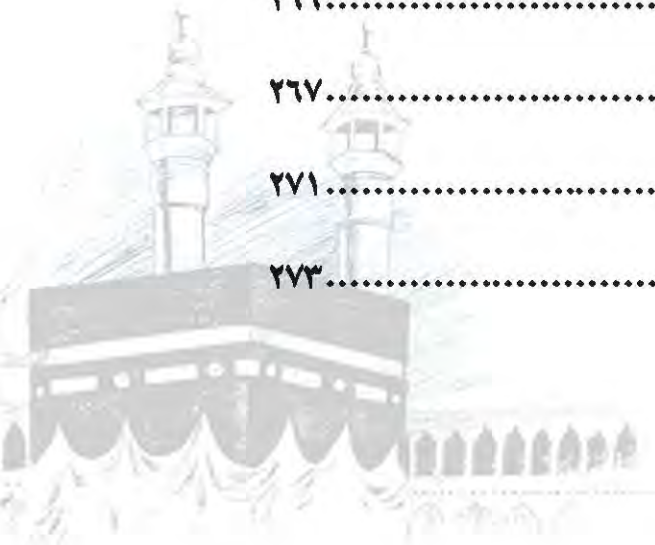
١٥٩..... التعجل في أول أيام التشريق لإدراك مباراة كرة قدم!



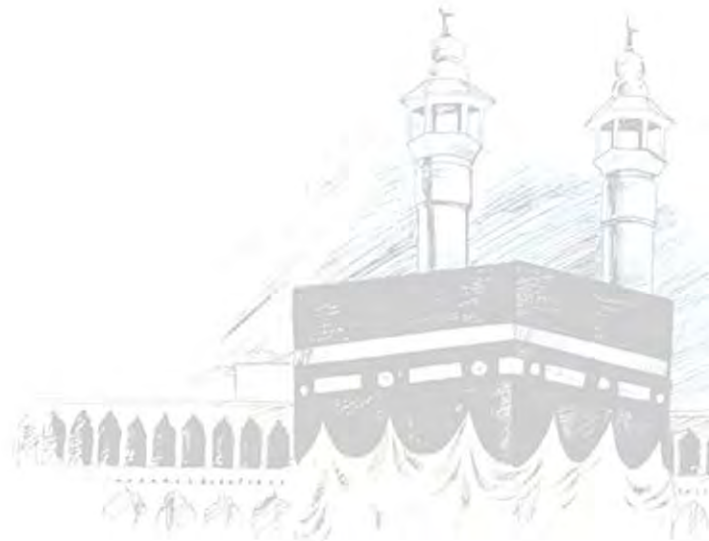


- ١٦٣.....عجوز منى المُدخنة! .....
- ١٦٥.....**لطائف في أروقة الحرم المكي الشريف** .....
- ١٦٥.....حبس نفسه في الكعبة بغير طعام ولا ماء حتى كاد يهلك .....
- ١٦٩.....الداعي في الحرم لصاحبه بعد الصلاة: «حرماً!» .....
- ١٧١.....الرجوع القهقري بعد طواف الوداع! .....
- ١٧٣.. مددت يدي لأمنعه من المرور بين يدي أثناء الصلاة فصافحني بحرارة! .....
- ١٧٧.....ملاكمة في ساحة الطواف! .....
- ١٨٣.....**لطائف عامة من الحج** .....
- ١٨٣.....نأخذك لتنام في الحمام! .....
- ١٨٧.....حكم الزواج بعد الحج ؟ .....
- ١٨٩.....ينصح بأن يكون الحج إلى السعودية فقط! .....
- ١٩١.....الحاج المتعب الذي استغل غفلة الحارس فنام في ثلاجة الأموات! .....
- ١٩٣.....كيف تذهب النساء للحج والله يقول: «يأتوك رجالاً» ؟ .....
- ١٩٥.....ضيعت الدنيا وأفسدت حجي ! .....
- ١٩٩.....المتسول المحتال من عرفات إلى المدينة .....
- ٢٠٣.....سرقة مع سبق الإصرار! .....
- ٢٠٥.....سُرقت المحفظة .. لم تُسرق المحفظة ! .....
- ٢٠٩.....الركض المخيف! .....

- ٢١١..... صراع على الغترة !
- ٢١٣..... صفعه .. فرقع سبابته إلى السماء !
- ٢٢١..... تعطلت الحافلة .. وعلق الركاب !
- ٢٢٧..... إسهال جماعي !
- ٢٢٩..... المشرفة المزيفة !
- ٢٣١..... فتاة باسمين (عفراء وأسماء) !
- ٢٣٣..... يا رب عملتلي إيه في الموضوع ؟
- ٢٣٩..... رجعت بالأضحية إلى الكويت !
- ٢٤٣..... « أنا المهدي المنتظر »
- ٢٤٧..... كابوس، أرق الحجاج في منى !
- ٢٥١..... رحلة الحج .. بين اليوم والأمس !
- ٢٥٧..... حافلة بلا سائق !
- ٢٦١..... من بركة الحج: كنيسة تتحول إلى مسجد !
- ٢٦٦..... **ملحق (١)**
- ٢٦٦..... متفرقات تراثية في الحج
- ٢٦٧..... لطيفة لعمر بن أبي ربيعة
- ٢٧١..... أبي رجل يحتال لنفسه !
- ٢٧٣..... جئتكم مستجدياً لا مستفتياً !



- ٢٧٧..... اكتب إليهم ليؤخروه !
- ٢٧٩..... للحجَّاج حين أراد الحج !
- ٢٨١..... **ملحق (٢)**
- ٢٨١..... « الوفاء قيمة فطرية حتى عند وحوش البشر »
- ٢٨٩..... الخاتمة.....
- ٢٩١..... المراجع.....



## المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي ليس له والد ولا ولد.  
والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، محمد بن عبد الله، خير من حج واعتمر،  
وعبد ربه فما تكلف ولا شقَّ على بشر، بل أثنى صلوات ربي وسلامه عليه على الرفق،  
وأمر بالتيسير وكان يتخوّل بالموعظة خوف الملل والسآمة<sup>١</sup>.  
ويعد ...

فإن الرحلات والأسفار من مواطن وقوع اللطائف ومناسبات حصول النوادر، وذلك  
لتغاير العادات بين البلدان وتباين تقاليد أهلها مع ما ألفه زائروها في كثير من  
الأحيان، وليست رحلات الحج والعمرة ببدع من ذلك، فكثيراً ما يشهد فيها المرء  
لطائف ونكات عفوية تصدر من زوَّار لبيت الله الحرام عن طيب نية وحسن قصد،  
وأكثرها إنما يقع لزيادة حرص من صاحبها على أداء المناسك بصورة مثالية  
- بحسب اعتقاد هذا الفاعل - فتأتي اللطائف والعجائب، وتلعب قلة الفقه ويؤدي  
نقص المعرفة دوراً رئيساً في التسبب في هذه الطرائف، خاصة وأن أكثر الحجاج من  
عوام الناس، وأغلبهم تحجزهم عجمة اللسان عن التحصل على ثقافة شرعية  
سليمة.

١- قال ابن مسعود رضي الله عنه: وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوّلنا بالموعظة في الأيام، كراهة  
السآمة علينا، صحيح البخاري، (٦٨)، والمعنى: كان يراعي الأوقات في تنكيرنا ولا يفعل ذلك كل يوم ثلثاً  
تملّ، انظر: فتح الباري، (١/١٦٢).

ولما كان أمر تلك اللطائف متعلقاً بشعيرة مهمة وركن من أركان الإسلام وهو الحج، كان لا بد من الوقوف معها وقفة فقهية ووعظية من خلال هذا الكتاب، بحيث نجمع ما تيسر لنا جمعه من تلك المواقف، ثم نعلق عليها بحسب طبيعة كل منها توضيحاً لحكم فقهي أو استنباطاً لموعظة، نرجو أن تجد طريقها لقلب قارئ هذا الكتاب، مع الحفاظ على روح الفكاهة والطرافة في الموقف، حيث حرصنا ألا يكون الكتاب فقهياً أو وعظياً بحتاً، بل يزاوج بين اللطيفة والنادرة وبين الوعظ والفقہ في نسيج يغذي العقل ويشحن الذهن ويثير العاطفة ويرقق الوجدان.

وقد اقتضت طبيعة الكتاب - حسب موضوعه - أن يُسبق بمقدمة نظرية تتضمن حكايته والمنهجية المتبعة فيه، ثم التنبيه على موضع الطرفة بين العلمية والفكاهة، وعقب المقدمة النظرية يأتي صلب الكتاب: نوادر الحج والعمرة ولطائفهما، موزعة حسب مناسك هاتين الشعيرتين، ثم نختم بمواقف عامة حول الحج والعمرة. ومما تجدر الإشارة إليه أن مجرد الضحك والمزحة - رغم مشروعيتها بضوابطهما - ليس غرض تأليف هذا الكتاب، ونعوذ بالله تعالى أن نقصد فرداً أو جماعة باستهزاء أو سخرية، وأيضاً فإن هذا الكتاب الذي بين يديك لم يصنف حتى يكون كتاباً فقهياً أو وعظياً متخصصاً، بل أردنا أن يجمع بين الفكاهة والفقہ، والدعابة والموعظة، ليكون لطيف المأخذ قريب التناول سريع الفائدة، فيجمع بين الإقناع والإمتاع.

**وفي الختام نسأل الله تعالى القبول والنفع به.**



## حكاية الكتاب

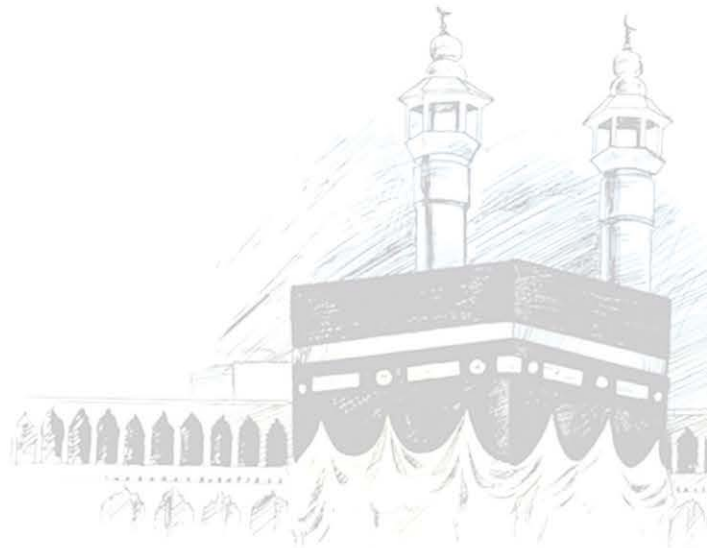
إن من رحمة الله تعالى ولطفه أن يهيئ للخير أسباباً، وإن من النعمة أن يهدي الله تعالى عباده إلى استخلاص النفع من حوادث عارضة، فتكون سبباً لا ابتكار مفيد ينفع فيه المبتكر نفسه وربما تعدى هذا النفع إلى الغير، فكم هو جميل أن تستحيل الأحداث العابرة إلى محفزات على الإبداع وإنجاز الجديد، وكما قال الشافعي رحمه الله تعالى: **" اغتتموا الفرص فإنها خلّس أو غصص "** ( أي إما أن تُنتهز سريعاً أو تكون غصة من الندم لفواتها ) .

وإنما أذكر ما سبق للتنبية على الحكاية المحفزة لي على هذا التأليف؛ ألا وهي «حمامة عرفات».

### وإليك الحكاية عزيزي القارئ الكريم منذ البداية:

في حج عام (١٤٤١هـ - ٢٠١٩م) كان الإداريون في الحملة التي كنا معها حريصين - كعادتهم الطيبة - على أن ينفروا بنا من عرفة إلى مزدلفة بمجرد دخول الليل بعد دخول وقت صلاة المغرب؛ فجلسنا عند آخر نقطة في عرفات وتم إيقاف الحافلات قرب هذه النقطة؛ فكنت حينها - والأهل - جالساً تحت «الياقطة» المكتوب عليها: «نهاية عرفات»، ومن الجهة الداخلية باتجاه عرفة، وكنت آخر من يجلس جانبها من ناحية الداخل، وأثناء انتظارنا تحقق دخول الليل مع انطلاق أذان المغرب كي نبدأ التحرك إلى مزدلفة قبل الزحام، فإذا بحمامة كانت تحلق في الهواء الطلق فوق رؤوسنا ثم وقفت فوق الياقطة التي كنت أجلس تحتها ثم ذرقت؛ فأصابت فضلاتها

إحرامي، فتساءل أحد إخواننا في الحملة: قد تنجس ثوب إحرامك بهذه الفضلات؛  
فهل يجب عليك تغييره الآن؟  
فأخبرناه بالحكم الفقهي الذي عليه كثير من الفقهاء؛ حيث قالوا بطهارة فضلات  
مأكول اللحم من الحيوانات والطيور، وحتى من لم ييرطهاؤها من العلماء فقد  
صرحوا بأن ذرق الطيور مأكولة اللحم معفو عنه وذلك لمشقة الاحتراز منه .  
وبعد عودتي من الحج شاء الله عز وجل أن أسترجع هذه الحادثة، التي كانت السبب  
في انقذحت في ذهني فكرة هذا الكتاب في مزدلفة مباشرة، والذي أسأل الله  
تعالى أن يجعل فيه الأجر والبسمة والفائدة، كما أنني قمت باختيار عنوان الكتاب  
بشكل يجذب الخاصة من أهل العلم والعامّة على السواء، وذلك بشقية : العلمي  
الجاد و الترويحي المازح.



## بين الفكاهة والفاكهة<sup>١</sup>

**الفكاهة في اللغة<sup>٢</sup> :** المزاح وما يَتَمَتَّعُ به من طَرْفِ الكلام.

**والفِكْهُ والفاكهُ :** الطيب النفس الذي يكثر من الدعابة.

**والفَيْكُهُان :** الضحاك اللعوب.

**وفكهُ القوم :** أتاهم بالفكاهة، أو أطرفهم بملح الكلام.

فيشهد بعبقرية لغتنا العربية التقاء الفكاهة والفكاهة في جذر واحد حتى إذا قلنا: «فكه القوم»، كان المقصود: أتاهم بالفكاهة أو أطرفهم بملح الكلام، والجامع بينهما هو اشتهاؤ النفس لكل منهما، فإذا كانت الفكاهة غذاء شهياً للجسم فإن الفكاهة متعة محببة للروح.

### الدلالة اللغوية :

هذه الدلالة اللغوية للفكاهة تصور ارتباطها بالنفس؛ فهي إلى جانب ما تقدمه لها من الترويح الذي يخفف من توترها، ويجدد من نشاطها؛ تُشبع فيها حاجة الضحك الفطرية.

١ - بتصريف من محاضرة قيمة في الموسم الثقافي لكلية التربية الأساسية عام ١٩٩٥م : د عبدالستار ضيف الأستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها بالكلية، وبشكل مختصر من مقدمات كتابي : «مذكرات مرابط: الجزء الأول: يوميات عاصفة الصحراء في حرب التحرير، الجزء الثاني : ابتسامات لمواقف طريفة واقعية خلال الاحتلال».

٢ - انظر في معنى الفكاهة ومشتقاتها: العين، (٣/٣٨١)، تهذيب اللغة، (٦/١٩).



والارتباط بين الفكاهة والضحك قوي؛ حتى إنه يمكن أن تُعرَّف الفكاهة الأدبية بأنها «طرفة أدبية مثيرة للضحك»، وهو تعريف يتسع لكل أدب ضاحك مهما تنوعت أسماؤه على ما نجد في تراثنا من فكاهة نادرة ونكتة وطُرفة ودعابة وسخرية وتهكم وهزل.

هذه كلها مصطلحات تقابلنا في تراثنا، تتداخل في معانيها المعجمية وفي دلالاتها الأدبية، تجمعها إثارة الضحك، فتدخل بذلك ضمن دائرة الأدب الضاحك. هذا الأدب الضاحك الذي نراه بشيء من التوسع المقبول مرادفاً للأدب الفكاهي يمكن أن نلاحظ فيه نوعين متميزين من أنواع الفكاهة تبعاً للبواعث النفسية في كل منها:

### الحاجة إلى الفكاهة عند الجاحظ:

لقد تكلم الجاحظ في أكثر من موضع عن الضحك وأهميته للنفس، وعن الفكاهة وأثرها حين تتخلل الموضوعات الجادة؛ فله إبداعاته الفكاهية الكثيرة التي نجدها في كتابه البخلاء، وفي بعض رسائله حيث نُطاع السخرية الفكاهية في ذروة نضجها تقدم العلم والأدب والفكر والفكاهة؛ فتشحن العقل، وتمتع الوجدان، وأخيراً ترسم صورة ساخرة لكثير من مظاهر التشويق في النفوس وأفكار وألوان السلوك، فلا تملك وأنت تقرأ له إلا أن تضحك.

لقد شارك حكماء الشعراء في رسم آداب المزاح وضوابطه كما بين ذلك أبو الفتح البستي:

**أفدُ طبعك المكدودَ بهم راحةً ... يجمُّ وعللهُ بشيءٍ من المَزحِ**

**ولكنْ إذا أعطيته المَزحَ فليكنْ ... بمقدار ما تُعطي الطَّعامَ مِنَ المِلحِ<sup>١</sup>**

### شذرات من الأدب الإسلامي في الضحك والفكاهة:

لا يخلو تراثنا الإسلامي العظيم من التبسم والفكاهة والضحك؛ فالقرآن الكريم - وهو المصدر الأول للتشريع الإسلامي- عندما نبحت فيه عن مادتي (ضحك) و(فكه) نجد أكثر من آية وردت بها مشتقات كل من هاتين الكلمتين في مواضع مختلفة من القرآن الكريم.

وبالرجوع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، الذي وضعه محمد فؤاد عبدالباقي رحمه الله، (والطبعة التي بين أيدينا هي طبعة دار الحديث، القاهرة، والتي نشرته سنة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م)، نجد ما يلي:

**أولاً:** مادة (ض ح ك) وردت على النحو التالي: (فضحكت، تضحكون، فليضحكوا، يضحكون، أضحك، ضاحكاً، ضاحكة)<sup>٢</sup>.

**ثانياً:** مادة (ف ك ه) وردت على النحو التالي: (تفكهون، فكهين، فاكهون، فاكهين).

١ - أدب الدنيا والدين، (ص: ٣١١).

٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (ص: ٤١٨).



وهي بالطبع -وكما نعلم- جميعاً مختلفة عن كلمة (فاكهة) التي وردت في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، وكلمة (فواكه) التي وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات<sup>١</sup>.  
 أما في السيرة النبوية الشريفة فلقد أرسى الحبيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم خُلق البسمة والبشاشة، وعلم الإنسانية كلها هذه اللغة العالمية اللطيفة بقوله وفعله وسيرته العطرة، فكان صلى الله عليه وسلم دائم التبسم، وكان بسأم الثغر طلق المحيا، يحبه كل من رآه من حسنه وتبسمه، ويقتدي به كل من آمن به أو سمع عنه.  
 وفي المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الذي رتبته ونظمه لفييف من المستشرقين ونشره المستشرق «أ. ي. ونسك» أستاذ العربية بجامعة ليدن، ونشرته مطبعة برييل في مدينة ليدن الهولندية، سنة ١٩٣٦، ويقع في ثمانية مجلدات كبيرة. وردت لفظة الضحك ومشتقاتها قرابة مائتي مرة<sup>٢</sup>.. نذكر منها المقتطفات التالية:  
 (ضحك الله الليلة وعجب من فعالكما)<sup>٣</sup>.

(ضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلنا: ما يضحكك؟)<sup>٤</sup>.

(فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم ضحك)<sup>٥</sup>.

(ثلاثة يضحك الله إليهم)<sup>٦</sup>.

١ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (ص: ٥٢٥).

٢ - انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، (٣/٤٨٣).

٣ - صحيح البخاري، (٣٧٩٨).

٤ - مسند أحمد، (٢٢١٤٨).

٥ - صحيح البخاري، (٥٨٠٩).

٦ - مسند أحمد، (١١٧٦١).

ومن الجدير بالذكر هنا أن نذكر بعض ما جمعه الإمام السيوطي، وهو واحد من أشهر أعلام الإسلام، وتزيد مؤلفاته على خمسمائة كتاب ورسالة، تغطي العديد من فروع الثقافة الإسلامية .. ومن هذه الفروع علم الحديث النبوي الشريف - أحد العلوم الأساسية في الفكر الإسلامي - فقد كان السيوطي من كبار المحدثين في عصره، وله في الحديث كتابان مشهوران: الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، والجامع الكبير، وفي الكتابين يورد الإمام السيوطي الأحاديث الآتية، والتي نقلها هنا حرفياً كما وردت هناك:

(ضحك الله من رجلين قتل أحدهما صاحبه، وكلاهما في الجنة)¹.

(ضحك ربنا من قنوط عباده)².

(ضحكت من قوم يساقون إلى الجنة مقرنين في السلاسل)³.

(ضحكت من أناس يأتونكم من قبل المشرق يساقون إلى الجنة وهم كارهون)⁴.

أما الأحاديث التي ورد فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ضحك حتى بدت نواجذه) فقد أخرج البخاري منها ثمانية أحاديث، وأبو داود حديثين، والترمذي ثلاثة أحاديث، وابن ماجه حديثين، وابن حنبل إحدى عشرة رواية ⁵.

١ - الجامع الكبير، (١٥٣١٣)، الجامع الصغير، (٧٣٣٢).

٢ - الجامع الكبير، (١٥٣١٢)، الجامع الصغير، (٨٠٢٤).

٣ - الجامع الكبير، (١٥٣١٥)، الجامع الصغير، (٧٣٣٣).

٤ - الجامع الكبير، (١٥٣١٤)، الجامع الصغير، (٨٠٢٥).

٥ - صحيح البخاري، (٤٨١١)، (٦٠٨٧)، (٦٥٢٠)، (٦٥٧١)، (٦٧٠٩)، (٧٤١٤)، (٧٤١٥)، (٧٥١٣)، سنن أبي داود، (١١٧٣)، (٢٢٧٠)، سنن الترمذي، (٢٥٩٥)، (٢٥٩٦)، (٣٢٣٨)، سنن ابن ماجه، (٢٣٤٨)، (٤٣٣٩)، مسند أحمد، (١٦٢٠)، (٣٥٩٠)، (٣٥٩٥)، (٤٠٨٧)، (٤٣٦٨)، (١٤٦٩٢)، (١٥٤٤٩)، (١٩٣٢٩)، (١٩٣٤٤)، (٢١٣٩٣)، (٢١٤٩٢).

وسنكتفي فيما يلي بأن نورد نموذجاً مميزاً من الكتابات الإسلامية التي تناولت تبسُّمٌ وضحك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو كتاب «ابتسامات نبوية»، للشيخ عبدالله نجيب سالم الباحث العلمي بالموسوعة الفقهية الكويتية، طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة الكويت، سنة ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٢ م، والكتاب عبارة عن دراسة مفصلة لمرويات التبسُّم في السيرة النبوية، وما يستفيد المسلمون منها في حياتهم.

وقد تناول فيه المؤلف مشكوراً جانب التبسم في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن أهم ما تناوله الكاتب أيضاً في هذا الكتاب الموضوعات التالية:

الملائكة والأنبياء والصالحون السابقون بسأمون أيضاً.

تبسمك في وجه أخيك صدقة.. من جوامع الكلم.

وكان في زمن النبي وحضرته من يضحكه ويضحك الناس.

ابتسامات نبوية.. لآل البيت الكرام.

ابتسامات نبوية خاصة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

الابتسامات النبوية.. لعائشة الصديقة وفي بيتها.

ابتسامات شتى.. في مناسبات عديدة.

ابتسامات عديدة.. في بدر الكبرى.

ابتسامات نبوية.. وراء الخندق الرهيب.

ابتسامات جميلة.. يوم الفتح الأكبر.

معجزات الاستسقاء.. وابتسامات نبوية.



آيات قرآنية.. وابتسامات نبوية.

ابتسامات نبوية.. وعجائب مروية.

وغيرها العديد من الابتسامات من حياته ومواقفه صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن

يصل الكاتب إلى الابتسامة الأخيرة قبل رحيل المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى

الدار الآخرة.

١ - صحيح البخاري، (٦٨٠)، صحيح مسلم، (٤١٩)، ولفظه: «إن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر الحجره ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم يضحك، فهممنا أن نفتن من الفرح برؤية النبي صلى الله عليه وسلم، فنكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف، وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا النبي صلى الله عليه وسلم أن أتوا صلاتكم وأرخى الستر فتوفي من يومه.



## التيار الفكاهي<sup>١</sup> في الشعر القديم<sup>٢</sup>

إنه مما يلفت النظر لأدبنا العربي قديمه وحديثه أن اهتمام الدارسين به يكاد يكون مقصوراً على الأدب الجاد الذي يتمثل في الشعر في تلك الموضوعات التقليدية من مدح وفخر ورثاء وغزل ووصف إلى غير ذلك؛ وهو ما قد يوهم أن أدبنا العربي لا يعرف إلا هذا النوع الجاد، وهو ما يخالف واقع أدبنا عامة وواقع الشعر منه خاصة؛ فقد كان إلى جانب هذا الأدب الجاد العميق أدب فكاهي ضاحك، وتعايش الأدبان معاً، لكل منهما مجاله وبواعثه وغاياته، وقد يلتقيان في عمل أدبي واحد، فتتخلل الفكاهة الموضوع الجاد، ترويحاً للقارئ وتجديداً لنشاطه، والأهم من ذلك أن هذا الأسلوب كان أنجح في النفاذ إلى القلوب وتحقيق الأثر المطلوب، بما لا يحققه الأسلوب الخالي من الفكاهة، وهو منهج قديم قديم الجاحظ، فقد بدأه في أدبنا العربي باقتدار عجيب كان من أهم أسباب النجاح العظيم الذي سجله أسلوبه الكتابي في تاريخ أدبنا العربي.

على أن الفكاهة في الكثير منها لا تخلو من الفائدة؛ فقلما تخلو فكاهة من وظيفة اجتماعية أو نفسية أو غير ذلك إذ تقدم غايةً إصلاحيةً، وهنا نشير إلى ما نبه إليه الفيلسوف الفرنسي «برغسون»، عن المهمة الاجتماعية التي يمكن أن يحققها الضحك الذي تثيره الفكاهة، فهو يرى أن الضحك تهذيب وتأديب؛ فحين

١ - الفكاهي والفكاهي صنوان، حيث إن الفكاهة والفكاهة أصلهما واحد، ومفعولهما كذلك.

٢ - انظر: أدبنا الضاحك، عبدالغني العطري (ص: ١٦).



نضحك من المقصّر أو الشاذ أو قبيح المظهر أو البخيل أو الغني فإنما نؤدبه بصورة غير مباشرة، ومعنى ذلك أننا نؤدي خدمة اجتماعية مهمة<sup>١</sup>.

والفكاهة بعد ذلك أصدق في التعبير عن النفس، وتصوير المجتمع على اختلاف النزعات والمشارب والاتجاهات، وربما فاقت الأدب الجاد في ذلك، فهي أقرب إلى تصوير الواقع وأبعد عن التكلف.

وقد عكست كتب التراث العربي في مجالات الأدب والتاريخ أهمية الفكاهة ودورها في تشكيل الفكر المجتمعي، ورغم ذلك فإننا إذا تجاوزنا الكتب الموسوعية التي أفسحت للأدب الفكاهي مكاناً بين محتوياتها مثل «الأغاني»، و«عيون الأخبار»، و«المستطرف»، و«العقد الفريد»، و«محاضرات الأدباء»، و«زهر الأدباء»، و«الكشكول»، و«ثمرات الأوراق»، فإذا تجاوزنا هذه الكتب الموسوعية التي لم يخلُ واحد منها من نماذج للأدب الفكاهي شعراً ونثراً؛ فإننا لا نجد من الكتب المتخصصة سوى النزر اليسير مثل: «التطفيل» للخطيب البغدادي، و«جمع الجواهر في الملح والنوادر» للحصري القيرواني، و«من غاب عنه المطر» للثعالبي، و«نتف الظرف» لأبي سعيد السلامي، و«أخبار الظراف والمتماجنين» لابن الجوزي.

١ - الضحك لهنري برجسون، (ص: ١٨).



## النكتة بين العلمية والفكاهة

ورد في تعريف النكتة في بعض معاجم اللغة العربية المعاصرة أنها «كلام لطيف يؤثر في النفس انشراحاً»<sup>١</sup>، وتعد النكتة فناً أدبياً خصصت له كثير من الدراسات اللغوية الاجتماعية والسياسي؛ نظراً لانتشارها وتأثيرها الكبير في المتلقين. وقد عرف الشيخ عطية صقر<sup>٢</sup> رحمه الله النكتة، ووضع لها ضوابط فقال: «النكتة أو الفكاهة شيء من قول أو فعل يقصد به غالباً الضحك وإدخال السرور على النفس، وينظر في حكمها إلى القصد منها وإلى أسلوبها؛ فإن كان المقصود بها استهزاء أو تحقيراً مثلاً، أو كان في أسلوبها كذب مثلاً كانت ممنوعة، وإلا فلا. وهي تلتقي مع المزاح في المعنى، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقاً، كما رواه أحمد وجاء في سنن الترمذي: «قالوا: يا رسول الله، إنك تداعبنا، قال: إني لا أقول إلا حقاً»<sup>٣</sup>، ومن حوادثه أن رجلاً قال له: يا رسول الله احملني، قال النبي صلى الله عليه وسلم: إنا حاملوك على ولد ناقه، قال: وما أصنع بولد الناقه؟ إنه لا يحملني، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وهل تلد الإبل إلا النوق»<sup>٤</sup>.

١ - معجم الرائد، (ص: ٨٢٠)، وفي تكملة المعاجم العربية (١٠ / ٣٠٤): «نكتة: فكاهة مسلية، دعابة، أصالة في الفكرة أو في الشخص، هزلي، فكه».

٢ - من علماء الأزهر الشريف، شغل منصب رئيس لجنة الإفتاء بالأزهر، (ت ٢٠٠٦م).

٣ - سنن الترمذي، (١٩٩٠).

٤ - سنن أبي داود، (٤٩٩٨)، سنن الترمذي، (١٩٩١)، مسند أحمد، (١٣٨١٧).

٥ - موسوعة أحسن الكلام في الفتاوي والأحكام، (٦٧٥/٧).

ومن الجدير بالذكر في هذا السياق الإشارة إلى ما ذكره بعض العلماء عن فوائد الضحك؛ مثل<sup>١</sup>:

- أنه يفيد الجسم والعقل، ويحقق السعادة والسلام النفسي.
  - أنه يقلل من الضغوط ويحد من ارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب.
  - أنه يزيد من القدرة على التأمل والاسترخاء.
  - أنه يقوي جهاز المناعة ووسائل الدفاع الطبيعية الموجودة في الجسم.
  - أنه يخفف من حدة الألم عن طريق رفع مستوى إفراز مادة الإندروفين س.
  - أنه يفيد مرضى التهاب الشعب الهوائية وأزمات الربو، عن طريق رفع نسبة الأكسجين في الدم الذي يدخل للرئة.
  - أنه ينمي روح المشاركة وروح العمل الجماعي، ويعطي الشخص الثقة بالنفس.
- والعلاقة بين النكتة والضحك هي - كما يقول المناطقة- علاقة سبب بمسبب، أو سبب بنتيجة؛ فالضحك مترتب على النكتة المسموعة أو المقروءة أو المرسومة (الكاريكاتير).

لكن في الحديث عن النكتة لا ينبغي إغفال الجانب الآخر للنكتة وهي ما تحمله من فكرة أو معلومة أو موقف سياسي أو اجتماعي؛ فالنكتة ليست مجرد مجال للضحك

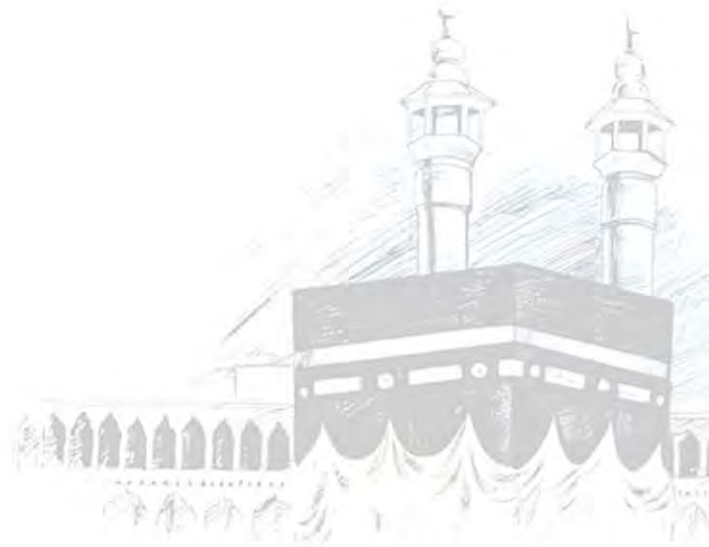
١ - عن مقالة بعنوان: «النكتة: مفهومها، وأنواعها، وتأثيرها»، للدكتور جابر قميحة رحمه الله، في موقع منارات.

فقط كما قد يتصور بعض الناس؛ لكنها تحمل فكرة ملخصة ومكثفة أقصى ما يكون التكثيف. وقد تكون وسيلة لتوصيل ما تحمله من معان وإيحاءات أفضل من غيرها من الوسائل الأخرى؛ وذلك لما يلي:

- ما تحمله النكتة من فكاهة ودعابة تستهوي النفوس وتستميل القلوب.
  - تعبيرها عما يدور في أذهان كثير من الناس حسب مجالها وتقتصر لغتهم عن التعبير عنه.
  - سرعة انتشارها وتقبل الناس لها أيا كان مصدرها.
  - تعبيرها عن الفكرة بصورة مكثفة ومركزة.
  - جمعها بين تحريك الذهن وإمتاع العاطفة.
- على أنه ينبغي التأكيد على الالتزام بالضوابط الشرعية والاجتماعية والقانونية قبل إطلاق النكتة؛ حتى لا يكون ضررها أكثر من نفعها فتسبب في فتنة بين الناس، أو إحداث حرج يطير بذكره الركبان مع انتشار النكتة انتشار النار في الهشيم فيصعب معه معالجة آثارها، أو توقيف خطرها وضررها، ولذا حرص العلماء والفقهاء على وضع ضوابط ومعالم للمزاح، كما نقلنا منذ قليل كلام الشيخ عطية صقرا<sup>١</sup>.

١ - وفيما يتعلق بمفهوم الكذب وعلاقته بالنكت الخيالية يمكن الرجوع إلى مقال بعنوان: «تأصيل في النكت والقصص ونحوها، عمرو بسيوني، شبكة الألوكة».

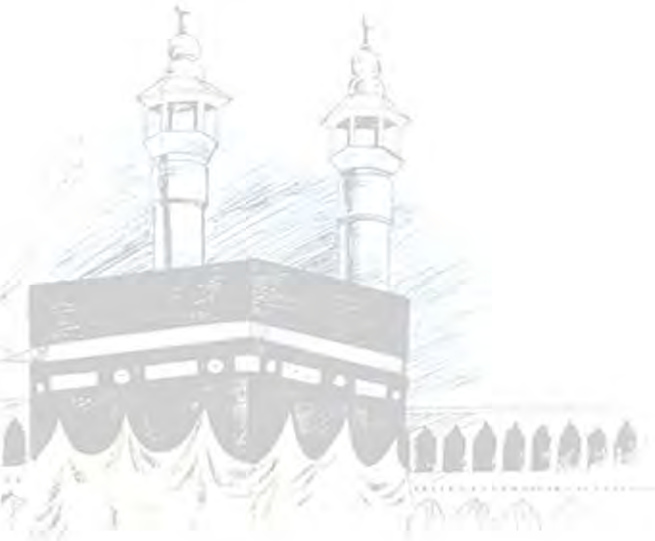
فالإسلام لا يمنع من الدعابة والفكاهة لكنه يهذبها ويضبطها بما يحفظ للمجتمع أمنه وسلمه، ويقوي دعائم المحبة والترابط بين أفرادهِ؛ فيمنع السخرية واللمز والتنابز والغيبة، وكلها أمراض اجتماعية خطيرة لا تتمكن من أي مجتمع إلا وتفتك به أشد ما يكون الفتك، وتكون عواقبها وخيمة على الفرد والمجتمع.



## منهجية الكتاب

### (بين الفائدة الفقهية والفائدة الوعظية)

تقوم منهجية الكتاب على الجمع بين الفائدتين الفقهية والوعظية، مغلفتين في صور فكاوية، انطلاقاً من النكتة أو الموقف اللطيف الذي حدث من بعض الحجاج والمعتمرين، وهو ما يعد نكتة حقيقية غير متكلفة؛ حيث حرصنا على أن يكون تعليقنا عليها في صورة بعض الأحكام الفقهية، أو بعض العظات والعبر التي يمكن استنباطها حسب كل موقف، دون تكلف أو لي لعنق الموقف أو النص.





## لطائف في الحج والعمرة

فيما يلي نعرض لبعض اللطائف التي حدثت من بعض الحجاج والمعتمرين موزعة حسب المنسك أو المكان الذي حدث فيه، بدءاً من الاستعداد للسفر ووسائل الانتقال إلى أرض الحرمين، انتهاء بلطائف عامة، مروراً بالمناسك كلها بحسب ما تيسر جمعه من مواقف فيها:

### من لطائف وسائل السفر إلى الحج والعمرة :

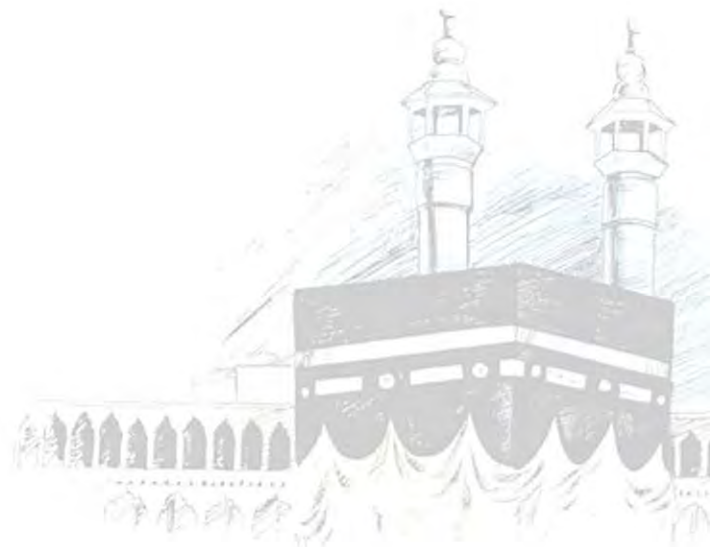
منذ أن انطلق النداء الرياني لنبى الله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج: ٢٧)، والناس يسارعون إلى أداء هذه الفريضة المباركة، كل حسب استطاعته، وحسب العصر الذي وجد فيه؛ فمنهم من يأتي راجلاً على قدميه، ومنهم من يمشي على إبله الضوامر، ومنهم من يأتي على غير ذلك من وسائل النقل والمواصلات، حسب كل عصر ومصر. ومن نعم الله عز وجل علينا في عصرنا هذا ما أفاء به علينا من تطور علمي وتكنولوجي، وهدى الناس إلى أن يخترعوا من الوسائل ما فيه راحتهم ورفاهيتهم؛ حتى رأينا السفر المريح السريع من دولة إلى أخرى في سويغات معدودة في جو مكيف ومهياً بما يجعل السفر رحلة ممتعة.

لكن هناك من فضلوا أن يتركوا هذه الرفاهية والراحة ويرجعوا اختياراً إلى العصور السوالف في ذهابهم إلى الحج.





وفيما يلي بعض هذه الحوادث التي تخلق فيها أصحابها عن وسائل المواصلات الحديثة، واعتاضوا عنها بوسائل أخرى:



## الحج ٣ مرات سيراً على الأقدام

من البوسنة :



### سنايد هادزيتش أثناء رحلة مكة المكرمة سيراً على الأقدام

في أكتوبر ٢٠١٢ وصل إلى مكة المكرمة مواطن بوسني يدعى سنايد هادزيتش لأداء فريضة الحج، بعدما قطع مسافة تقدر بنحو ٦ آلاف كيلومتر مشياً على الأقدام من مدينته في شمال البوسنة إلى مكة المكرمة.

وكان هادزيتش قد بدأ رحلته في شهر يونيو ٢٠١٢، مواصلاً قطع مسافة مقدارها ٢٠ إلى ٣٠ كيلومتراً يومياً، وفقاً لموقع «العربية»، وكان ينام في الشوارع أو المساجد معتمداً على ضيافة أهل الخير لتدبير المأكل والمشرب أثناء رحلته، حيث لم يكن معه إلا ٢٠٠ يورو أثناء رحلته<sup>١</sup>.

١ - موقع العربية والخبر منشور بتاريخ: الثلاثاء ١٢ جمادى الثاني ١٤٤٢ هـ - ٢٦ يناير ٢٠٢١، ومن الطريف ويعد أن استقبل هادزيتش عند عودته إلى البوسنة استقبال الأبطال وأصبح نجم البوسنة، حاول ابن عمه أن يعيد الكرة في حج عام ٢٠٢٠م، وبعد أن قطع المسافة متجاوزاً صربيا ثم بلغاريا ثم تركيا، وما إن وصل إلى سوريا وقبل أن يدخل الأردن -وهي نصف المسافة تقريباً- وإذا به يسمع أن الدخول إلى السعودية ممنوع

**من السعودية :**

وفي عام ٢٠١٥ تمكن أحد الرحالة السعوديين من الانطلاق لرحلته الثالثة لأداء مناسك الحج سيراً على قدميه؛ حيث تمكن من قطع مسافات طويلة لأداء فريضة الحج سيراً على الأقدام، ثلاث مرات؛ حيث حج في الرحلة الأولى عن الأمير نايف رحمه الله، وفي الرحلة الثانية عن والدته رحمها الله، وفي الرحلة الثالثة عن الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود، حباً و عرفاناً وامتناناً لما قدمه الملك عبد العزيز آل سعود للأمتين العربية والإسلامية، بحسب موقع «العربية»<sup>١</sup>.

**من باريس :**

وفي نوفمبر ٢٠١٦ وصل إسحاق محمد-جزائري يحمل الجنسية الإسبانية- إلى مكة قادماً من العاصمة الفرنسية باريس مشياً على الأقدام، حيث قطع خلال رحلته أكثر من ٨ آلاف كيلومتر مروراً بست عشرة دولة، واستعان بعربة أطفال لحمل أمتعته، طوال الرحلة التي استغرقت ٥ أشهر<sup>٢</sup>.

بسبب وباء كورونا، فلم يظفر بمراده، وعلق في سوريا ولعل الله تعالى أن يكتب له أجره، الخبر من مقالة «سبقك بها عكاشة»، لمشعل السديري، صحيفة الشرق الأوسط الثلاثاء - ١٥ ذو الحجة ١٤٤١ هـ - ٠٤ أغسطس ٢٠٢٠ مرقم العدد [١٥٢٢٥] .

١ - الخبر بتاريخ ٢٦ يناير ٢٠٢١ .

٢ - الخبر بتاريخ ٢٨ يوليو ٢٠١٧ .



إسحاق محمد أثناء رحلة مكة المكرمة سيراً على الأقدام

الحج بالدراجة :

من الصين :

فضّل حاج صيني يدعى «محمد باماتشن» اتباع التقاليد القديمة للذهاب إلى الحج، وتخليه عن رفاهية الرحلات الجوية، وذهب لأداء فريضة الحج على دراجة، حيث قطع مسافة ٨١٥٠ كيلومتراً عابراً العديد من الدول في رحلة دامت ٤ أشهر.



محمد باماتشن

### الفوائد الفقهية والوعظية :

إنما ذكرنا أنها لطائف وعجبنا منها باعتبار العصر الذي نعيش فيه، وإلا فإنها حوادث متكررة في الزمان الأول، وإن كانت تُعدُّ من النوادر كذلك، فيذكر في سيرة فلان أو فلان أنه حج البيت ماشياً، ولولا أنها تعد كذلك لما كانت العناية بذكرها في تراجمهم.

ولا شك في سلامة نية أصحاب هذه الممارسات في عصرنا الحاضر، وأن فعلهم نابع من حرصهم على زيادة الأجر باعتبار زيادة المشقة الحاصلة بتجنبهم وسائل النقل وتنقلهم سيراً على الأقدام مع ما يصاحب ذلك من تعب وجهد.

لكن لعلنا نحتاج أن نتوقف هنا فننتدريس ذلك الفعل من وجهة نظر الفقهاء، فهذا ميدانهم ولهم تكون الكلمة فيه.

وقد اختلفت آراء الفقهاء حول أيهما أولى وأفضل في الحج؛ الترجل واجتناب الرواحل أم ركوبها، أم أنهما سواء بلا فرق.

فذهب بعض الفقهاء إلى أفضلية المشي واحتجوا لذلك، ومال آخرون إلى أن الركوب أفضل، وفي الموسوعة الفقهية الكويتية: «الحج راكباً على الدواب ونحوها أفضل من الحج ماشياً، لأن ذلك فعله صلى الله عليه وسلم، ولأنه أقرب إلى الشكر، وإلى هذا ذهب المالكية والحنفية والشافعية، ولم نجد للحنابلة تصريحاً في هذه المسألة».

وقد فصل بعض العلماء في المسألة فجعلوا الأفضل منوطاً بحال الفاعل، فقال الغزالي رحمه الله: «من سهل عليه المشي فهو أفضل، فإن كان يضعف ويؤدي به ذلك

إلى سوء الخلق وقصور عن عمل؛ فالركوب له أفضل، كما أن الصوم للمسافر أفضل وللمريض ما لم يفض إلى ضعف وسوء خلق<sup>١</sup>، وقال ابن تيمية رحمه الله: «وأما الأفضل فيختلف باختلاف الناس فإن كان ممن إذا ركب رآه الناس لحاجتهم إليه أو كان يشق عليه ترك الركوب؛ وقف<sup>٢</sup> ركباً فإن النبي صلى الله عليه وسلم وقف ركباً. وهكذا الحج فإن من الناس من يكون حجه ركباً أفضل، ومنهم من يكون حجه ماشياً أفضل<sup>٣</sup>، وعلق بعضهم الأمر بنية الفاعل فقال ابن تيمية رحمه الله: «والفعل الواحد في الظاهر يثاب الإنسان على فعله مع النية الصالحة، ويعاقب على فعله مع النية الفاسدة، فمن حج ماشياً لقوته على المشي وآثر بالنفقة، كان مأجوراً أجرين: أجر المشي وأجر الإيثار. ومن حج ماشياً بخلاً بالمال إضراراً بنفسه، كان آثماً إثمين: إثم البخل وإثم الإضرار، ومن حج ركباً؛ لضعفه عن المشي وللاستعانة بذلك على راحته ليتقوى بذلك على العبادة؛ كان مأجوراً أجرين، ومن حج ركباً يظلم الجمال والحمال كان آثماً إثمين ... فهذه المسائل ونحوها تتنوع بتنوع علمهم واعتقادهم<sup>٤</sup>».

ونحن وإن كنا متفقين مع هذا التفصيل وأن لكل حالة خصوصية تراعى عند إطلاق الحكم؛ ولكن في حالة القاعدة العامة فالذي نميل إليه هو الذي عليه أكثر

١ - إحياء علوم الدين (١/ ٢٦٣).

٢ - أي وقف بعرفة.

٣ - مجموع الفتاوى، (٢٦/ ١٣٢).

٤ - مجموع الفتاوى، (٢٢/ ١٣٨).



الفقهاء، ونرى أن ذلك موافق لروح الشريعة التي جاءت ميسرة للناس وحائثة لهم على الترفق وتحاشي التشديد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق»، ونحسب أن استخدام وسائل النقل الحديثة في أداء المناسك هو من الرفق بالنفس، كما نظن أن هذا هو الأوفق في عصرنا الحاضر لحال غالب الناس وضعفهم عن بلوغ حال الأوائل في الزهد والعبادة، ناهيك عن التعقيدات التي زادت في هذه الأزمان والقيود التي فرضت على التنقل وتباعد الأقطار؛ فهذا كله يصب في صالح ما اختاره أكثر الفقهاء من كون الركوب أفضل وهي فتوى أغلبية تمس جمهور الناس دون خواصهم.

ثم إن هذه التصرفات في هذا الزمان بالذات قد يكون ضررها أكثر من نفعها وخاصة مع انتشار وسائل الإعلام الحديثة وكثرة المترصدين للإسلام وأهله، فهي قد تصدر صورة ذهنية سلبية عن الإسلام والمسلمين عند بعض المترصين به، وهي أن المسلمين رجعيون ومتخلفون، وأن دينهم دين القسوة والغلظة على أتباعه.

فهذه بعض المآخذ التي قد تؤخذ من جراء هذه الأفعال، فضلاً عما فيها من مشقة وتعب سيؤثران - بلا شك- على أداء المناسك في الحج؛ فلو أن هؤلاء الناس استفادوا من نعم الله تعالى واستخدموا الوسائل المريحة لهم، ووفروا جهودهم للتركيز في المناسك والعبادة لكان أفضل وأولى؛ فإما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين

أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً<sup>١</sup>، ونرجو أن ما نذكره من الأخذ بالوسائل الحديثة هو من ذلك التيسير الخالي من الإثم.

لكن ومع ذلك فإننا نقول: إذا كانت هذه الأفعال -اجتناب وسائل النقل الحديثة- ناتجة عن عدم مقدرة مادية فهنا يمكن تفهمها وشكر القائمين بها، وسيكون أجرهم عند الله سبحانه مضاعفاً بإذن الله تعالى.

إذن فالضابط في هذا الأمر هو النية والحالة كما نقلناه عن الغزالي وابن تيمية رحمهما الله آنفاً، ولعله من المفيد هنا أن نذكر بكلام الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى حول من يتعمد المشقة على نفسه؛ إذ يقول رحمه الله: «إذا كان قصد المكلف إيقاع المشقة؛ فقد خالف قصد الشارع من حيث إن الشارع لا يقصد بالتكليف نفس المشقة، وكل قصد يخالف قصد الشارع باطل، فالقصد إلى المشقة باطل، فهو إذاً من قبيل ما يُنهى عنه، وما ينهى عنه لا ثواب فيه، بل فيه الإثم إن ارتفع النهي إلى درجة التحريم، فطلب الأجر بقصد الدخول في المشقة قصد مناقض»<sup>٢</sup>.

وقال أيضاً: «ونهيته عن التشديد - أي النبي عليه الصلاة والسلام - شهير في الشريعة، بحيث صار أصلاً قطعياً، فإذا لم يكن من قصد الشارع التشديد على النفس، كان قصد المكلف إليه مضاداً لما قصد الشارع من التخفيف المعلوم المقطوع به، فإذا خالف قصده قصد الشارع؛ بطل ولم يصح، هذا واضح وبالله التوفيق»<sup>٣</sup>.

١ - صحيح البخاري (ج ٦٧٨٦)، صحيح مسلم (ج ٢٣٢٧).

٢ - الموافقات (٢/٢٢٢).

٣ - الموافقات (٢/٢٢٩).



ومما يدلُّ على ملاءمة ذلك لروح الشريعة ومقاصدها وللهدي النبوي : ما رواه البخاري ومسلم من أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شيخاً يُهادي بين ابنيه، فقال: ما بال هذا؟ قالوا: نذر أن يمشي، قال: إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني، وأمره أن يركب<sup>١</sup> إلى بيت الله.

١ - صحيح البخاري، (١٨٦٥)، صحيح مسلم، (٣٢٠١)، والنسائي (٣٨٣٣)، واللفظ له.



## خذني الآن إلى مكة !



إذا كان هناك من اختار المشي أو الدراجة، فصاحبنا التالي اختار وسيلة غير معتادة  
أبدأ؛ اختار أن ينتقل إلى مكة عبر كرامات الصالحين!  
يقول الشيخ علي طنطاوي<sup>١</sup> رحمه الله: « وكان في الشام رجل صالح زاهد حقيقة  
اسمه الشيخ أحمد الحارون، رحمه الله، وكان الناس يعتقدون أنه من أهل الكرامات،  
وهو لا يدعي شيئاً من ذلك. قصّ علينا بلسانه أنه جاءه مرة رجل في اليوم الثامن  
من ذي الحجة يسأله أن يرسله إلى الحج، أيام كان السفر إلى الحج يستغرق في البر  
أو البحر أسبوعاً على الأقل.

١ - علي بن مصطفى طنطاوي، فقيه وأديب سوري، من اعلام الدعوة في عصرنا، له مقالات وكتب وبرامج  
تلفزيونية وإذاعية مشهورة، توفي في التسعين من العمر في السعودية عام ١٩٩٩ ميلادية، ودفن في  
مقبرة مكة.

فقال له: كيف آخذك إلى الحج والوقفة غداً؟ قال: إنك من أهل الكرامات، وقد خبروني أنك تستطيع أن توصلني إلى مكة. فقال له: يا أخي، إن الذي خبرك قد سخر منك. أنا لا أستطيع أن أوصل نفسي الآن إلى مكة، فضلاً عن أوصلك. فقال: بل تستطيع، أنت من أهل الكرامات، قد خبروني بذلك.

ولازمه لا يفارقه، فقال له: هل تكتم كل ما أصنعه معك ولا تخبر به أحداً؟ قال: نعم. قال: وتقسم على ذلك؟ فأقسم له، وزاد على القسم طلاق امرأته ثلاثاً إذا خبر أحداً. قال له: امش معي.

فأخذه إلى مسجد التكية السليمانية في الشام، وفيها بركة ماء مربعة طول كل ضلع من أضلاعها عشرة أذرع، ولكن عمقها قليل. وكان المسجد خالياً في تلك الساعة من النهار، فقال له: قف على حافة البركة، فوقف. قال: أغمض عينيك. فأغمض عينيه، فدفعه الشيخ إلى البركة وهرب! فصاح وتخبط، فاجتمع نفر من المارة سمعوه فأخرجوه والماء يقطر منه. قالوا: كيف سقطت؟ من رماك؟ قال: لا أستطيع أن أقول!'.<sup>١</sup>



### الفوائد الفقهية والوعظية :

**أولاً:** من عزم على فعل صالح وجب عليه أن يأخذ بأسبابه ولا يتأخر ولا ويسوف ولا فاته الخير، والحج هو الفعل الصالح الذي عزم عليه صاحبنا هنا، فوجب أن يأخذ بأسبابه فيستعد له ويتجهز بالمؤن واحتياجات الطريق، ثم اختيار وسيلة السفر والتي تستغرق أياماً في وقتهم، ثم الشروع في السفر في الوقت الذي يتيح له الوصول إلى مكة في أيام الحج، ولكن صاحبنا سوف وتأخر واتكل على وسيلة غير معتادة وهي كرامات الصالحين؛ فأداه ذلك إلى التعرض لمثل هذا الموقف المحرج والمزعج.

### ثانياً: كرامات الصالحين :

**خوارق العادات بحسب تقسيم أهل العلم، هي ثلاثة أقسام :**

١- معجزات الأنبياء.

٢- كرامات الصالحين.

٣- الخوارق التي تجري على أيدي السحرة وأمثالهم.

فأما الأولى فمحل إجماع، وأما الثانية والثالثة فيدخلها النزاع وإن كان جمهور المسلمين على إثباتها.

**وفي الموسوعة الفقهية الكويتية :** «ذهب جمهور علماء أهل السنة إلى جواز ظهور أمر

خارق للعادة على يد مؤمن ظاهر الصلاح إكراماً من الله تعالى له، وإلى وقوعها فعلاً، ويسمى ولياً.



والولي في هذا المقام: هو العارف بالله تعالى وبصفاته حسب الإمكان، والمواظب على الطاعة المجتنب للمعاصي، بمعنى أنه لا يرتكب معصية بدون توبة، وليس المراد أنه لا يقع منه معصية بالكلية، لأنه لا عصمة إلا للأنبياء<sup>١</sup>.

وأما ما تناط به أحكام الشرع في دنيا الناس فإنما يتعلق بالعاديات لا بالخوارق والكرامات، وفي الموسوعة الفقهية الكويتية: « إذا ادعى أحد ما لا يمكن عادة، ويمكن بالكرامة، فلا يُقبل شرعاً وهو لغو، كأن ادعى أنه رهن داره بالشام وأقبضه إياها، وهما بمكة؛ لم يقبل قوله، قال القاضي أبو الطيب: وهذا يدل على أنه لا يحكم بما يمكن من كرامات الأولياء، وكذا إن تزوج بامرأة في المغرب وهو بالمشرق وولدت لستة أشهر لا يلحقه؛ لأن هذه الأمور لا يعول عليها بالشرع، وإن خص الشارع شخصاً بحكم يبقى الحكمُ خاصاً به، ولا يتعداه إلى غيره بالقياس، كقوله صلى الله عليه وسلم: "من شهد له خزيمة أو شهد عليه فحسبه"، وهذه مكرمة خاصة بخزيمة بعد شهادته بشهادتين، فلا يقاس عليه غيره لأنه كرامة مختصة به، ولا يقاس عليه غيره<sup>٢</sup>.

وأما التفريق بين كرامة الولي الصالح والخوارق التي تقع على أيدي السحرة والمشعوذين؛ فإنما يرجع إلى حال الشخص، فإن عُرف الشخص بالصلاح والدين والورع فما وقع عليه يديه يعد من الكرامة وإلا كان من خوارق السحرة لإغواء الناس، « يقول أبو يزيد البسطامي: لو نظرتهم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى

١ - الموسوعة الفقهية الكويتية (٢١٨/٣٤).

٢ - الموسوعة الفقهية الكويتية، (٢٢١/٣٤).

يرتقي في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عن الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة»<sup>١</sup>.

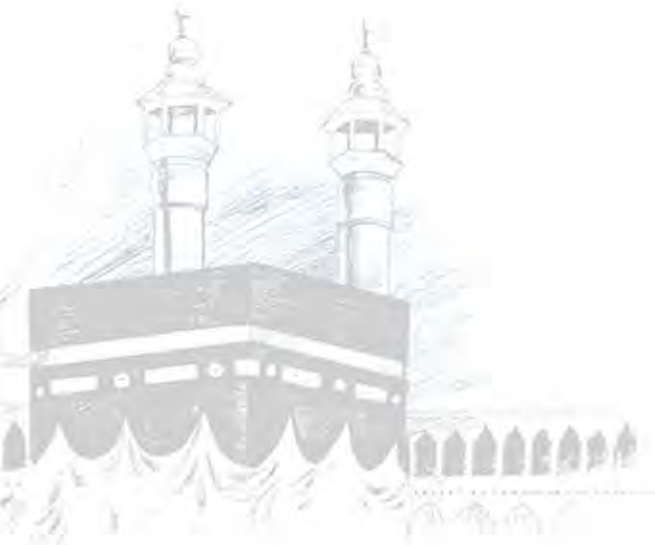
وقد كثرت نسبة الكرامات للأولياء والصالحين، ولكن كثيراً منها لا يثبت وإنما هو مما يشيعه الناس تعلقاً منهم بالخرافة وانتصاراً لهؤلاء الأولياء وكلفاً بالتحديث بالعجائب، ومثاله القصة السابقة، فأحمد الحارون رحمه الله رجل صالح لم يدع كرامة وإنما تبرع الناس بادعائهم الكرامات ونسبتها له، ثم صدقوا دعواهم رغم إنكار صاحب الشأن الولي الصالح لتلك الدعاوى!

وأخيراً إنما تحصل الكرامة للمتابع بفضل صلاحه واتباعه لنبيه وبالنتالي فهي من آيات صدق ذلك النبي، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «قال العلماء: كل كرامة لولي، في آية للنبي الذي اتبعه، لأن الكرامة شهادة من الله عز وجل أن طريق هذا الولي فهي طريق صحيح».

وعلى هذا، ما جرى من الكرامات للأولياء من هذه الأمة فإنها آيات لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»<sup>٢</sup>.

١ - نقلا عن الموسوعة الفقهية الكويتية، (٣٩/٨).

٢ - مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٨ / ٦٢٩).





## ضريير ينقذ المبصرين من الهلاك في الوادي !



وهذه قصة عجيبة جرت في الطريق إلى الحج، وقد سبق وذكرنا هذه القصة في كتاب «محسنون من بلدي» والذي أشرفنا على تحريره، ويطل القصة هو الحاج الضريير محمد بن فلاح صاحب الفطنة والذكاء المفرط، فيذكر أنه في إحدى رحلاته في قافلة الحج وبعد أن دخلوا الأراضي السعودية حل عليهم الليل، فإذا بالمرحوم محمد يأمرهم بالتوقف فجأة لأنهم أخطأوا الطريق، فاعتقدوا بخطأ رأيته في بادي الأمر ولكنهم وقفوا لكونه صاحب الحملة، وقال « من أصبح أفلح »، ولما أصبحوا عرفوا أنهم فعلاً أخطأوا الطريق، بل كانوا متوجهين إلى منحدر صعب، فعجبوا وسألوه: كيف عرفت أننا قد ضللنا الطريق؟، فقال لهم: لسببين، الأول: هو تغير رائحة العشب بالمكان، والثاني: هو تغير مهب الهواء من جهة الأذن، فعرفت أننا قد ضللنا الطريق، فتعجبوا لفطنته وذكائه!



## الفوائد الفقهية والوعظية :

أولاً: في هذه القصة عبرة لفتين من الناس :

**الأولى:** هم من ابتلوا بالإعاقة، ففي القصة إرشاد لهم وتنبيه بأن يتخلوا عن الإحباط أو الشعور بأنهم أقل من غيرهم، فذلك غير صحيح، فأما من جهة الدين، فبلاؤهم يرجى من ورائه الأجر والثواب ورفعة الدرجة، وكلما عظم البلاء زاد الأجر، وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها »<sup>١</sup>، وروى أبو هريرة أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: « لا يزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة، في جسده، وفي ماله، وفي ولده، حتى يلقي الله وما عليه من خطيئة »<sup>٢</sup>؛ فإنه إن صبر واحتسب؛ كان بلاؤه نعمة ومنحة في الآخرة، وأما في الدنيا فقد جرت العادة بأن من حُرِمَ نعمة؛ عوضه الله تعالى بغيرها، وفي الحكاية التي وردت دليل ذلك، فقد حرم الحاج محمد فلاح من نعمة البصر ولكن عوضه الله تعالى بحدة في حاستي الشم والسمع فاق بواسطتهما المبصرين فأنقذ الله تعالى به مَنْ معه من الحجاج.

**وأما الفئة الثانية :** فهم من عافاهم الله تعالى من ذلك البلاء، فوجب أن يتقوا الله سبحانه في إخوانهم وأن يتجنبوا الإساءة إليهم، وأن لا يتصوروا علوهم عليهم

١ - صحيح البخاري (٥٦٤١)، صحيح مسلم، (٢٥٧٣)، والوصب: هو الوجع، والنصب: التعب، انظر شرح

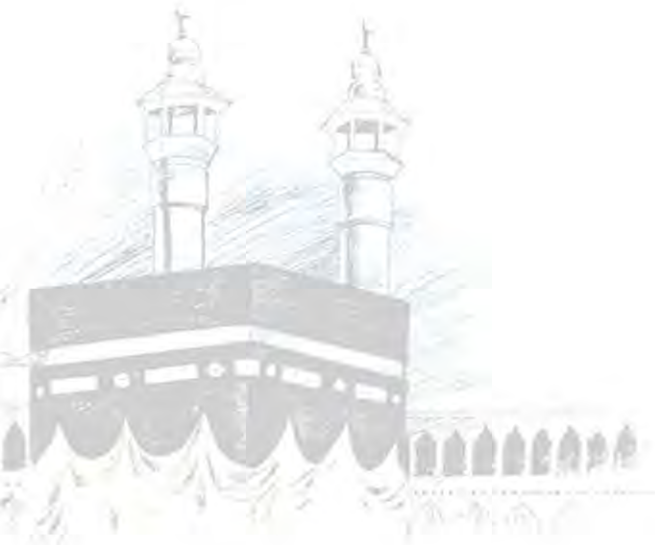
النووي على مسلم، (١٦/١٣٠).

٢ - مستند أحمد (٧٨٥٩).

وتفوقهم فقط لسلامتهم من ذلك البلاء، فذلك غير صحيح والشواهد عليه من الواقع كثيرة والقصة السابقة إحداها، فمع المحنة تكون المنحة وإن لم تظهر للعيان، ثم ينبغي عليهم أن يعلموا أنهم إنما عوفوا بفضل الله تعالى ولو شاء لابتلوا، فوجب أن يحمدوا الله تعالى الذي عافاهم من ذلك البلاء مع مراعاة أن لا يكون ذلك على سمع المبتلى فيؤذيه بذلك، وقد كان محمد الباقر بن علي بن الحسين رضي الله عنهم إذا رأى مبتلى أخفى الاستعاذة رعاية منه لقلوب أهل البلاء.

**ثانياً:** مما يستفاد من هذه القصة أن يأخذ المسافر إلى الحج دائماً بأسباب الحيطة والحذر، فربما يصرف الله تعالى عنه بذلك شراً كان ليقع فيه لولا أن يسر له أخذه بالأسباب، ولولا أن أخذ المسافرون مع الحاج فلاح بأسباب الوقاية والاحتياط لسهم سوء وشر.

**ثالثاً:** ينبغي أن يلتزم الحاج بالتعليمات والنظم التي وضعها القائمون على الحملات، فإنما كانت تلك النظم وليدة تجارب ومعاناة، وما وضعت إلا للحفاظ على سلامتك ومن معك، فالتقيد بها أمان لك وضمان لسلامتك بإذن الله تعالى.



## الحاج زغبوط !

في مقالة لصحيفة الأنباء وردت هذه القصة الطريفة والتي «حدثت للحاج يوسف بهبهاني الذي كان لديه دكان في السوق الداخلي، وكان لديه في المحل إناء وضع فيه قطعة من الحلوى، وفي أثناء انشغاله في المحل أخذ بدوي يأكل الحلوى كلها ولم يترك شيئاً في الإناء، فتعجب بهبهاني من تصرفه، فقال البدوي للحاج يوسف وهو شاكرٌ لصنيعه: ما اسمك؟ فرد عليه بهبهاني: «زغبوط»<sup>١</sup>، فقال البدوي: والنعم يا زغبوط.

وتمضي الأيام فيقدر الله سبحانه أن يذهب الحاج يوسف الى الحج، وفي طريقهم هجم عليه جماعة من سُراق الحجاج من البادية، وإذا يفاجأ بهبهاني بأن البدوي صاحب الحلوى معهم، فتعرف عليه البدوي وقال له: هل أنت الحاج زغبوط؟ فقال: نعم، فأمر البدوي أتباعه برد الأغراض المسروقة من الحملة»<sup>٢</sup>.

١ - كلمة دارجة في اللهجة الكويتية ويقصد بها السم، فهو يقول لذلك الرجل: عسى ما أكلت يستحيل سماً في بطنك.

٢ - صحيفة الأنباء، بتاريخ: ١٩/١٠/٢٠١٢م

## الفوائد الفقهية والوعظية :

هذه القصة الطريفة مصداق صريح لما روي في الحديث النبوي: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء»<sup>١</sup>، فالحسن الذي أسداه الحاج يوسف عاد عليه بإنقاذه ومن معه من شرق طاع الطريق ويطشهم، وصدق الحطيئة<sup>٢</sup> إذ قال:

**من يفعل الخير لا يعدم جوائزه ... لا يذهب العرفُ بين الله والناس<sup>٣</sup>**

وربما خطر ببال قارئ: أين المعروف وقد دعا على سارق الحلوى بتجرع السم فقال له: زغبوط؟

**فالجواب:** ما صدر من الحاج يوسف كان ردة فعل طبيعية لذهوله من تصرف ذلك الرجل، والخير الذي أسداه له كان بأنه تجنّب تصعيد الموقف، وكان بإمكانه أن يشتبك مع الرجل سارق الحلوى أو حتى يستعين عليه بمن حوله من المتسوقين أو أصحاب المحلات المجاورة، ولكنه لم يفعل وآثر السكوت وتجاوز الموضوع، فكان معروفاً أسداه لذلك الرجل.

وأيضاً مما يستفاد من القصة أن الخير في كل إنسان موجود وإن غلب عليه الشر؛ فقاطع الطريق هذا رغم فظاظته قد حفظ معروف قطعة الحلوى التي أكلها في

١ - معجم الطبراني، (٨٠١٤).

٢ - هو جرول بن أوس، من بني قطيعة بن عبس، ولُقّب الحطيئة لقصره وقربه من الأرض، توفي نحو (٤٥هـ)،

انظر: الأعلام للزركلي، (١١٥/٤).

٣ - أدب الدنيا والدين (ص: ٢٠٢).

دكان الحاج يوسف، وأثمر ذلك رده لمسروقات ثمنها أعظم بكثير من ثمن قطعة الحلوى، وفعله من الوفاء والمروءة التي تندر في الناس اليوم.  
وأخيراً نقول: صانع المعروف رابح على كل حال، سواء في الدنيا أو الآخرة، وسواء شكر ذلك الذي أدّى إليه المعروف معروفه أم جحده، قال ابن المبارك رحمه الله:

**يد المعروف غنم حيث كانت ... تحملها كفور أم شكور**

**ففي شكر الشكور لها جزاء ... وعند الله ما كفر الكفور<sup>١</sup>**

ولعل في هذا الموقف الغريب ما ذكرنا بموقف آخر فصلته باستفاضة يقتضيها شرح أبعادها المهمة لفهم تسلسله، حيث تجلت فيه قيمة الوفاء حتى عند وحوش البشر، ولكي أجمع بين الفائدة الكبيرة منها وبين كونها لم تقع في الحج، فقد فضلت تأخيرها كملحق للكتاب تحت عنوان: «الوفاء قيمة فطرية حتى عند وحوش البشر».

١ - عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار، حاجاً ومجاهداً وتاجراً. وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء، انظر: الأعلام للزركلي (٤ / ١١٥).

٢ - الآداب الشرعية، (١ / ٣١١).

## من لطائف الإحرام



الإحرام ركن من أركان الحج والعمرة، وهو مصدر: أحرم الرجل يُحرم إحراماً، إذا أهل بالحج أو العمرة، وياشر أسبابهما وشروطهما من خلع المخيط، وأن يتجنب الأشياء التي منعه الشرع منها كالطيب والنكاح والصيد وغير ذلك<sup>١</sup>.

ويقترن ارتداء لباس الإحرام بنية الدخول في الحج أو العمرة أو فيهما معاً. والتحلل من الإحرام يكون بعد رمي جمرة العقبة وحلق الرجل رأسه أو تقصير شعره، وليس للمرأة إلا التقصير؛ فيحل لكل منهما بذلك كل شيء كان محرماً عليهما بالإحرام إلا الجماع، أما التحلل الأكبر فيكون بالفراغ من طواف الإفاضة والسعي إذا كان عليه سعي؛ فيحل لهما كل شيء كان محرماً عليهما بالإحرام حتى الجماع<sup>٢</sup>.

١ - انظر: النهاية في غريب الحديث، (٣٧٣/١).

٢ - انظر: فتاوى اللجنة الدائمة، (٢٢٢/١١).

ومن اللطائف التي وردت في الإحرام :

### حكم الاضطباع في طواف الوداع

**اللطيفة الأولى:** أن أحد الحجاج ذهب إلى أحد شيوخ الحملة التابع لها وسأله عن «حكم الاضطباع في طواف الوداع»<sup>١</sup>.

### الفوائد الفقهية والوعظية:

بداية فإن من سنن طواف القدوم في الحج والعمرة الاضطباع للرجال دون النساء، والاضطباع « هو أن تُدخل الرداء من تحت إبطك الأيمن وترد طرفه على يسارك وتُبدي منكبك الأيمن وتغطي الأيسر، وإنما سمي اضطباعاً لإبدائك فيه ضبعيك، وهما عضداك »<sup>٢</sup>.

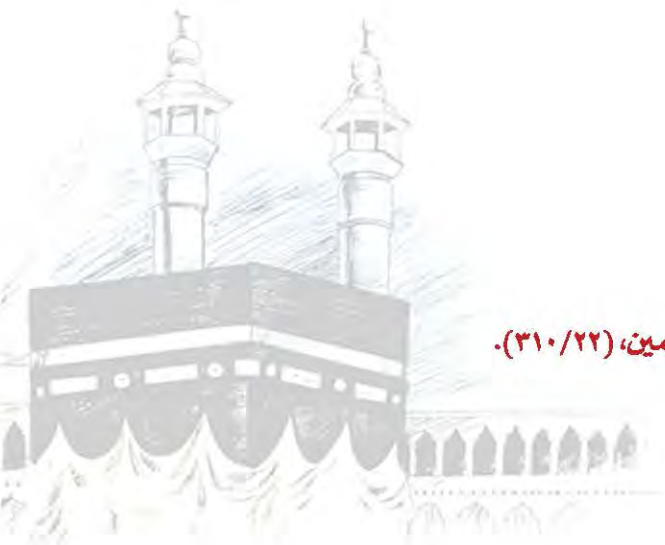
وموطن الغرابة في هذا السؤال أن طواف الوداع لا يكون فيه إحرام أصلاً حتى يكون فيه اضطباع؛ حيث يتحلل الحاج بعد رمي جمرة العقبة كما ذكرنا، ويلبس ملابسه العادية، وبناء على ذلك فإن الاضطباع لا يكون إلا في طواف القدوم فقط، أما طواف الإفاضة وطواف الوداع - من باب أولى - فليس فيهما بُس إحرام أصلاً، وليس مطلوباً من الحاج أو المعتمر إخراج ذراعه من جلبابه أو قميصه<sup>٣</sup>

١ - مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، (٣٠٩/٢٢).

٢ - غريب الحديث لابن قتيبة (١/١٨٣).

٣ - انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، (١٣٤/٢٩).

وقد أجاب الشيخ ابن عثيمين رحمه الله فقال: « طواف الوداع لا اضطباع فيه؛ لأن الإنسان ليس بمحرم، فالإنسان يطوف طواف الوداع وعليه ثيابه المعتادة، ليس عليه إزار ورداء، وحتى لو فرض أنه ليس لديه ثياب معتادة كالقميص وأن عليه رداءً وإزاراً فإنه لا يضطبع، لأن الاضطباع إنما هو في الطواف أول ما يقدم الإنسان إلى مكة. »





## هل أغطي وجهي وأنا محرم لأنني أحج عن والدتي؟

من الأسئلة اللطيفة والعجيبة التي وردت لأحد الشيوخ في إحدى حملات الحج:  
« هل أغطي وجهي وأنا محرم لأنني أحج عن والدتي؟ ».

### الفوائد الفقهية والوعظية :

وهذا السؤال « اللطيف » ناتج عن فهم قاصر لدى صاحبه؛ حيث ظن أنه ما دام يحج عن والدته؛ فيجب عليه أن يؤدي عنها المناسك بالطريقة نفسها التي كانت ستؤدي بها هي الحج لو حجت بنفسها.  
وإزاء هذا الأمر نؤكد ما يلي:

**أولاً:** تغطية الوجه ليس من مناسك الحج للمرأة؛ بل إنها يحرم عليها لبس النقاب والقفازين في الإحرام، وإن كان الفقهاء أجازوا لها أن تغطي وجهها بطرف خمارها ويدها بثوبها، خاصة لمن كانت تلتزم النقاب أو البرقع في الأحوال العادية.

**ثانياً:** من نافلة القول أنه ليس المقصود بالحج عن الغير أن تؤدي المناسك حسب المحجوج عنه؛ بل حسب القائم بها فعلياً؛ فإذا حج رجل عن امرأة فليس عليه أن يلبس إحرام النساء ويغطي رأسه ... إلخ. وإذا حجت المرأة عن الرجل فليس مطلوباً منها لبس إحرام الرجال وكشف الرأس ... بل تلتزم بما هو مشروع للنساء.

### أفتاه بأن يعتمر ثلاث مرات !

يقول أحد الفضلاء: ذهب رجلان من معارفي إلى العمرة، أحدهما لديه إمام بسيط بأحكام العمرة من رحلات سابقة، أما الآخر فكانت تلك عمرته الأولى، وكان لا يعرف من أحكامها شيئاً، وبعد الطواف والسعي عادا إلى مسكنهما، فظن الرجل أنه بذلك قد أتم عمرته فتحلل من إحرامه واغتسل وتطيب ولبس ملبسه المعتادة، فعندما رآه صديقه متحللاً سأله: لماذا تحللت ونزعت إحرامك؟ فأجابته: لأننا انتهينا، فأخبره صديقه بأنه لم ينته بعد فقد بقي عليه الحلق أو التقصير، وأنه بتحلله قبل ذلك قد أبطل عمرته، وطلب منه أن يعاود ارتداء الإحرام ويعيد العمرة مرة ثانية فعاد الرجل وكرر الطواف والسعي، ثم وعند عودته إلى الفندق قام يشكو لصديقه من الملابس الداخلية التي كان يرتديها تحت الإحرام وأنها آذته في السير، فأنكر عليه صديقه لبسها وأفتاه بأن عمرته الثانية هذه قد بطلت كذلك، ووجبت عليه الإعادة للمرة الثالثة، فعاد وطاف وسعى ثم عاد منهكاً من التعب!

### الفوائد الفقهية والوعظية :

لا يدري الإنسان حين يسمع بهذا الموقف أو أمثاله من المواقف هل الضحك هو الأولى أم الحزن، فهذا الاستهتار الذي يتعامل به كثير من الناس مع العبادات محزن جداً، وقارن بينه وبين كيفية تعاطيهم مع المسائل الدنيوية، ك شراء سلعة أو سيارة أو عقار مثلاً، فترى الرجل منهم يستفرغ وسعه في البحث والتقصي والقراءة والسؤال قبل أن يقدم على أي خطوة، وقارنه مع حال الناس في تعاطيهم مع المسائل الدينية،

فتراه يسافر إلى مكة لأداء منسك وقربة لا يدري لعلها تكون هي حظه من الدنيا فلا يكررها، ثم تراه يتهاون في تعلم أحكام تلك العبادة فلا يكلف نفسه بقراءة ولو كتيب صغير يوضح له أحكام العمرة أو الحج.

**وفي ما ارتكبه الأخوان عدة محاذير نبينها بإذن الله تعالى:**

**أولاً: الخوض في دين الله سبحانه والإفتاء بغير علم.**

وهذا المحذور هو أخطر ما وقع من الأخوين غفر الله تعالى لهما، أو بالأحرى فقد وقع من الأخ المفتي دون ذلك المسكين الذي كرر الطواف والسعي مراراً.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «أحب أن أوجه إلى إخواننا عامة المسلمين التحذير من الفتوى بغير علم، فإن الفتوى بغير علم جناية كبيرة حرّمها الله عز وجل وقرنها بالشرك في قوله: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}، فإن قوله سبحانه: {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}، يشمل القول على الله في أسمائه وصفاته وفي أفعاله وأحكامه، فالذي يفتي الناس بغير علم قد قال على الله ما لا يعلم ووقع فيما حرم الله عليه، فعليه أن يتوب إلى الله، وعليه أن يمتنع عن صد الناس عن سبيل الله، فإن المفتي بغير علم يعتمد المستفتي فتواه فإذا كانت خاطئة فقد صده عن سبيل الله ومنعه من سؤال أهل العلم، لأنه - أعني هذا المستفتي - يعتقد أن ما أجابه به هذا المفتي الخاطيء صواب فيقف عن سؤال غيره، وحينئذ يكون هذا المفتي الخاطيء صاداً للناس عن سبيل ربهم، وما أكثر

الفتاوى التي نسمعها في الحج خاصة وهي فتاوى خاطئة بعيدة عن الصواب، بل ليس فيها شيء من الصواب، تكاد تقول عند كل عمود خيمة عالم يفتي الناس، وهذا من الخطورة بمكان، فالواجب على المرء أن يتقي ربه وأن لا يفتي إلا عن علم يأخذه من كتاب الله، أو من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أو من أقوال أهل العلم الذين يوثق بأقوالهم<sup>١</sup>.

### ثانياً: التقصير في تعلم أحكام العبادة قبل الشروع فيها.

العبادة هي طاعة الله تعالى والتزام أمره، ومن البدهي أن الطاعة لتتحقق يجب أن تُسبق بالعلم بأمر الله تعالى وشرعه، فالمسافر للحج إنما يقصد بيت الله تعالى ليؤدي ركناً من أركان الإسلام فوجب عليه أن يتعلم كيفية تأدية ذلك الركن ليضمن تحقق الثواب العظيم الذي وعد الله تعالى به عباده، ولتكرار خطأ الحجاج والمعتمرين والمتمثل بتقصيرهم بتعلم أحكام المناسك قبل الحج وجه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله نصيحة للمسلمين فقال: «أنصح إخواني المسلمين إذا أرادوا الحج أن يتعلموا أحكام الحج قبل أن يحجوا؛ لأنهم إذا حجوا على غير علم فربما يفعلون أشياء تخل بنسكهم وهم لا يشعرون، وربما لا يتذكرون ذلك إلا بعد مدة طويلة، فعلى المرء إذا أراد أن يحج أن يتعلم أحكام الحج، إما عن طريق العلماء مشافهة، وإما عن طريق قراءة المناسك المكتوبة وهي كثيرة ولله الحمد<sup>٢</sup>، وقال رحمه الله أيضاً: «الواجب على المسلم أولاً إذا أراد أن يفعل عبادة أن يسأل عن أحكامها من يثق به من

١ - مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٢ / ٦٦).

٢ - مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٣ / ١٦٧).

أهل العلم، لأجل أن يعبد الله تعالى على بصيرة، والإنسان إذا أراد أن يسافر إلى بلد وهو لا يعرف طريقها، تجده يسأل عن هذا الطريق، وكيف يصل، وأي الطرق أقرب وأيسر، فكيف بطريق الجنة وهو الأعمال الصالحة؟! فالواجب على المرء إذا أراد أن يفعل عبادة أن يتعلم أحكامها قبل فعلها<sup>١</sup>.

### ثالثاً: التهاون بسؤال من لا يُعرف بالعلم.

وهذا قد اختص به المستفتي، وكان الواجب عليه أن يتوجه إلى شيخ معروف بالعلم ليستفتيه، وهم متوافرون ووسائل الاتصال بهم متاحة، ولو أنه فعل لأغناه ذلك عن المشقة التي وقعت له من تكرار الطواف والسعي مراراً.

بل إنه كان يسعه الرجوع إلى الفتاوى المنسوبة إلى العلماء الثقات والمبثوثة على المواقع الإلكترونية المعروفة والموثوقة، وبالتالي لا يقتضيه ذلك ذلك البحث عن العلماء في مكاتب الإفتاء.

وقد بين أهل العلم أوصاف المستفتي وشرائطه فقالوا: «أما شرط الاستفتاء فهو أن يغلب على ظن المستفتي أن من يستفتيه من أهل الاجتهاد بما يراه من انتصابه للفتوى بمشهد من أعيان الناس وأخذ الناس عنه، وأن يظنه من أهل الدين بما يراه من اجتماع الجماعات على سؤاله واستفتائه وبما يراه من سمات الستروالدين<sup>٢</sup>، وأيضاً: «اتفقوا على أن العامي لا يجوز له أن يستفتي إلا من غلب على ظنه أنه من

١ - مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٣ / ٣٤٢).

٢ - المعتمد في أصول الفقه، (٢ / ٣٦٣).

أهل الاجتهاد والورع، وذلك بأن يراه منتصباً للفتوى بمشهد الخلق، ويرى إجماع المسلمين على سؤاله<sup>١</sup>، فإن لم تتوافر فيه الصفات السابقة فلا تبرأ الذمة بفتواه. وبقي لنا بيان حكم المسألة التي وقعت لهذا المعتمر، فنقول: سئل الشيخ ابن باز رحمه الله عن امرأة اعتمرت ونسيت أن تقصر شعرها ثم تذكرت بعد يومين فماذا تفعل؟

فقال: « إذا طاف المعتمرو سعى ثم نسي التقصير، قصر متى ذكره في بلده أو غيرها<sup>٢</sup>. »

وسئل رحمه الله تعالى عن رجل لبس المخيط قبل أن يحلق أو يقصر في العمرة ونسي ذلك؟

فأجاب رحمه الله: « إذا لبس المخيط ناسياً قبل أن يقصر؛ وجب عليه خلعته متى ذكر، ثم يحلق أو يقصر ولا شيء عليه؛ لقول الله سبحانه وتعالى: «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا»<sup>٣</sup>. »

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن حكم من نسي التقصير في العمرة وتحلل من إحرامه وفعل بعض محظورات الإحرام؟

فأجاب بقوله: « حكم من نسي التقصير في العمرة حتى تحلل من إحرامه وفعل شيئاً من محظورات الإحرام أن تحلله من إحرامه ليس عليه فيه شيء، وما فعله من

١ - نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، (ص: ٤٠٥).

٢ - مجموع فتاوى ابن باز، (١٧ / ٤٣٧).

٣ - مجموع فتاوى ابن باز (١٧ / ٤٣٧).

محظورات ولو كان الجماع ليس عليه فيه شيء، لأنه ناسٍ للحلق، وجاهلٌ في فعل المحظور، فليس عليه شيء، ولكن إذا ذكر وجب عليه أن يخلع ثيابه ويلبس ثياب الإحرام لأجل أن يقصر وهو مُحرم، هذا إذا كان رجلاً، إما إذا كانت امرأة فإنه لا يلزمها أن تخلع ثيابها بل تقصر وإن لم يكن عليها ثيابها التي أحرمت بها؛ لأن المرأة ليس لها ثياب خاصة للإحرام، فالمرأة تلبس في الإحرام ما شاءت من الثياب إلا أنها لا تتبرج بالزينة. والله أعلم،<sup>١</sup>.



## استعجلنا في التحلل من الإحرام !



يقول أحد الفضلاء: هيئنا في سبعينيات القرن الماضي مخيماً لنا لنجتمع فيه وكُنَّا مجموعة من الشباب الملتزم يبلغ عددنا خمسين أو ستين شاباً، فذهبنا إلى الحج، ومن الطبيعي أن تغيب عنا -ونحن لازلنا في ريعان الشباب- بعض الأحكام المتعلقة بالحج، وقبل أن نرمي الجمار ذبحنا الهدى، وظننا أن الحلق والذبح يكفيان لنحل إحرامنا، وبالفعل اجتمعنا وصار كل واحد منا يحلق لأخيه، فتحللنا ولبسنا «الدشداشة»، فلقينا بعضهم فسألونا: لماذا تحللتم؟ فأنتم لم ترموا الجمار بعد، ولم تطوفوا طواف الإفاضة! فاستفتينا بعض المشايخ في مكة فأخبرونا بأن المؤاخذه سقطت عنا لجهلنا بالأحكام، وأمرونا بالمتابعة وإتمام باقي المناسك.





### الفوائد الفقهية والوعظية :

هذه القصة لاحقة بالتى سبقت، مكملة لها، دائرة في فلکها، ويصدق فيها ما قيل في أختها، ولكن نزيد عليها التفصيل في مسألة ارتكاب محظور من محظورات الإحرام وعددها تسعة محظورات: « اجتناب قص الشعر، والأظافر، والطيب، ولبس المخيط، وتغطية الرأس، وقتل الصيد، والجماع، وعقد النكاح، ومباشرة النساء، كل هذه الأشياء يمنع منها المحرم حتى يتحلل، وفي التحلل الأول يباح له جميع هذه المحظورات ما عدا الجماع، فإذا كمل الثاني حل له الجماع »<sup>١</sup>.

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن حكم من عمل محظوراً من محظورات الإحرام التسعة جاهلاً أو ناسياً؟

فأجاب قائلاً: «إذا عمل الإنسان شيئاً من محظورات الإحرام ناسياً أو جاهلاً فلا شيء عليه لعموم قوله تعالى ﴿... رَبَّنَا لَا تَوَاخِدْنَا إِن نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ...﴾، وقوله ﴿... وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ...﴾، وقوله تعالى في خصوص الصيد ﴿... وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ...﴾، فدل هذا على أن غير المتعمد لا شيء عليه، ولا فرق في هذا بين المحظور الذي يفسد النسك كالجماع وغيره. فكلها إذا فعلت نسياناً أو جهلاً أو إكراهاً لا شيء فيها، وينبغي أن يعلم أن فاعل محظورات الإحرام لا يخلو من ثلاث حالات: إما أن يكون معذوراً بجهل أو نسيان أو إكراه؛ فهذا لا شيء عليه، وإما أن يكون متعمداً بدون عذر يبيح له فعل المحظور؛ فهذا عليه الإثم وما يقتضيه المحظور من فدية أو إفساد، وإما

١ - مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (١٧ / ١٠٩).

أن يكون متعمداً لكن لعذر يبيح له فعل المحظور؛ فهذا عليه فدية بدون إثم، لقوله تعالى ﴿... فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ...﴾، فيفعل المحظور لحاجته إليه أو ضرورته ويؤدي ما فيه من فدية إن كان فيه فدية<sup>١</sup>.

فهذا تأصيل نافع مختصر في حال من ارتكب محظوراً من محظورات الإحرام، وبقي لنا أن نؤكد على ضرورة التعلم قبل الذهاب إلى الحج كي يتحرك الحاج مهتدياً بنور العلم، ولتجنب وقوعه في المحظورات، وقد وجه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله نصيحة غالية للحجاج الذين يقصرون في التعلم قبل السفر إلى الحج أسوقها للفائدة، قال رحمه الله: «وأوجه هؤلاء وغيرهم ممن يعبدون الله تعالى على غير علم، فإن كثيراً من الناس يصلون ويخْلُون بالصلاة وهم لا يعلمون وإن كان هذا قليلاً؛ لأن الصلاة والحمد لله تتكرر في اليوم خمس مرات ولا تخفى أحكامها الكلية العامة على أحد، لكن الحج هو الذي يقع فيه الخطأ كثيراً من العامة ولا ومن بعض طلبة العلم الذين يفتون بغير علم، لذلك أنصح إخواني المسلمين وأقول: إذا أردتم الحج فاقرأوا أحكام الحج على أهل العلم الموثوقين بعلمهم وأمانتهم، أو ادرسوا من مؤلفات هؤلاء العلماء ما تهتدون به إلى كيفية أداء الحج، وأما أن تذهبوا إلى الحج مع الناس، ما فعل الناس فعلتموه، وربما أخللتم بشيء كثير من الواجب؛ فهذا خطأ، وإنني أضرب لهؤلاء الذين يعبدون الله تعالى على غير علم مثلاً برجل أراد أن يسافر إلى المدينة وهو لا يعرف الطريق فهل هو يسافر بدون أن يعرف

الطريق؟ أبدأ لا يمكن أن يسافر إلا إذا عرف الطريق، إما برجل يكون دليلاً له يصاحبه، وإما بوصف دقيق يوصّف له المسير، وإما بخطوط مضروبة على الأرض ليسير الناس عليها، وأما أن يذهب هكذا يعوم في البر فإنه لا يمكن أن يذهب، وإذا كان هذا في الطريق الحسي فلماذا لا نستعمله في الطريق المعنوي الطريق الموصل إلى الله؟! فلا نسلك شيئاً مما يقرب إلى الله تعالى إلا ونحن نعرف أن الله تعالى قد شرعه لعباده، هذا هو الواجب على كل مسلم أن يتعلم قبل أن يعمل، ولهذا بوب البخاري رحمه الله في كتابه الصحيح فقال: (باب العلم قبل القول والعمل) ثم استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.



## من لطائف الطواف



### مقدمة :

يُعرف الطَّوَّافُ في اللغة بأنه: الدَّوْران حول الشيء، وشرعاً: هو الدوران حول البيت الحرام<sup>١</sup>.

وللطواف أنواع كثيرة، منها: طواف الإفاضة في الحج، ويُسمى أيضاً طواف الزيارة، ويكون بعد الوقوف بعرفات يوم عيد الأضحى أو بعده، وهو ركن من أركان الحج، ومنها: طواف القدوم للحج، ويكون للمحرم بالحج وللقارن بين الحج والعمرة حينما يصل إلى الكعبة، وهو واجب من واجبات الحج أو سنة من سننه على خلاف بين العلماء، ومنها: طواف العمرة وهو ركن من أركانها، لا تصح بدونه، ومنها: طواف الوداع ويكون بعد انتهاء أعمال الحج والعزم على الخروج من مكة المكرمة، وهو واجب على الصحيح من قولي العلماء على كل حاج ماعدا الحائض والنفساء، فمن تركه

١ - التعريفات الفقهية (ص: ١٣٨).

وجب عليه ذبيحة تجزئ أضحية، ومنها: الطوافُ وفاءً بنذر من نذور الطواف بها، وهو واجب من أجل النذر، ومنها: الطواف تطوعاً، وكلُّ منها: سبعة أشواط، يصلي الطائف بعدها ركعتين خلف مقام إبراهيم إذا تيسر ذلك؛ فإن لم يتيسر صلاهما في أي مكان بالمسجد الحرام<sup>١</sup>.

والطواف لم يخل من بعض الطرائف واللطائف التي تقع من بعض زوار البيت الحرام، وهي في معظمها وليدة قصور أو تقصير في التفقه بأحكام الحج والعمرة من بعض الزائرين قبل الذهاب للحج أو العمرة، كما أن ورع بعض الحجاج والمعتمرين يحملهم على المبالغة في الاحتياط في أداء المناسك؛ والذي يؤدي إلى صدور تلك النوادر، وأيضاً - كما سبق ونبهنّا - فإن البيت يرتاده جميع أطراف الناس، ومنهم من تكون عُجمة لسانه مانعةً له من التفقه في أحكام الحج والعمرة.

**وفيما يلي نذكر بعض هذه اللطائف والطرائف الخاصة بالطواف، والتي  
تمكناً من جمعها من مصادر مختلفة:**

١ - انظر: فتاوى اللجنة الدائمة، (١١/٢٢٤).



## من لطائف الدعاء في الطواف :

### من طريف ما وقع في الدعاء أثناء الطواف ما يلي:

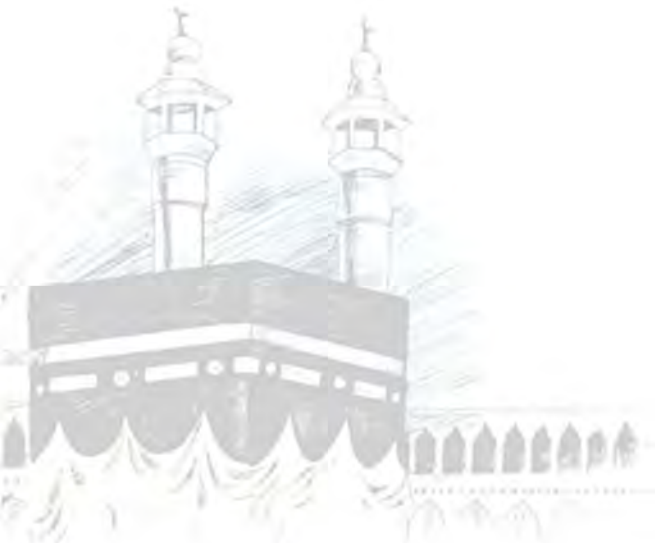
- قال أحد الحجاج: إنه رأى مجموعة من النساء يبدو أنهن من الجمهوريات السوفيتية، يتقدمهن رجل من بلادهن يقرأ العربية؛ إلا أنه لا يفهما جيداً، وذلك أنه كان يقرأ من كتاب الأدعية، وهن يرددن وراءه، حتى صار يقول: طُبع، فيقلن: طُبع... فيقول: في الرياض، فيقلن: في الرياض.. فيقول: في مطبعة كذا، فيقلن: في مطبعة كذا... إلخ<sup>١</sup>.

- ومن الطرائف أيضاً ما نقل عن أحدهم أنه دعا قائلاً: «اللهم اجعلنا من العشرة المبشرين بالجنة»، فرد عليه صاحبه: «يعني هيطلع مين من العشرة ويدخلك بداله؟».

- ومنها أيضاً ما ذكره أحد الأشخاص قائلاً: «كنت أطوف حول الكعبة، فسمعت رجلاً يدعو بحماس: اللهم... اللهم... اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث! فقلت له: يا أخي، هذا الدعاء تقوله إذا دخلت دورة المياه، فأجاب بسرعة: «ما في مشكلة.. كله دعاء كويس!»<sup>٢</sup>.

١ - صحيفة الأنباء الكويتية بتاريخ: ٢٠٠٨/١٢/٩م.

٢ - صحيفة الأنباء الكويتية بتاريخ: ٢٠٠٨/١٢/٩م.



- ومنها أيضا ما ذكرته إحدى الحاجات من أنها سمعت رجلا غير عربي يدعو من كتاب المأثورات والناس يرددون حوله، حتى قال: «باسمك ربي وضعت جنبي وباسمك أرفعه...» إلخ وهو دعاء النوم.

### الفوائد الفقهية والوعظية :

**أولاً:** من الأمور المندوبة والمستحبة في الطواف الإكثار من الذكر والدعاء والتقليل من الكلام؛ فهذه فرصة لا ينبغي التفريط فيها أو تضييعها، يقول ابن قدامة رحمه الله: «ويستحب الدعاء في الطواف والإكثار من ذكر الله تعالى؛ لأن ذلك مستحب في جميع الأحوال؛ ففي حال تلبسه بهذه العبادة أولى، ويُسْتَحَبُّ أَنْ يَدَعَ الْحَدِيثَ -الكلام إلا ذكر الله تعالى أو قراءة القرآن أو أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو ما لا بد منه»<sup>١</sup>.

**ثانياً:** لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم - كما ذكر كثير من العلماء - أدعية أو أذكار خاصة بالطواف، سواء في الحج أم العمرة، إلا ما ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول بين الركن اليماني والحجر الأسود: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»<sup>٢</sup>، وأنه صلى الله عليه وسلم كان يكبر كلما حاذى الحجر الأسود<sup>٣</sup>.

١ - المغني: (٣/٣٤٣).

٢ - مسند أحمد، (١٥٣٩٩).

٣ - صحيح البخاري، (١٦١٣).

يقول ابن تيمية: «وليس فيه -يعني الطواف- ذكر محدود عن النبي صلى الله عليه وسلم، لا بأمره، ولا بقوله، ولا بتعليمه؛ بل يدعو فيه بسائر الأدعية الشرعية، وما يذكره كثير من الناس من دعاء معين تحت الميزاب ونحو ذلك؛ فلا أصل له، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يختم طوافه بين الركنتين بقوله: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾، كما كان يختم سائر دعائه بذلك، وليس في ذلك ذكر واجب باتفاق الأئمة»<sup>١</sup>.

**ثالثاً:** يجب التفريق بين الأدعية والأذكار العامة المطلقة، وأدعية وأذكار الأحوال التي ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قالها أو ندب إلى قولها في أوقات وأحوال مخصوصة؛ مثل دعاء النوم أو دخول البيت والخروج منه، أو دخول المسجد، أو دخول الخلاء، أو أذكار الصباح والمساء، أو دعاء الاستخارة... إلخ؛ فهذه الأدعية والأذكار خاصة بأوقاتها وأحوالها فقط، وبعضها صيغته مناسبة لحالته؛ فلا ينبغي أن يقال في الطواف (فليس كله دعاء كويس، كما قال الحاج إياه)؛ فما ينبغي أن يدعو به هنا هو الأدعية العامة والدعاء للأهل والأولاد وسؤال الله المغفرة والرحمة. وهذه بعض الأدعية العامة المطلقة التي يمكن أن يقال في مثل هذا الموقف<sup>٢</sup>:

- اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي.

١ - مجموع الفتاوى، (١٢٢/٢٦).

٢ - دليل الحاج والمعتمر وزائر مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، (ص: ٥٦).



- اللهم عافني في بدني اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري. لا إله إلا أنت. اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقير، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت.
- اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.
- اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، ومن البخل والجبن، وأعوذ بك من غلبة الدين، وقهر الرجال.
- اللهم اجعل أول هذا اليوم صلاحاً وأوسطه فلاحاً، وآخره نجاحاً، وأسألك خيري الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين.
- اللهم إني أسألك الرضى بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقاءك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم، أو أعتدي أو يُعتدي عليّ، أو أكتسب خطيئة أو ذنباً لا تغفره.
- اللهم إني أعوذ بك أن أُرَدَّ إلى أرذل العمر.
- اللهم اهْدني لأحسن الأعمال والأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت.. واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت.
- اللهم أصلح لي ديني، ووسع لي داري، وبارك لي في رزقي.

- اللهم إني أعوذ بك من القسوة والغفلة والذلة والمسكنة، وأعوذ بك من الكفر والفسوق والشقاق والسمعة والرياء، وأعوذ بك من الصمم والبكم والجدام وسيئ الأسقام.

- اللهم آت نفسي تقواها، وزكها، أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

- اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعوة لا يستجاب لها.

- اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت، ومن شر ما لم أعمل، وأعوذ بك من شر ما علمت، ومن شر ما لم أعلم.

- اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفُجاءة نقمتك، وجميع سخطك.

- اللهم إني أعوذ بك من الهدم والتردي ومن الغرق والحرق والهرم، وأعوذ بك من أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك من أن أموت لُدِيغاً، وأعوذ بك من طمع يهدي إلى طبع.

**رابعاً:** ينبغي على المطوفين من غير العرب أن يكونوا على قدر من الفقه والعلم الذي يعينهم على مساعدة الناس في أداء مناسكهم بصورة صحيحة حسب السنة النبوية المطهرة؛ بل على السلطات الرسمية المعنية بالحج أن يشترطوا وجود هذا الضابط في المطوفين غير الناطقين بالعربية.



**خامساً:** ينبغي أن نعدر هؤلاء جميعاً، ونحذر من الاستهزاء بهم أو التندر عليهم في المجالس، وما أوردنا ذكر مواقفهم هذه في هذا السياق إلا للتعلم والاستفادة، وتجنب الأخطاء، ومعرفة التعليقات الفقهية والوعظية بشأنها؛ فالله عز وجل عالم بنياتهم، وقد يكونون معذورين بجهلهم، وربما تكون عبادة أحدهم عند الله تعالى أفضل من غيرهم لما علمه الله تعالى من صدق نياتهم ونقاء نفوسهم؛ فعلينا أن نعلمهم لا أن نتندر بهم.



## يطوف عكس الناس لتكون الكعبة على يمينه



وهذه إحدى الطرائف التي وردت في أثناء الطواف؛ حيث شوهد أحد المعتمرين يطوف عكس اتجاه الناس، وحينما استوقفه أحدهم وقال له إن هذا خطأ؛ كانت حجته أنه يريد أن تكون الكعبة عن يمينه، وليس عن يساره كما هو حال باقي الناس؛ لأن اليمين أشرف من الشمال، ويعز عليه أن يطوف والكعبة المشرفة عن شماله.

### الفوائد الفقهية والوعظية :

لا شك سلامة نية الرجل، لكن النية الطيبة وحدها لا تستقيم معها العبادة؛ إذ لا بد من شرطين لتكون العبادة صحيحة، وهما: إخلاص النية واتباع السنة؛ فهذا الرجل وإن كانت نيته سليمة فإنه فقد شرطاً مهماً لقبول العبادة وهو اتباع السنة، والسنة في الطواف أن يجعل الكعبة عن يساره، والسنة هنا هي المشروع لا غير، فلا يصح الطواف ولا يجزئ إن جعل الكعبة عن يمينه.

**أما الحكمة من جعل الكعبة عن اليسار وليس اليمين فنقول :**

**أولاً:** الأصل في العبادة الامتثال والخضوع، سواء اتضحت لنا الحكمة منها أم لم تتضح، والدليل على هذا ما ثبت عن عمر رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله، فقال: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلُك ما قبلتُك»، ومنه أيضاً ما روي عن الإمام علي رضي الله عنه: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحُ على ظاهر خُفيِّه»<sup>١</sup>.

**ثانياً:** اجتهد بعض العلماء في استخلاص الحكمة من جعل الكعبة على اليسار أثناء الطواف، منها ما ذكره أبو إسحاق الشاطبي، عن الفقيه الطيب العارف أبي عبد الله محمد بن علي الشقوري (ت: ٧٤١هـ)؛ حيث قال له: "الحكمة في ذلك وجهان:

**- أحدهما:** أن جهة اليمين أقوى من جهة اليسار، وذلك مشاهد، والطواف سيرٌ دوري، ولا شك أن أبعد الجهات إلى المركز الذي هو جهة البيت أقوى حركة من الجهة التي هي أقرب إليه، فجعل الشق الأيمن الأقوى إلى الحيز الذي الحركة فيه أقوى، والشق الأيسر الأضعف إلى الحيز الذي الحركة فيه أضعف ليتعادلا.

**- الوجه الثاني:** أن جهة اليسار من القلب هي محل الروح ومنبعه، ومنه ينبعث الشريان الأعظم المسمّى بالأبهر، والأبهر وريد يحمل الدم من جميع أوردة الجسم

١ - صحيح البخاري، (١٥٩٧).

٢ - سنن أبي داود، (١٦٢).

إلى الأذين الأيمن من القلب الذي إذا انقطع مات صاحبه، وهناك أبهران يخرجان من القلب يتشعب منهما سائر الشرايين إلى جميع الجسد؛ ولذلك نجد حركة النبض في الجهة اليسرى، والروح أشرف ما في الجسد، فجعل ذلك الشق موالياً للبيت الشريف ليكون الإقبال على بيت الله بما هو أشرف<sup>١</sup>.

- وقد اجتهد بعض المعاصرين في هذا الأمر؛ فأرجعوا السبب في الطواف عكس عقارب الساعة إلى أن القلب يقع في الجهة اليسرى من جسم الإنسان، وعند الطواف سيجد المسلم أن قلبه أقرب ما يكون للكعبة، وأيضاً فإنه في الطواف مع هذا الاتجاه تكون سوائل الجسم جميعاً مندفعاً بشكل أقوى، ومنها الدم الذي يصل إلى جميع أجزاء الجسم عند الطواف، مما يقي الجسم من الكثير من الأمراض ويحفظ توازن الجسم، ويقيه من التعب والإجهاد السريع.

- والطواف عكس عقارب الساعة نفس اتجاه الدوران الذي تتم به حركة الكون من أصغر دقائقه إلى أكبر وحداته، فحركة الإلكترون حول النواة - وهي إحدى أصغر مكونات العالم - تكون في عكس اتجاه عقارب الساعة، وهو نفسه اتجاه الطواف.

كما أن حركة الكواكب حول الشمس، وحركة جميع الأجرام السماوية كالنجوم حول مركز المجرة، وحركة القمر حول الكوكب، وحركة الكواكب حول النجوم، وحركة المجرات حول مركز الكون؛ جميعها تدور عكس عقارب الساعة.

١ - الإفادات والانشادات، (ص: ١٠٥).



وهكذا نجد أن حركة الطواف حول الكعبة بهذه الكيفية متسقة مع حركة الكون من أصغر جرم فيه وهو الإلكترون - فيما نعلمه حسب ما قرره العلم النووي الحديث - إلى أكبرها وهو حركة النجوم والمجرات<sup>١</sup>.

١ - من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الجزء الثاني، (ص: ٨)



## يطوف من الفجر حتى الظهر!



من بين لطائف الأسئلة ما ورد من حاج ظل يطوف من بعد صلاة الفجر حتى صلاة الظهر؛ لأنه كان يظن أن الطائفين يبدؤون الطواف معا وينتهون معاً، واستغرب أنه تعب من الطواف رغم أنه ما زال شاباً، بينما لم يتعب بقية الحجاج الذين يطوفون.

### الفوائد الفقهية والوعظية :

تؤكد هذه الحادثة على ضرورة التعرف على فقه الحج والعمرة قبل الذهاب إلى الحرم؛ لأن الجهل بهما سيُتعب صاحبه جسدياً، وربما يكون سبباً في عدم قبول عمله دينياً؛ بسبب عدم أدائه المناسك وفق الطريقة الصحيحة التي وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فهذا الحاج لو أتعب نفسه قليلاً في مطالعة فقه الحج، أو كلّف نفسه بسؤال من هو أعلم منه؛ لأراح نفسه كثيراً من هذا الجهد الذي



بذله؛ لأنه كان سيعرف أن الطواف - بكل أنواعه- هو سبعة أشواط فقط، وأنه عمل فردي يقوم به كل حاج أو معتمر منفرداً، وأن له أن يطوف كما يشاء بعد ذلك تطوعاً، وكل طواف منها سبعة أشواط.

ولعل ما أشكل الأمر على هذا الرجل هو ديمومة الطواف، وهذا من آيات الله تعالى أن الطواف لا يتوقف؛ حيث يتوارد الناس على المسجد الحرام كل حين، ولا يخلو وقت من طائفين بالبیت، بحمد الله تعالى وتوفيقه.

وفي النهاية فإن الله تعالى كريم وذو فضل عظيم، ويكرمه ويفضله يرجى أن يثاب هذا الرجل على ما قام من جهد بنية حسنة؛ فهذا فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء من عباده.



## تعطي ظهرها للكعبة تخرجاً من ربها سبحانه



ومن اللطائف التي رويت أن حاجة مصرية كانت واقفة معطية ظهرها للكعبة، وهي تدعو وتبكي، فقالت لها حاجةٌ أخرى ناصحةٌ لها: انظري للكعبة وأنت تدعين ربنا. فقالت جارة لها: اسكتي اسكتي.. اسكتي يا حاجة، مالهش وش تشوف ربنا دي عاملة عمايل ياما (مخرجة تنظر إلى بيت الله تعالى بسبب أخطائها الكثيرة السابقة).

### الفوائد الفقهية والوعظية:

هذه الحادثة تدل على فطرة نقية عند هذه السيدة التي تعترف بأخطائها وتقصيرها في حق ربها، وكذلك صاحبها، وهي ترجمة حقيقية لما يطلق عليه « عقيدة العوام »؛ هذه العقيدة التي رغم إخلاصها وسعيها لرضا الله عز وجل فإنها لا تخلو من أخطاء ناتجة عن قصور في تصورها عن الذات الإلهية؛ فإله سبحانه وتعالى لا يعامل الناس كما يعامل بعضهم بعضاً؛ فهو - سبحانه وتعالى -

﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ (غافر: ٣)؛ فإذا أقبل عليه عبده تائباً فإنه سبحانه وتعالى يفرح بتوبته ويفتح أمامه باب الرحمات، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»<sup>١</sup>.

فإذا كان هذا الفضل الإلهي مع عموم المسلمين التائبين؛ فما بالكم بمن جاءه ضيفاً على بيته الحرام حاجاً أو معتمراً؟

فكان ينبغي على هذه الحاجة أن تتوجه إلى ربها باتجاه الكعبة المشرفة (القبلة) بكل قلبها ومشاعرها وجسدها، وتحمده أن هياً لها زيارة بيته الحرام، ثم تستغفره وتتوب إليه من ذنوبها - مهما كانت عظيمة- وهي واثقة في استجابة الله تعالى لها، ومغفرته ذنوبها.

ومن الأمور الجديرة بالالتفات إليها هنا أن بعض الناس يستغل الشيطان بعض ذنوبه ومعاصيه ليبعده عن ربه ويحول بينه وبين التوبة مذكراً له بهذه الذنوب والمعاصي، وهنا على الإنسان أن يستعين بالله من الشيطان ويحقق في نفسه شروط التوبة، مستحضراً قول الله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الفرقان: ٧٠).

## يتفحص لحم الطائف السمين!



ومن الطرائف ما نقله لي أحد الباحثين في مبرة الآل والأصحاب، يقول: وأنا في الطواف -وكنت سميناً أحسست بيد تتلمس لحم كتفي وظهري كهيئة المتفحص له، فالتفتُ متعجباً فإذا مسنٌ آسيوي نحيل، نظر إليّ رافعاً حاجبيه مبدياً إعجابه بلحمي، ويده لاتزال تصول وتجول في تفحصه، فقلت له: لا، يا شيخ، لا أنفع كأضحية الله يرضى عنك.

## الفوائد الفقهية والوعظية :

لعل من المهم -خاصة في بيئة تتمازج فيها الثقافات كموسم الحج- تفهم تباين طبائع الشعوب، فكثير من المدن والقرى في شرق آسيا يندر فيها السمن وذلك لطبيعة حياة تلك الشعوب والتي يغلب على أهلها ممارسة الأعمال ذات المجهود البدني، كالزراعة ونحوها، كما أن انخفاض مستوى المعيشة يمنع من الاستعانة

بالآلات الحديثة التي تقلل من ذلك المجهود؛ وبالتالي تغلب النحافة على أهالي تلك المناطق، فلذلك قد يعجب أحدهم إن رأى سميناً كما وقع من ذلك المسن. وفهم تلك العوامل يسهم في الإعدار عند وقوع فعل يُفسَّر بغياب اللباقة.

**ومن المفيد هنا وقد ذكر صاحبنا للمتعب من سمنه أن «التضحية بالإنسان غير مجزئة» أن نذكر مواصفات الأضحية المجزئة :**

«الأضحية الشرعية لا بد أن تكون سليمة من العيوب كالمرض والعمى والعرج البين والهزل، وأن تكون ثنية وهي ما تم له خمس سنين من الإبل أو سنتان من البقر أو سنة واحدة من المعز. أما الضأن فيجزئ منه الجذع وهو ما تم له ستة أشهر فأكثر. ومن العيوب المانعة أن يكون الحيوان قد ذهب أكثر قرنه أو أذنه، فإذا كان الحيوان سليماً من كل نقص كان أكمل. والبدنة تجزئ عن سبعة، وهكذا البقرة، أما الغنم فلا يجزئ الواحد إلا عن واحد فقط، كما يجوز للمسلم أن يضحى بشاة واحدة عنه وعن أهل بيته وإن كثروا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم «ضحى عنه وعن أهل بيته بكبش واحد»<sup>١</sup>، ويجوز للمضحى أن يوكل من يتولى ذبحها من المسلمين، سواء كان ذلك في بلده أو في غير بلده، والسنة أن يأكل منها ويتصدق لقول الله عز وجل: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (الحج: ٢٨)<sup>٢</sup>.

١ - مسند أحمد، (٢٤٤٩١).

٢ - مجلة البحوث الإسلامية، (١٣٧/١٤).

## من لطائف السعي



### مقدمة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٥٨).

مذهب جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج، لا يصح إلا به ولا يجبر بدم ولا غيره. وممن قال بهذا مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور، وقال بعض السلف: هو تطوع، وقال أبو حنيفة: هو واجب؛ فإن تركه عصى، وجبره بالدم وصحح حجه<sup>١</sup>.

وصفة السعي أن يبدأ من الصفا ويختم بالمروة، والعدد سبعة أشواط؛ أولها يبدأ بالصفا وآخرها ينتهي بالمروة، يذكر الله تعالى فيها ويسبحه ويدعو، ويكرر الدعاء والتكبير على الصفا والمروة ثلاث مرات، رافعاً يديه مستقبلاً القبلة<sup>٢</sup>.

١ - شرح النووي على مسلم، (٢٠/٩).

٢ - الحج والعمرة والزيارة، (ص: ص: ٢٢٥).

ومن اللطائف التي حدثت أثناء السعي وأمكننا جمعها:

### السعي أربعة عشر شوطاً!



يحكي أحد الشباب أنه ذهب مع بعض الشباب لأداء العمرة، وكان معهم بالحملة رجل كبير، أصر على أن يكون هو دليلهم في أداء المناسك لأنه اعتمر كثيراً قبل ذلك، وبعد الطواف والذهاب للسعي بين الصفا والمروة أتموا سبعة أشواط من السعي وتوقفوا فقال لهم: «يحسب الشوط بالسعي ذهاباً وإياباً بين الصفا والمروة، وما فعلناه هو نصف المطلوب فقط، وهذا ما أفعله منذ أعوام كثيرة»، فحاول بعضهم إفهامه أن الشوط في السعي يكون بالذهاب من الصفا إلى المروة فقط، والعودة من المروة إلى الصفا تُعد شوطاً ثانياً، إلا أنه أصر على موقفه، فاضطروا إلى اللجوء إلى كتيبات «صفة الحج والعمرة»، فلم يقتنع حتى أتوا له بأحد الوعاظ السعوديين في الحرم فاقتنع على مضض، متذكراً تبعه خلال السنوات الماضية الكثيرة!

### الفوائد الفقهية والوعظية :

هذه الحادثة تؤكد على ما ذكرناه سابقاً من ضرورة التفقه في أحكام الحج والعمرة جيداً قبل الذهاب إلى الحرم؛ حتى لا يُضيع الإنسان عمله، أو على الأقل يبذل جهداً في شيء غير مطلوب، مثلما فعل هذا المعتمر الذي ظل سنوات طويلة يضاعف أشواط السعي على نفسه وهو لا يعرف أن السعي سبعة أشواط فقط، والشوط هو الذهاب من الصفا إلى المروة والعكس.

كما أن هذه الحادثة تؤكد على أهمية عدم التصدر للمسائل العلمية، وقيادة الناس لأداء المناسك إلا ممن توافرت فيه صفات العلم والأمانة؛ حتى لا يتعدى تأثير جهله إلى غيره. وكذلك على الشباب وعموم المسلمين مراعاة تلك الصفات في اقتدائهم أو اتخاذهم أدلاءً على الخير؛ بحيث لا يسيرون خلف كل أحد.

ومن المهم هنا أن ننبه أن أحكام الحج لا يكفي فيها الدراسة النظرية بل ينبغي أن تجمع إلى التطبيق العملي خاصة فيمن يتصدر لإرشاد الناس ودلائتهم خلال رحلة الحج، يقول الشيخ علي طنطاوي رحمه الله: « أنا طالب علم اشتغلت بالتدريس دهرًا، فقرأت أحكام الحج طالباً وأقرأتها مدرّساً مرات لست أحصيها. ولكن لما حججت أول مرة وجدت العلم الذي في الورق لا ينطبق دائماً على الواقع في الحياة؛ كنت أعرف حكم الوقوف في مُزْدَلِفة والمبيت في منى، ولكني لا أعرف ما مُزْدَلِفة وما منى وما موضعهما وما شكلهما وكيف الوصول إليهما. ومعرفة الاسم لا تُغني عن رؤية المسمى أو وصفه.



أكثر الناس يعرفون أسماء الكوفة والبصرة والمربد وعكاظ ودومة الجندل ومرج راهط وحطين وعين جالوت وأمثالها، عرفوا أسماءها مما درسوا من التاريخ الماضي، ولكنهم لا يعرفون ما حالها في الوقت الحاضر وما مآلها. فلو أن أحد الأساتذة المطلعين أو الطلاب الذين يُعدّون الأطروحات (أي رسائل الشهادات العالية للماجستير والدكتوراه) يحققون مواضعها ويدرسون حالها اليوم، وينشرون وصفها وصورها ويصفون مظاهر الحياة فيها، لكان من ذلك خير كثير.

وقد عرفت أنا هذه المواضع كلها وزرتها ووقفت عليها وأقدر أن أصفها، ولكنني فقدت الهمة الدافعة إلى العمل، فأنا كسيارة قوية المحرك فيها البنزين ولكن ليس فيها هذا الزناد (المارش) الذي يقده الشرارة الأولى لتسير.

أقول إنني لما حججت أول مرة وجدت أن ما درسته ثم درسته للطلاب لم يُدني في معرفة طريقي. وكنت أمشي من حيث يمشي الناس، أسير أين ساروا وأقف إن وقفوا وأصنع مثل ما صنعوا، لا أعرف من أين سرت ولا إلى أين أسير، وإن كنت أفتي من حولي وأبين لهم أحكام الحج لأنني أعرف ما في الكتب، ولكنني لم أعرف من قبل ما على الأرض.

فيا ليت مدرسي الفقه - إن علموا الطلاب أحكام الحج - عرضوا لهم صور المشاعر وأماكن العبادة، ليصلوا علوم الدين بحياة الناس في هذه الدنيا<sup>١</sup>.

١ - ذكريات علي الطنطاوي (٨ / ٦٩ - ٧١).

## الإشارة بحماس للكاميرا !



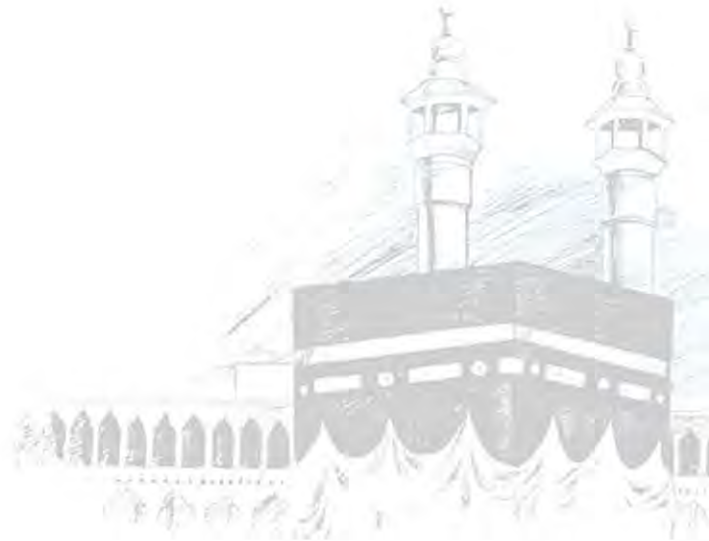
يروى أحد الحجاج قائلًا: «أثناء السعي بين الصفا والمروة رأى أحد الحجاج الكاميرات التي تصور المسعى، فأشار إليها بحماس لكي يظهر في الصورة بوضوح، وبعد قليل... صار مجموعة من الحجاج العوام الذين بعده يقلّدونه؛ ظنًا منهم أنه هذا من مناسك الحج!».

### الفوائد الفقهية والوعظية :

هذا الموقف رغم طرافته يدل على شدة حرص بعض الحجاج على عدم ترك أي شيء مما يظنون أنه من مناسك الحج؛ فيقلّدون أي حركة يرونها، لكنهم لو وقفوا على فقه الحج جيداً قبل رحلتهم إليه لما وقعوا فيما وقعوا فيه، وإن كانوا لم يأتوا بمخالفة شرعية فيما فعلوا، وقد يدل هذا الموقف أيضاً على ظن من فعل هذا الأمر أن هذه الكاميرا التي توثق بها السلطات الأمنية سير أداء الحجاج لمناسكهم هي كاميرا

تصوير فضائي على الهواء مباشرة إلى أهله في بلده؛ فهو يريد استثمار الفرصة ليطمئنهم على نفسه، وينقل لهم فرحته بأداء مناسك الحج وتمام الطاعة. لكن من المهم في هذا السياق عدم إغفال فعل الحاج الذي أشار للكاميرا بحماس؛ فهذا يُعد انشغالا عن المناسك التي أتى إليها، وهذا للأسف ملاحظ بشكل كبير خاصة بعد ثورة الاتصالات الحديثة؛ فهذا مشغول بالتصوير وذاك مشغول بالتواصل مع أهله وأصحابه؛ وهو ما قد يتنافى مع قدسية المكان والمشاعر التي أتى إليها.

وهنا همسة مهمة في أذن كل حاج أو معتمر بل وكل متعبد لله تعالى أياً كانت العبادة، وهي التحذير من مداخل الشيطان، ومحاولته إفساد طاعتك؛ فأنت بتصويرك ونقلك عبادتك على الهواء مباشرة عرضة للرياء، الذي هو من أكبر الآفات التي قد تأكل الحسنات والأجور. فالله الله في نيتك وعبادتك، والسلامة لا يعدلها شئٌ.



## السعي متشابكين، وأدعية غير لائقة

يقول محمد حسين هيكل: « وأتمنا السعي بين جماعة الساعين يزحمننا هذا ويدفعنا ذاك، ويعترضنا بين آن وآخر صفٌّ من الحجاج شبكوا أيديهم بعضهم ببعض، فإذا صادفهم ساع صاحوا به: طريق! طريق!، وانطلقوا في سعيهم ينادون ربهـم بـلـغـتـهـم: "رب اغفر، حتماً تغفر، إن لم تغفر، من ذا يغفر"، وذكر بعض أصحابي أنه سمعهم يقولون: رب اغفر، حتماً تغفر، إن لم تغفر، جنتك تصفر<sup>١</sup>».

## الفوائد الفقهية والوعظية :

**أولاً :** من الأمور التي لا أظن حاجاً قد سلم من التعرض لأذاها؛ تشابك بعض الحجاج بعضهم ببعض إما متتالين خلف بعضهم كهيئة القطار، وإما متحلقين حول شيخ أو امرأة أو جماعة من النساء، ومحل الإشكال هو التدافع الذي تسببه تلك المجموعات وربما سبب أذى إذ لا يابهون في سيرهم إن ارتطموا بغيرهم، بل يُجبرون الآخرين على تحاشيهم اتقاءً للأذى، وربما تعرضوا هم أنفسهم للأذى إن وقع أحدهم مثلاً فذلك يؤدي إلى سقوط باقي المتشابكين معه وربما تعرقل غيرهم بهم ووطئ بالتالي الناس بعضهم بعضاً.

وهذا التشابك ربما كان مفهوم الدوافع كالخوف من الضياع أو الافتراق عن الجماعة، وربما كان لحماية ضعيف طائف أو ساع من رجل أو امرأة من التعرض

١ - تصفر: أي تصبح خالية خاوية يسمع فيها صفير الرياح من خواتها.

٢ - في منزل الوحي، (ص: ١٠٦)، بتصريف يسير.

للأذى، ولكن تفهمنا لدوافعه لا يكفي للتغاضي عن الأذى الذي قد يسببه للآخرين، فإن قارن ذلك التشابك أذى للنفس أو للغير ولو على سبيل الظن الراجح فلا ينبغي للحاج أن يلجأ إليه في حجه.

**ثانياً:** وأيضاً من الأخطاء التي وقع فيها هؤلاء الحجاج علو الصوت والصياح بالناس سواء عند ندائهم لإفساح الطريق أو في دعائهم الجماعي، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الدعاء الجماعي في الطواف فيه إشكال لأنه لم ينقل عن السلف - أي رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ومن تبعهم بإحسان من الأئمة وأهل العلم - فيما نعلم؛ لأنه يؤذي الناس ويشغل عن الدعاء الخاص لا سيما إذا كان الطائف بهم جهوري الصوت، أما إن كان بصوت خافت لتعليم من معه، فأرجو ألا يكون به بأس»<sup>١</sup>.

**ثالثاً:** من الأفضل أن يلتزم الحاج الأدعية المسنونة التي ثبتت عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، فحتى في المواطن التي لم يرد فيها دعاء مخصوص فإنه يستحسن أن لا يخرج الإنسان بدعائه عما أثار عن رسول الله وذلك حتى لا يقع في إشكال التلفظ بما لا يصح، وننبه أننا في كلامنا إنما نحاكم الأفعال الظاهرة فحسب ولا نخوض في النيات التي لا يعلمها إلا خالقها؛ فالتخطئة نوجهها لظاهر الفعل واللفظ لا لنيات الفاعلين والتي نظن أنها نيات صالحة يثابون عليها ويعذرون بجهلهم - إن شاء الله - إن قارن ذلك خطأ لم يتعمدوه، وفي الدعاء الذي نُقل في الحكاية نلحظ غياب اللياقة في أسلوب خطاب الرب سبحانه، فهم يقولون

١ - الشرح الممتع على زاد المستقنع (٧/ ٢٦٣)، بتصريف يسير.

في دعائهم: « حتماً تغفر »، فليس هكذا يُقصدُ الرب ويُخاطَب، فليس للعباد أن يحتموا على ربهم أمراً أو يوجبوه، بل الملك ملكه والخلق خلقه فله المشيئة والكبرياء والعظمة سبحانه، فإن غفر غفر فضلاً ومنة وإحساناً ورحمة لا حتماً، فيكون الخطاب معه جل وعلا خطاب العبد المتذلل الفقير الراجي للسيد المالك المتصرف الحاكم المنعم، وكل ما سواه من خطاب لا ينبغي ولا يحسن.

ثم قولهم: « إن لم تغفر جنتك تصفر »، فالخطاب يتضمن أسلوباً لا يليق، فليس خلو الجنة من الخلق بضائر غيرهم، ف {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا} (فصلت: ٤٦)، وفي الحديث القدسي: « يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي، فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً .. الحديث<sup>١</sup>، فسبحان ذي العزة والملكوت.

وإن كان يمكننا مع ذلك توجيه العبارة توجيهاً حسناً، وهو أنهم يريدون بقولهم أن أحداً لن يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى ومغفرته؛ وأن العبد مهما عمل فلن يكافئ نعم الله تعالى فضلاً أن يستحق دخول الجنة، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أحد يدخله عمله الجنة، فقيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني ربي برحمة»<sup>٢</sup>، فإن وجهنا كلامهم

١ - صحيح مسلم (٢٥٧٧).

٢ - صحيح مسلم (٢٨١٦).

هذا التوجيه كان المعنى حسناً ولكن يبقى أن اللفظ مُوهِمٌ معنىً باطلاً فليس يحسن استعماله، ولتلك العلة كان تأكيدنا على التزام الأدعية المأثورة، فيأمن الإنسان بذلك من التورط في خطأ لفظي غير لائق في هذا المقام.

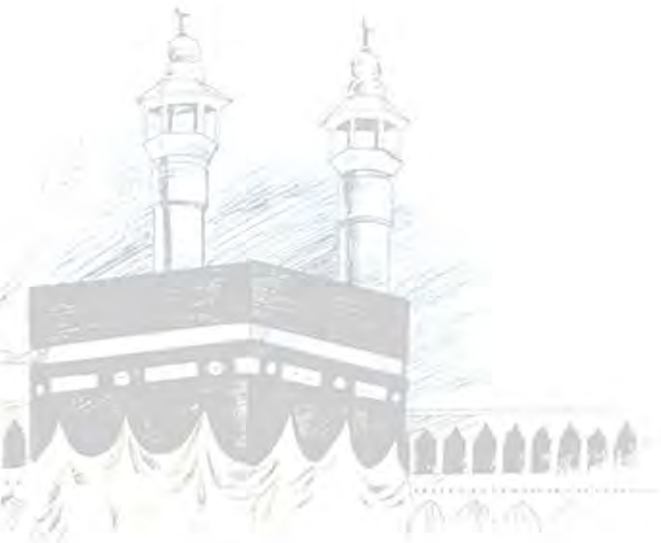


## من لطائف اليوم الثامن (يوم التروية)

### الأخيار هنا الأخيار هنا !



وهذه اللطيفة حدثت مع صاحب هذا الكتاب؛ حيث كان مندوب إحدى حملات الحج ينادي على حجاج حملته رافعاً اسمَ الحملة على راية ليعرفها أتباعها، وكان اسمها «حملة الأخيار»؛ فكان يناديهم مختصراً الاسم: «الأخيار هنا.. الأخيار هنا»؛ فتصادف أن تقابلتُ معه وجهاً لوجه وهو يرفع صوته بنداؤه هذا، فقلت له بعفوية مُمازحاً: «ولله الحمد كلنا أخيار.. فهنا أخيار أيضاً»، ففوجئ الرجل بالكلام وتوقف عن النداء بعض الوقت مندهشاً.





### الفوائد الفقهية والوعظية :

كانت هذه اللطيفة مصطنعةً بالتأكيد ومقصودة من باب المزاح المباح في مثل هذه الأوقات التي يحتاج الناس فيها إلى بعض الترفيه عن النفس حتى لو لحظياً. وإن كان في هذه المزحة من فوائد فهي حسن اختيار اسم الحملة، وهو ما ينبغي أن يكون متبَعاً في حياتنا كلها، وكذلك يمكن أن يُستنبط منها سنة نبوية وهي المزاح الحلال المنضبط بضوابط الشرع؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يمزح لكن لا يقول إلا صدقاً أو حقاً؛ فهناك الكثير من الأحاديث والأحداث التي توثق مواقف مزحه صلى الله عليه وسلم مع أهل بيته وأصحابه وعموم المسلمين، وقد قال عبيد الله بن المغيرة: سمعت عبد الله بن الحارث قال: «ما رأيت أحداً أكثر تبسُّماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم»<sup>١</sup>.

ومن الفوائد المستنبطة أيضاً أن هذا الموقف دليل على نعم الله عز وجل على زوَّار بيته في العصر الحديث أن هياً لهم هذه الحملات التي يحرص أصحابها على تيسير الأمور على الحجاج، وتجميعهم وتفويجهم بطريقة تضمن سلامتهم وسلامة غيرهم من زوار بيت الله تعالى، فضلاً عن توفير حاجياتهم من الطعام والشراب والمبردات وغيرها مما سهل كثيراً من الصعوبات التي تنتج عن حرارة الجو وكثرة الأعداد.

١ - سنن الترمذي، (٣٦٤١).

ومما يحضرني في هذا الموطن استعمال بلال رضي الله عنه هذا الجنس<sup>١</sup> في أسلوب دعوي بديع بليغ:

سأل رجلُ بلالاً رضي الله عنه وقد أقبل جهة حلبة الخيل، فقال له: من سبق؟ قال: سبق المقربون، قال: إنما أسألك عن الخيل، قال: وأنا أجيبك عن الخير.

قال الجاحظ: فترك بلال جواب لفظه إلى خبر هو أنفع له<sup>٢</sup>.

١ - الجنس: هو اتحاد اللفظ مع اختلاف المعنى والمراد، انظر: كشاف اصطلاحات الفنون، (١/٥٨٨).

٢ - البيان والتبيين، (٢/١٩٣).





## تأخرت عليّ وأنا دبّرت حاليّ !



يقول أحد الأفاضل: اصطحبت والدتي إلى الحج، وكانت في رحلتنا تلك أكثر مني نشاطاً وحيوية على غير ما نراه عادة من كون الشباب أنشط وأقدر على أداء المناسك، ومن طريف ما وقع لنا في الطواف؛ أنها سبقتني في الفراغ من الطواف وبقي لي شوط، فقلت لها: استريح هنا ريثما أنتهي من الشوط المتبقي لي وأعود لاصطحابك إلى السكن، وبعد فراغي من الشوط، رجعت إلى مكان انتظارها لي فلم أجدها، فبقيت أبحث عنها طوال اليوم حتى عييت وحلّ الليل ولم أعر عليها، فقلت: أرجع إلى السكن لعلها سبقتني إلى هناك، فرجعت وسألت عنها رفاقنا في الحملة فقالوا: لم نراها، وبقيت حائراً قلقاً طوال الليل، ولما طلعت الشمس توجهت وصاحب الحملة إلى الحرم بحثاً عنها، وبقينا نبحث إلى العصر، فإذا بنا نراها مُقبلة، فقلت: «ها يما، وينج؟» «ها يا أمي، أين أنت؟»، فقالت: «تأخرت عليّ وأنا دبّرت حالي!».

### الفوائد الفقهية والوعظية :

لعل أكثر ما يلفت الانتباه في هذه اللطيفة؛ الحيوية والنشاط اللتان أبدقتهما الحاجة المتقدمة في العمر حتى إنها -ولفرط حماسها وتوقها لأداء المناسك- سبقت ابنها الشاب في الطواف، ونشاط الوالدين أو أحدهما أكثر من أبنائهما وإن لم يكن معتاداً إلا أنه مشاهد، ومردُّ ذلك يكون غالباً إلى الطبع والعادة، فالإنسان متى ما اعتاد النشاط والحركة ولم يركن للراحة والدعة؛ تكيف جسمه على ذلك ويات يجد راحته وأنسه في مواصلة العمل والحركة بينما تُمرضه الراحة، وبالعكس من ذلك؛ من اعتاد الراحة فإن جسمه يعارضه متى ما قام بأدنى جهد لأنه لم يعتده، فتظهر هنا أهمية التزام أسلوب حياة متزن عامر بالحركة والنشاط؛ فذلك يحفظ صحة الإنسان، ويضمن له استجابة الجسم للحاجة إلى الحركة المتواصلة -كما هو الحال في أداء المناسك- حتى عند كبر السن.

ولعل السبب في نشاط «الحجّية»؛ شوقها وتوقها لبيت الله الحرام، فما إن رآته حتى تحفزت خلاياها وتنشطت وأطلقت في الجسد الطاقة المعينة على أداء المناسك، وكان لسان حالها نطق فقال:

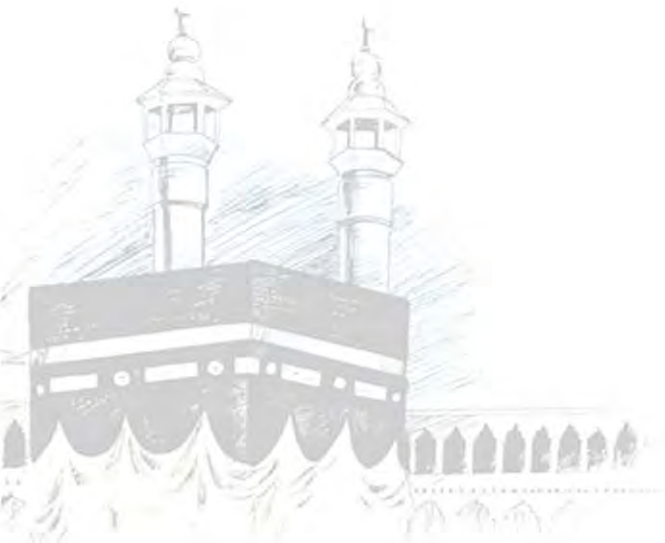
وكم لذّة كم فرحة لطوافه ... فله ما أحلى الطواف وأهناه

نطوف كأننا بالجنان نطوفها ... ولا همّ لا غمّ جميعاً نفيناها

أوقال:

ولما رأت أبصارهم بيته الذي ... قلوب الورى شوقاً إليه تضرماً  
كانهم لم ينصبوا قط قلبه ... لأن شقاهم قد ترحل عنهم

أو لعل السبب مركب من الطبع والشوق، فكان النشاط والحماس في أداء المناسك.





## من لطائف اليوم التاسع (يوم عرفة)

### حمامة عرفات !



حمامة عرفات هي التي كانت السبب وراء تأليف هذا الكتاب كما ذكرنا في مقدمة الكتاب، ونعيد التذكير بها مرة أخرى:

في حج عام (١٤٤١هـ - ٢٠١٩م) كان الإداريون في الحملة التي كنا معها حريصين - كعادتهم الطيبة- على أن ينفروا بنا من عرفة إلى مزدلفة بمجرد دخول الليل؛ فجلسنا عند آخر نقطة في عرفات؛ فكنت حينها جالساً تحت «الياقطة» المكتوب عليها: «نهاية عرفات»، ومن الجهة الداخلية باتجاه عرفة، وكنت آخر من يجلس جانبها ناحية الداخل، وأثناء انتظارنا تحقق دخول الليل مع انطلاق أذان المغرب كي نبدأ التحرك إلى مزدلفة قبل الزحام، فإذا بحمامة -تحلق في الهواء الطلق فوق



رؤوسنا- ذرقت؛ فأصابت فضلاتها إجماعاً، فتساءل أحد زملائنا في الحملة: قد تنجس ثوب إجماعك بهذه الفضلات؛ فهل يجب عليك تغييره الآن؟ فأخبرناه بالحكم الفقهي الذي عليه كثير من العلماء؛ فقد قالوا بطهارة فضلات مأكول اللحم من الحيوانات والطيور، وحتى من لم ييرطها من العلماء فقد صرحوا بأن ذرق الطيور مأكولة اللحم معفو عنه وذلك لمشقة الاحتراز عنه.

### الفوائد الفقهية والوعظية :

أثارت هذه الحادثة حواراً فقهياً جميلاً حول فضلات الحمامة من حيث نجاستها وطهارتها، لكن ما رفع عنّا الحرج في هذا المقام الذي كان يصعب فيه تغيير الملابس أن بول وروث ما يؤكل لحمه من طيور ودواب إما طاهر على قول بعض أهل العلم، أو هو مما يُعفى عنه على قول الباقيين، فعلى أي القولين فالحرج مرفوع بحمد الله تعالى وفضله.

### وننقل هنا ما جاء في «الموسوعة الفقهية» حتى تعم الفائدة به :

«ذرق الطيور مما يؤكل لحمه - كالحمام والعصافير- طاهر عند جمهور الفقهاء (الحنفية، والمالكية، وهو الظاهر عند الحنابلة)؛ وذلك لعموم البلوى به بسبب امتلاء الطرق والخانات بها، ولإجماع المسلمين على ترك الحمام في المساجد، وعلى

١- ذرق: هو من الطائر كالتغوط من الإنسان، انظر المصباح المنير، (٢٠٨/١).

٢- هو قول المالكية والحنابلة ومحمد بن الحسن وزفر من الحنفية، انظر الموسوعة الفقهية الكويتية

(٩١/٤٠).

ذلك فإن أصاب شيءٌ منه بدنَ الإنسان، أو ثوبه داخل الصلاة، أو خارجها لا تفسد صلاته، ولا ينجس ثوبه.

واستثنى الحنفية، والمالكية من هذا الحكم خبز الدجاج، والبط الأهلي؛ لأنهما يتغذيان بنجس، فلا يخلو خرؤهما من النتن، والفساد، وقال الشافعية -وهو رواية عن أحمد- بنجاسة خبز الطيور، سواء أكان من مأكول اللحم أم من غيره؛ لأنه داخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم: «تنزهوا من البول»، ولأنه رجيح، فكان نجساً كرجيح الأدمي، ومع ذلك فقد صرحوا بأنه يعفى عن ذرق الطيور المأكولة اللحم، سواء أكان قليلاً أم كثيراً على الأصح عند الشافعية لمشقة الاحتراز عنه، وفي رواية: لا يعفى عن كثيره، وفرق بعضهم بين الصلاة وغيرها، فقالوا بالعفو عنه في الصلاة مطلقاً، وفي خارج الصلاة يعفى عن قليله، ولا يعفى عن كثيره»<sup>١</sup>.

ولعل هذا الموقف يدل على سهولة الدين الإسلامي ويسره الذي حرص على رفع الحرج عن المسلمين، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ (الحج: ٧٨).





## « يا رسول الله سايب بلادنا ورايح بلاد الحر »



تحكي حاجة عن تعبها في الحج من شدة الحر الذي لم تكن معتادة عليه، فلما وقفت على عرفات قالت منادية رسول الله صلى الله عليه وسلم باللهجة العامية العفوية: « بقى يا رسول الله، سايب بلادنا بلاد البحر والجو الحلو، ورايح بلاد الحر دي ليه! ».

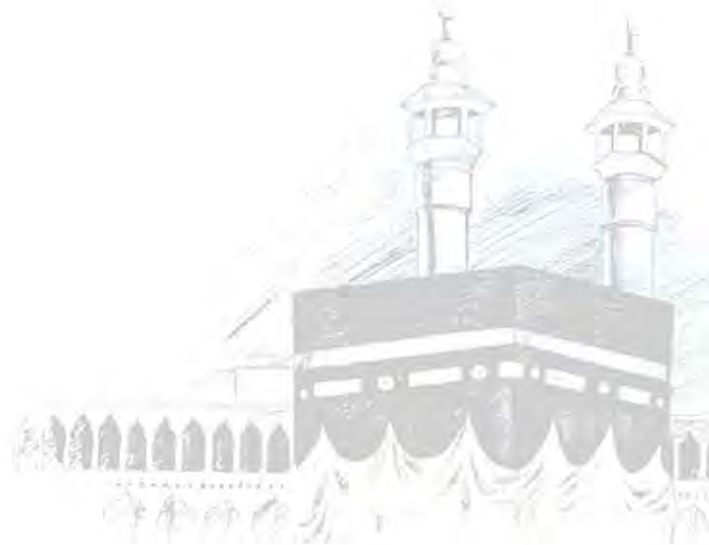
## الفوائد الفقهية والوعظية :

هذا الكلام رغم لطافته وفكاهيته؛ فإنه غير لائق في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ويعتته، خاصة أن الله عز وجل أرسله في هذا المكان بالتحديد لحكم يعلمها سبحانه وتعالى.

لكن هذه السيدة كما يبدو من حديثها من السيدات طبيبات القلب والنية؛ فهي لم تقصد الإساءة، لكن حالها حال الكثير من السيدات كبيرات السن غير المتعلمات،

اللاتي تنقصهن بعض اللياقة في الحديث في الأمور الدينية، خاصة ما تعلق منها برب العزة سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

لكن هذا القول إن دل على شيء فإنما يدل على المشقة التي يلاقيها الحجاج والمعتمرون في أداء المناسك، خاصة في أجواء أرض الحجاز الحارة، والتي تزداد مشقتها على القادمين من بيئات أخرى، لكن رغم هذا نجد هذا الإقبال الكبير طوال العام على بيت الله الحرام؛ ذلك لأن هؤلاء الزوار يؤمنون أن «الأجر على قدر المشقة»، بشرط ألا تكون هذه المشقة مقصودة، كما أوردنا في موضع سابق من هذا الكتاب، وأن تعبهم وجهدهم الذي يبذلونه للوصول لبيت الله الحرام، وكذا المعاناة التي يعانونها نتيجة اختلاف المناخ والطقس .. كل هذه الأمور لن تضيع عند الله تعالى، وأنه سبحانه سيكافئهم وسيجازيهم عليها من فيض فضله وكرمه، وحين يرون أجر هذه الأعمال سيتمنون لو أن المشقة كانت أكبر والجهد كان أعظم؛ حتى يحصلوا على أجر أكثر.



## من لطائف ليلة العاشر (البيات في مزدلفة)

### بوقيس وصلاة الإمام بنعاله في مزدلفة !

في أحد مواسم الحج ومع تتابع قدوم باصات الحج من نفرة عرفة إلى مزدلفة، وكان كل باص يصل مزدلفة يقوم حُجَّاجه بصلاة المغرب والعشاء معاً فور وصولهم المشعر الحرام بمزدلفة.

ومع مجيء أحد الباصات قام أحد مشايخ الحملة بإمامة الناس لابساً نعاله؛ نظراً لوعورة الأرض بمزدلفة ووجود الحصى بها وعدم تهيئة أرضها للصلاة، فرآه الحاج «بوقيس» فثارت ثائرتة على هذا الشيخ الذي يصلي بنعاله، فمجرد تسليم الشيخ أقبل عليه «بوقيس» غاضباً ومعنفًا: كيف تصلي بنعالك؟ ألا تحترم الصلاة وقدسيتها؟ فقال له الشيخ: « وما الخطأ في ذلك؟ فالرسول صلى الله عليه وسلم صلي بنعاله»، وهنا أحس العم «بوقيس» بالحرج ولكنه واصل اندفاعه وحماسه في نقده لصلاة هذا الإمام في نعله، فإذا بأبي قيس يقول له: « وأين نعالك من نعال الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تقارنها بها؟ ».

وهنا ضحك المصلون، وسكت الشيخ عن الرد على العم أبي قيس، وعلم أنه لا يواجه موقفاً متكافئاً في العلم الشرعي؛ بل تفاعلاً عفويًا من أحد العوام، فأثر السكوت.



### الفوائد الفقهية والوعظية:

في قصة « بوقيس » وتصرف الإمام معه عدة وقفات وفوائد فقهية ووعظية مثل:

**أولاً:** بالنسبة للصلاة في النعلين فقد اتفق العلماء على جواز الصلاة فيهما، إذا كانا طاهرين؛ فعن أبي مسلمة سعيد بن يزيد الأزدي، قال: سألت أنس بن مالك: أكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في نعليه؟ قال: «نعم»<sup>١</sup>، وقد نقل ابن تيمية وابن رجب إجماع العلماء على جواز ذلك<sup>٢</sup>.. هذا في الأحوال المعتادة، فإذا كان الحال طارئاً غير معتاد؛ مثل السفر للحج أو غيره أو كانت الأرض غير ممهدة مثل أرض مزدلفة كان الداعي للصلاة بالنعلين أكبر.

**ثانياً:** على عموم الناس التثبت قبل الإنكار، وكما قال الجاحظ: «أول مراتب الإنصاف حسن التثبت»<sup>٣</sup>؛ فلو أن الحاج «بوقيس» ذهب للشيخ مستفسراً ومستوضحاً لما كان فعله محل انتقاد واستهجان، لكنه ذهب مغضباً ومستنكراً وكان رأيه هو صواب لا يحتمل الخطأ، وكان فعل الشيخ خطأ لا يحتمل الصواب، وكان أحداً لم يتفطن إلى هذا الخطأ غيره.

**ثالثاً:** استنكار «بوقيس» على الشيخ استشهاداً بصلاة الرسول صلى الله عليه وسلم في نعاله محل عجب وغرابة أيضاً؛ فنحن مأمورون بالاقتراء بالرسول صلى الله

١ - صحيح البخاري، (٣٨٦).

٢ - انظر مجموع الفتاوى، (١٢١/٢٢)، وفتح الباري لابن رجب، (٤٢/٣)، بل وقال ابن رجب رحمه الله: «وكلام أكثر السلف يدل على أن الصلاة في النعلين أفضل من الصلاة حافياً».

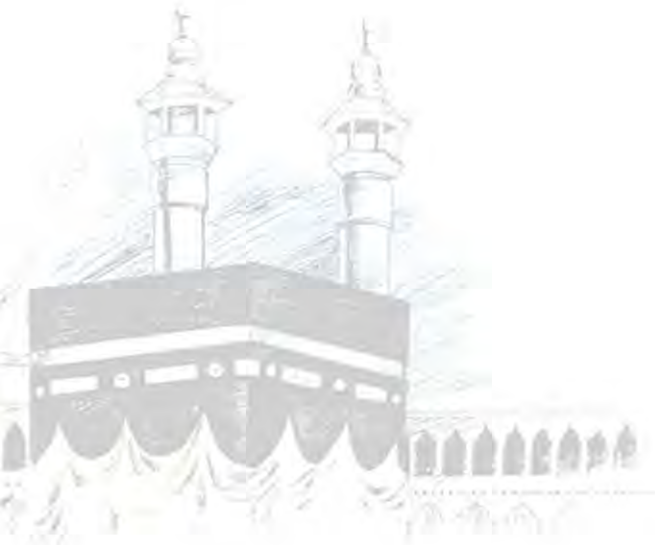
٣ - الرسائل السياسية، (ص: ٣٤٠).

عليه وسلم في أفعاله التعبدية، وبمن نقندي إن لم نقند به صلى الله عليه وسلم خاصة في مثل هذه المواقف التي قال فيها: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكُمْ»، لكن بسرعة بديهته التمس لنفسه العذر في الإنكار على الإمام مقارناً نعاله بخصوصية نعال الرسول صلى الله عليه وسلم.

**رابعاً:** لقد أحسن الشيخ حينما أدرك طبيعة تفكير «بوقيس»، ومدى ثقافته الشرعية، فسكت ولم يستطرد في مجادلته.

**خامساً:** إن ضحك الناس في هذا الموقف قد ساهم في تلطيف الأجواء وتهذئة نفس الشيخ فأدرك بواسطتها أن هذا من التصرفات الفردية العفوية الطريفة، وأن الجميع مدركون خطأ الحاج «بوقيس»؛ ولذا لم يملكوا إلا الضحك وتفويت الفرصة لأي تصعيد في الموقف!

وهذه نقطة مهمة يغفل عنها كثير من الدعاة والعلماء والوعاظ، وهي الاستطرد في مجادلة بعض العوام بما لا تدركه عقولهم، طبعاً هذا بعد أن يقوموا معهم بدورهم في توضيح الأمور لهم وتبيين الأحكام .







## السائل عن «المرقوق» !



في إحدى الحملات الكويتية وفور الوصول من نضرة عرفة إلى المشعر الحرام في مزدلفة، ومع انشغال الناس بصلاتي المغرب والعشاء، ثم بداية خدمة العشاء بعد يوم مجهود ليتمكن الحجاج من تناول طعامهم قبل خلودهم للراحة، فتوجه أحد الحجاج إلى شيخ الحملة قائلاً: «عندي تنبيه مهم عن شيء كان موجوداً في الحملة عندما حججت معها منذ سنتين والتي أخشى على سمعتها ومكانتها بين حملات الحج الأخرى»؛ فظن الشيخ أنه سيسأله عن أمر مهم أو مخالفة شرعية متعلقة بمناسك الحج، لكن الرجل قال له: أنت شيخ الحملة وأنت قريب من الإدارة، فتهياً الشيخ لسماع مشكلة كبيرة أو أمر جليل مطلوب منه نقله إلى إدارة الحملة؛ فإذا بالحاج يقول له: أنا العام قبل الماضي كنت مع هذه الحملة وكان عندهم أوان للمرقوق، افتقدته هذا العام، ضمن بوفيه الحملة؟

### الفوائد الفقهية والوعظية :

لا شك أن هذا السؤال يُعدُّ من اللطائف في هذا السياق، ولطافته ربما تنبع من المسؤل قبل السائل؛ حيث جاء السؤال لشيخ الحملة، وهو - كما نعرف - معنيٌ بالجانب الديني والفقهي والوعظي في الحملة؛ فلا ينبغي أن نشغله بأمور إدارية أو فنية تفصيلية خاصة بالقائمين على الحملة، اللهم إلا إذا كان هذا الحاج يظن أن «المرقوق» من مناسك الحج أو مستحباته!

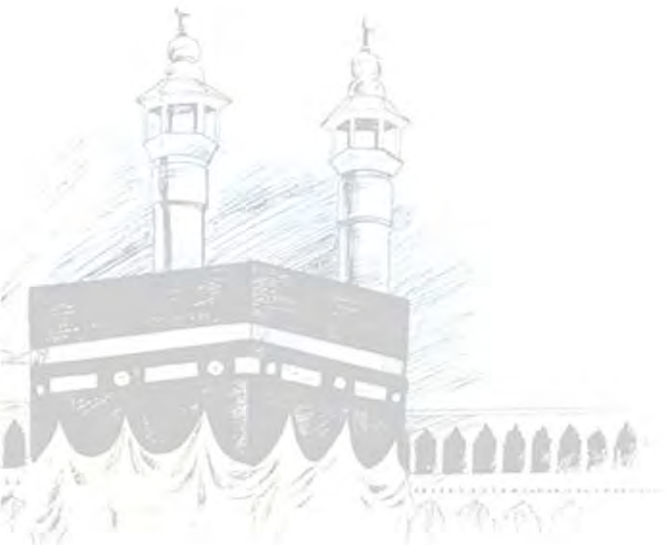
لكن بغض النظر عن نية هذا الحاج في سؤاله؛ فهي فرصة لأن نهمس في أذن إخواننا الحجاج بأنه عليكم أن تفرقوا بين الرحلات الترفيهية والرحلات التعبدية؛ فالأولى عليكم الإكثار فيها من المباحات كما تشاؤون، أما الأخرى فليكن همكم إشباع الروح والقلب أولاً؛ فذلك أهم من إشباع الجسد؛ فتخففوا من بعض الترفيهيات بما يتناسب مع جلال الموقف وهيبه المكان ومكانته.

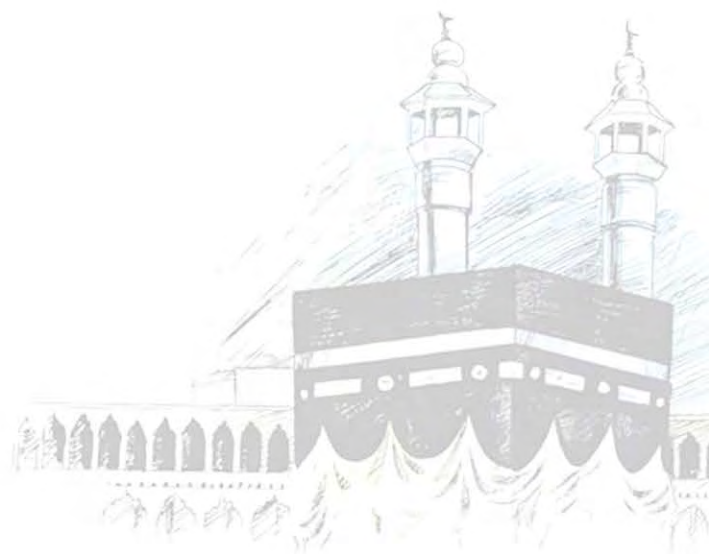
ونحن هنا لا نحرم المباحات .. حاش لله: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (الأعراف: ٣٢)، وإنما ننصح بالتخفف منها لأنه إذا ثقل الجسد بالأكل ثقل العقل ونام القلب؛ فتتحول المناسك إلى حركات جوفاء لا روح فيها.

فهذه أوقات قليلة جداً وغالية جداً نسبة إلى العام كله؛ فلا تضيعوا القليل النفيس فيما يمكن فعله في غير تلك الأزمنة الفاضلة.



ثم إن المسألة مسألة أولويات؛ فالسؤال نفسه مشروع جداً، لكن في توقيته ومكانه المناسبين، بعد الفراغ من مزدلفة وطواف الإفاضة، ويُوَجَّه للمسئول الإداري عن الخدمات الغذائية في الحملة.





## من لطائف اليوم العاشر (يوم النحر)

### صيام عرفة في رمضان !



من الأسئلة الظريفة التي جاءت أحد الشيوخ في إحدى حملات الحج في اليوم العاشر بعد أن صام الناس من غير الحجاج يوم عرفة: كيف نصوم عرفة إذا أدركنا الحج في رمضان؟

### الفوائد الفقهية والوعظية :

طبعا هذا السؤال يدل على خلط صاحبه بين مواسم السنة الهجرية وعلاقتها بالسنة الميلادية وفصولها وشهورها؛ حيث تدور المواسم الدينية مثل شهر رمضان والحج والأعياد والهجرة ... إلخ على فصول السنة الميلادية وشهورها؛ وذلك نتيجة الفرق في عدد أيام السنة الشمسية والسنة القمرية؛ حيث يبلغ عدد أيام السنة الشمسية ٣٦٥ يوماً و٦ ساعات و٩ دقائق و٩ ثواني، أما عدد أيام السنة القمرية فيبلغ ٣٥٤ يوماً و٨ ساعات و٤٨ دقيقة و٣٦ ثانية، وبذلك فإن الفرق بين السنة الميلادية والهجرية نحو ١٠ أو ١١ أو ١٢ يوماً، ويعتمد ذلك على ما إذا كانت إحدى

السنوات الميلادية أو الهجرية كبيسة أو كلتاها معاً سنتين كبيستين، وبناءً على ذلك تكون دورة السنة الهجرية تساوي ٣٣ سنة، في حين أن دورة السنة الميلادية ٣٢ سنة. ولكن هذا السؤال قد يدل على طبيعة بعض الناس الذي يفترضون أموراً لم تحدث ويستحيل أن تحدث؛ إما تعجلاً منهم في السؤال، ودون تربيث في التفكير، وإما جهلاً منهم من الأساس بموعد الحج وشهر رمضان في السنة الهجرية وليس الميلادية. ولو أنهم انشغلوا بالمسائل الواقعية التي تعرض لهم حقيقة وواقعاً لما افترضوا هذه الجدليات التي يعطلون بها أوقاتهم وأوقات العلماء والدعاة.

وقد تعامل الصحابة رضي الله عنهم مع هؤلاء «الأراييين» بحنكة وذكاء، فمما يروى عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما أنه سئل عن مسألة فقال: «هل كان هذا بعد؟ قالوا: لا، قال: دعونا حتى يكون، فإذا كان، تجشّمناها لكم»<sup>١</sup>.

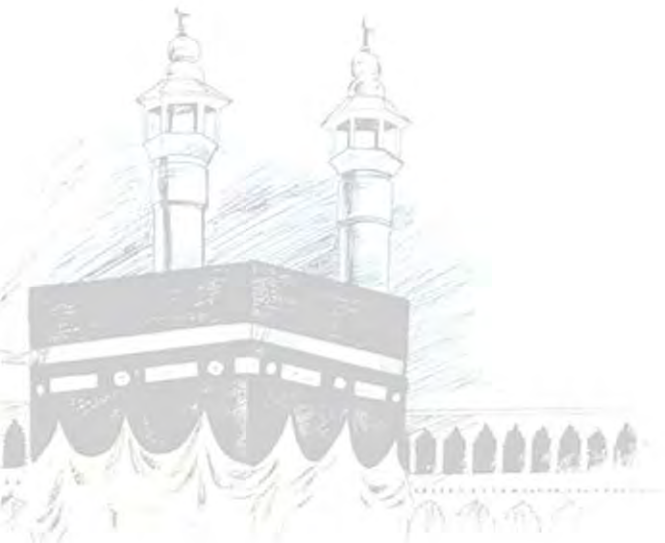
فأحال عمار رضي الله عنه التفكير في المسألة واستنباط حكمها إلى حين وقوعها، وفي هذا سد الباب على الإغراق في الافتراضات وتضييع الوقت فيما لا يكون. ونختم الحديث عن هذا الموقف بذكر موقفٍ شبيهٍ له عرض للإمام أبي حنيفة رحمه الله وما وقع فيه من جواب طريف، روى الخطيب في تاريخه بسنده إلى أبي عاصم

١ - منحوتة من كلمة: «أرايت»، وتعبّر عن كثرة الافتراضات: «أرايت إن كان كذا؟ أرايت إن وقع كذا؟».

٢ - تجشّمناه: أي كلفنا أنفسنا وحملناها على استنباط حكمه، انظر: تاج العروس، (٤٠٥/٣١).

٣ - سنن الدارمي (١/٢٤٣).

قال: قال رجل لأبي حنيفة: متى يحرم الطعام على الصائم؟ قال: إذا طلع الفجر،  
قال: فقال له السائل: فإن طلع نصف الليل؟ قال: فقال له أبو حنيفة: قم يا أعرج<sup>١</sup>.







## الوقوف بعرفة في اليوم العاشر!



ومن لطائف أحد الحجاج أنه بعد انتهاء الوقوف بعرفة في اليوم التاسع من ذي الحج، جاء في اليوم التالي (اليوم العاشر)، وقال لأحد أصحابه : لماذا أتعبنا أنفسنا بالأمس في الوقوف بعرفة في الزحام، واليوم عرفة خالية فهي فرصة للوقوف به اليوم.

## الفوائد الفقهية والوعظية :

من حكمة الله عز وجل أنه جعل لبعض العبادات وقتاً محدداً، لا يقبل العمل قبل دخول هذا الوقت، وكذلك بعد انتهائه وخروج وقته، ومنها ما يقبل فيه قضاء الفائت ومنها ما لا يقبل فيه ذلك؛ فكل صلاة من الصلوات لها وقت، وصوم الفريضة في رمضان له وقت، والحج له وقت.

وحتى مناسك الحج نفسها، كل منسك له وقت، بعضها قد يجوز تأخيره أو تقديمه وبعضها لا يجوز، وذلك مثل الوقوف بعرفة له موعد محدد، لا يجوز التقدم عليه أو

تأخيره، وهذا الوقت يبين الإمام النووي رحمه الله حدوده بقوله: « وقت الوقوف بين زوال الشمس يوم عرفة وطلوع الفجر ليلة النحر، وهو مذهب مالك وأبي حنيفة والجمهور. وقال القاضي أبو الطيب والعبدي: هو قول العلماء كافة إلا أحمد فإنه قال: وقته ما بين طلوع الفجر يوم عرفة، وطلوعه يوم النحر»<sup>١</sup>.

ونؤكد بمناسبة هذا السؤال أن أعمال الحج قائمة على الاستجابة لأمر الله عز وجل؛ فالطواف، والسعي، والنحر، وتقبيل الحجر، وغيرها من أعمال الحج لا تقصد لذاتها، بل المقصود منها هو الامتثال لأمر الله تعالى، وإظهار الطاعة له. فالحج مظهر من مظاهر التوحيد لله عز وجل، وشعار الحجيج: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك» دليل على هذا.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند تقبيل الحجر الأسود: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجْرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُكَ مَا قَبَلْتُكَ»<sup>٢</sup>.

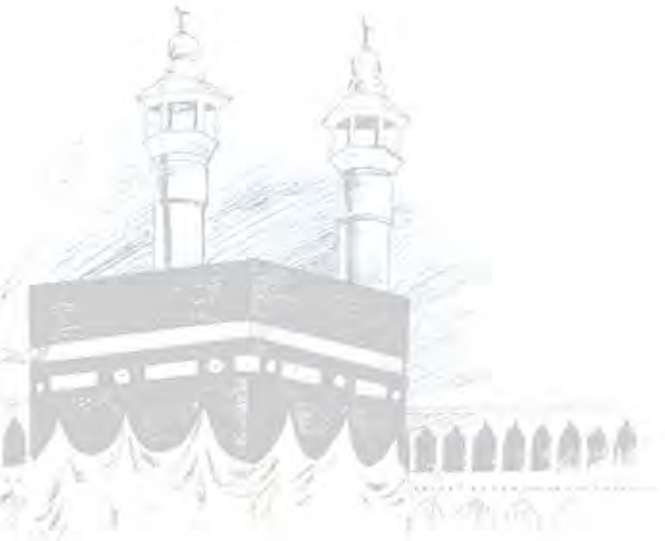
ولعل من حكم الله تعالى في توقيت مناسك الحج بهذه الصورة أن يتدرب الحاج في هذه الدورة التدريبية المكثفة على حسن إدارة وقته؛ فتكون هناك ثوابت لا يمكن تأجيلها أو تقديمها، وكذلك هناك مرونة في بعض الأعمال الأخرى التي يجوز فيها ذلك. فالحج مدرسة للحياة.

١ - المجموع (٨/ ١٢٠).

٢ - صحيح البخاري، (١٥٩٧).

قال الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: «وهنا (في الحج) نظام عام، قانون شامل، كلهم يقفون في موقف محدد في وقت محدد ويعملون العمل المحدد. جميعهم يقف في عرفات ويمرّ في مزدلفة، ويطوف ويرمي، لا ميزة لأحد على أحد. كانت لقريش (أي الحمّس) امتيازات جعلوها لأنفسهم، فلا يقفون خارج الحرم ولا يخرجون من مزدلفة حتى تشرق الشمس على جبل ثبير، فجاء الإسلام فقرر إلغاء هذه الامتيازات وإزالة هذه الفوارق، وأصدر قانونه الإلهي (هو أمر الله): ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾؛ لا ميزة لأحد على أحد، حتى الرسول صلى الله عليه وسلم حجّ كما يحجّ الناس (بل حجّ الناس كما حجّ) لما قال: «خذوا عني مناسككم»، علمهم أحكام الحجّ وحجّ معهم أو حجّوا معه، كما علمهم أحكام الصلاة ثم صلى أمامهم وقال: «صلّوا كما رأيتموني أصلي». كان أعظم معلّم يعلم تعليماً نظرياً وتعليماً عملياً.

لو كان يجوز أن يحضر هذا الموقف غير مسلم لاقتاحت على الأمم المتحدة أن توفد من يدعي المساواة ومحاربة العنصرية والتمييز بين الناس ليرى هذا المشهد الذي لم تبصر عين الشمس مثيلاً له! مشهد متفرد ما رأى أحدٌ ولن يرى مثله»<sup>١</sup>.





## إن لم تكن عرفة من الحرم فما بقي في الدنيا حرم !



حكى النواجي<sup>١</sup> «أنه رأى شخصاً من أعيان القضاة الشافعية بالديار المصرية أراق دمًا على جبل عرفات فقال له: ما هذا؟ فقال: دم تمتع، فقال: إنه غير مجزئ هنا، قال: ولم؟ قال: لأن شرطه أن يذبح في أرض الحرم، وعرفات ليست من الحرم، فقال كالمنكر عليه: هذا المكان العظيم ليس من الحرم؟ قال: نعم، ولا يقدر هذا في شرفه، فقال: إن لم تكن عرفات من الحرم، فما بقي في الدنيا حرم»<sup>٢</sup>.

### الفوائد الفقهية والوعظية :

يعزز هذا الموقف ما ذكرناه سابقاً من ضرورة التفقه العملي في أحكام الحج، فهذا الخطأ لم يكن من عامي جاهل؛ بل وقع من فقيه من أعيان القضاة الشافعية -

١ - النواجي نسبة لنواج بالغربية بالقرب من المحلة في مصر، وهو محمد بن حسن بن علي الشمس النواجي، عالم بالأدب، نقاد، له شعر، وفاته بالقاهرة (١٤٥٥م)، انظر: الأعلام للزركلي، (٨٨/٦).

٢ - المختار المصون، (٥٠٨/١).

بحسب الخبر- فتأكد الحاجة لضرورة الاستعانة بالوسائل الحديثة والمقاطع المرئية في تعليم أحكام الحج، والمقطع المرئي والمسموع هو أعلق بالذاكرة وأقرب لفهم المتلقي وأرسخ في ذهنه من النص المكتوب.

ونحن وإن كنا قد رأينا بأعيننا جهود القائمين على الحرم في توضيح وبيان حدوده من خلال اللوحات الإرشادية المنتشرة إلا أننا سنسوق ما ذكره أهل العلم في التعريف بحدود الحرم المكي<sup>١</sup>:

- ١) حدُّه من طريق المدينة: دون التنعيم عند بيوت السقيا، ويقال لها: بيوت بني نفار.
  - ٢) حدُّه من طريق اليمن: طرف أضواء لبْن في ثنية لبْن.
  - ٣) حدُّه من طريق جدة الحديبية: عند منقطع الأعشاش.
  - ٤) حدُّه من طريق الطائف: على طريق عرفة - من بطن نَمرة - وادي عرنة الغربية.
  - ٥) حدُّه من طريق العراق: نجد ثنية خَلْ بالمَقْطَع.
  - ٦) حده من طريق الجعرانة: في شعب آل عبد الله بن خالد بن أسيد.
- وفي معجم المعالم الجغرافية: «أما الحرم فمكة كلها حرم، بل إن حدود الحرم الغربية والشرقية تبعد عن البيت قرابة عشرين كيلاً، أما الجنوبية فأقل من ذلك، إذ تقع الحدود الجنوبية على الأكام التي تحف بوادي عرنة على قرابة (١٣) كيلاً جنوباً، ومن هذه الأكام: اللبينات، والوتائر تلاع - وسود حمى، جبال سود كالغريان.

١ - انظر: أحكام الحرم المكي، (سامي بن محمد الصقير).

أما من جهة الشمال، فالحد مسجد عائشة رضي الله عنها على رأس وادي التنعيم، وعنده ينقسم الماء إلى وادي التنعيم شمالاً في الحل، وتلعة ذات الحنظل جنوباً في الحرم، ويبعد هذا المسجد قرابة ٨ أكيال عن المسجد الحرام شمالاً. أي إن حرم مكة يبلغ (٨٨٢) كيلاً مربعاً بالتقريب<sup>١</sup>.

**خلاصة ما سبق :** أن عرفة وإن كان موقفاً عظيماً جليل القدر ولكنه ليس من الحرم ولا ينقص ذلك من قدره كما قال النواجي رحمه الله، ولك أن تعجب من مداخل الشيطان وكيف يوسوس للناس بالابتداع وتغيير أحكام الشرع، فذات الحجة (عظمة عرفة والموقف) التي احتج بها هذا القاضي قد سبقته بالاحتجاج بها قريش، ولكن بأسلوب معاكس، فبدلاً من أن تريق الدماء على عرفة وتضمه إلى الحرم كما فعل هذا القاضي؛ امتنعت من أن تقف عليه لئلا يطغى على الحرم ويهون من قدره في نفوس العرب، روى الطبري بسنده عن عبد الله بن أبي نجيح، قال: «كانت قريش، لا أدري قبل الفيل أو بعده، ابتدعت أمر الحمس<sup>٢</sup>، رأياً رأوه بينهم؛ قالوا: نحن بنو إبراهيم، وأهل الحرمة وولادة البيت، وقاطنو مكة وساكنوها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا، ولا مثل منزلنا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمكم، وقالوا: قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم. فتركوا الوقوف على عرفة،

١ - معجم المعالم الجغرافية، (ص: ٥١-٥٢).

٢ - الحمس: قريش وحلفاؤها ومن ولدتهم قريش من العرب (أمهاتهم من قريش)، سموا حمسا لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا، انظر: تهذيب اللغة (٤/ ٢٠٦).



والإفاضة منها، وهم يعرفون ويُقرّون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم، ويرون  
لسائر الناس أن يقفوا عليها، وأن يفيضوا منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهل الحرم،  
فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم، ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الحمس<sup>١</sup>.



## جمال سيدنا النبي !



يقول عبد الغني جاد من مصر (وباللهجة المصرية الدارجة): «في عرفة كان هناك واحد واخذ جمل وعلى هذا الجمل بعض الزخارف في عنقه وذيله وسنامه (أي رجل يقود جملاً مزيئاً بأثواب مزخرفة)، لمن أحب أن يلتقط لنفسه صورة فوق أو مع الجمل بمقابل مادي.

فجاءت سيدة مصرية طيبة كبيرة في السن وتمسحت بالجمال تبرُّكاً، فسألها أحد الموجودين: بتعملي إيه يا حاجة؟! (أي ماذا تفعلين) فقالت له: مش دا جمال سيدنا النبي يا بني (أليس هذا جمال سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم).



### الفوائد الفقهية والوعظية :

**أولاً:** نلاحظ في هذا الموقف مدى السذاجة التي يمكن أن يبلغها الإنسان، والتي تبلغ حدًا يتعذر تصديقه لمن تخفف من معاشرته الناس، فكيف يمكن أن يتصور إنسان بقاء الجمل حيًا من زمن النبوة إلى يومنا هذا؟ ومثل تلك المعتقدات تكثُر في البيئات المنعزلة المغلقة كالقري الصغيرة النائية وخاصة في كبار السن الذين لم يعاشوا ثورة عصر التواصل الحالي؛ فلم يتحصلوا على الثقافة اللازمة لتبديد تلك التصورات.

وهذا يقودنا إلى التنبيه على ضرورة أن يوسع الداعية من مداركه لاستيعاب جميع الأطياف وأن يتقبل وجود طرح ساذج يتناقض مع المسلمات البديهية، وأن يحسن التعامل معه بالإرشاد والدلالة بغير سخرية ولا تشنيع، فميزة أهل تلك الاعتقادات الساذجة أنهم في الغالب يكونون كالورقة البيضاء التي يسهل أن يخط فيها الداعي ما شاء من هدى وخير إن ترفق في دعوته وتعاطى مكارم الأخلاق.

**ثانياً:** التبرك، وهذا موضوع كثر حوله الأخذ والرد، ولسنا في مقام الإفتاء ولا التحيز لقول دون آخر، ولسنا بحمد الله تعالى ممن يُذَكِّي خلافاً أو يوقظ فتنة؛ بل كنا ولا زلنا ندعو للتعايش والتراحم والتعاقد والتركيز على المشتركات المؤلفة الجامعة لا الخلافات المشتتة المفرقة، وإنما نذكر في هذا الموطن القدر المتفق عليه بين جميع العلماء والمذاهب، فنقول: التبرك بذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم وما اتصل بذاته من متعلقاته هذا هو القدر الذي لم يتنازع فيه المسلمون، وفي

الموسوعة الفقهية الكويتية ما نصه: « اتفق العلماء على مشروعية التبرك بأثار النبي صلى الله عليه وسلم، وأورد علماء السيرة والشمائل والحديث أخباراً كثيرة تمثل تبرك الصحابة الكرام رضي الله عنهم بأنواع متعددة من آثاره صلى الله عليه وسلم،<sup>١</sup> وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «أما التبرك بأثار النبي من غير طلب الحاجة منه ولا دعائه؛ فمنشأه الحب والشوق الأكيد، رجاء أن يعطيهم الله الخير بالتقرب إلى نبيه وإظهار المحبة له، وكذلك بأثار غيره من المقربين عند الله ... والتبرك بأثار النبي كما تعلمون ويعلمه كل من اطلع على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، كان معمولاً به في عهد النبي، فكانوا يتبركون بماء وضوئه، وثوبه وطعامه وشرابه وشعره، وكل شيء منه، ولم ينههم النبي عنه» إلى أن قال: «فأما التبرك بما مس جسده عليه الصلاة والسلام من وضوء أو عرق أو شعر ونحو ذلك، فهذا أمر معروف وجائز عند الصحابة رضي الله عنهم، وأتباعهم بإحسان؛ لما في ذلك من الخير والبركة. وهذا أقرهم النبي صلى الله عليه وسلم عليه»<sup>٢</sup>.

وقد نقل الإمام النووي رحمه الله تعالى إطباق المسلمين سلفهم وخلفهم على هذا القسم من التبرك، وذلك في تعليقه على خبر طلب عمر بن عبد العزيز لقدح النبي صلى الله عليه وسلم كي يشرب فيه تبركاً، فيقول: «يعني القدح الذي شرب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا فيه التبرك بأثار النبي صلى الله عليه وسلم وما مسه أو لبسه أو كان منه فيه سبب، وهذا نحو ما أجمعوا عليه وأطبق السلف

١ - الموسوعة الفقهية الكويتية (١٠ / ٧٠).

٢ - مجموع فتاوى ابن باز (٩ / ١٠٦-١٠٧) بتصريف واختصار.

والخلف عليه من التبرك بالصلاة في مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الروضة الكريمة ودخول الغار الذي دخله النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك، ومن هذا إعطاؤه صلى الله عليه وسلم أبا طلحة شعره ليقسمه بين الناس، وإعطاؤه صلى الله عليه وسلم حقوه<sup>١</sup> لتكفن فيه بنته رضي الله عنها، وجعله الجريدتين على القبرين، وجمعت بنت ملحان عرقه صلى الله عليه وسلم، وتمسّحوا بوضوئه صلى الله عليه وسلم، ودلكوا وجوههم بنخامته صلى الله عليه وسلم، وأشباه هذه كثيرة مشهورة في الصحيح، وكل ذلك واضح لا شك فيه<sup>٢</sup>.

فإن ثبت أن الأثر مما استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلاً، فلا خلاف في جواز التبرك به، وإنما يقصد بذلك ما استعمله من جمادات؛ أما الدواب بحسب الاستقراء القاصر- فلم يتعرض العلماء لذكرها في كلامهم وكأنهم لم يتصوروا أحداً يخطر بباله أن يتبرك بدابة وإن كانت للنبي، فلم يرد عن أحد في زمنه فعل شيء من ذلك، ثم مسألة هلاك الدواب التي كانت في زمنه صلى الله عليه وسلم مسلمة لا يشكك فيها أحد، فلم يعد الكلام في المسألة ذا جدوى، ففعل تلك السيدة غفر الله تعالى لها غلط من جهتين، من جهة الخلل في تصور الواقع؛ فظنت إمكان بقاء « جمل سيدنا النبي » إلى يومنا هذا، ثم من جهة فعلها ما لم يرد عن أحد من الصحابة وما لم يرخص فيه أحد من أهل العلم.

١ - الحقو: الإزار، انظر: تهذيب اللغة، (٨١/٥).

٢ - شرح النووي على مسلم (١٣ / ١٧٨).

## من لطائف الحلق والتقصير

### المطوف الجاهل الذي أمر اثنتي عشرة امرأة بحلق رؤسهن !

نقل أحدهم عن جده قصة رآها في الحج قبل أكثر من خمسين سنة، وهي أن أحد الجهال جعل من نفسه مطوّفاً، فأوكل إليه رئيس المطوّفين تطويق اثنتي عشرة امرأة، وبعد أن انتهى معهن من رمي الجمار، أمرهن بحلق رؤوسهن بالموس جميعاً، وعادت النساء إلى أهلنّ بدون شعر<sup>١</sup>.

### الفوائد الفقهية والوعظية :

أساء هذا المطوف الجاهل كثيراً بتصرفه هذا بالطبع؛ فلو كان لديه أي إثارة من علم لعلم أن المرأة إذا أرادت التحلل من عمرتها أو حجها فعليها فقط تقصير قدر أنملة من شعرها، وليس الحلق كما أمرهن هو؛ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « ليس على النساء الحلق وإنما على النساء التقصير »<sup>٢</sup>.

وهذا الحكم في حق النساء دون الرجال - إذ الأفضل للرجال الحلق ويجزئ التقصير في حقهم - يدل على سماحة الإسلام ومراعاته لحال المكلف بالفعل؛ وقد ذكر بعض العلماء أن الحلق في حق النساء فيه مثلة<sup>٣</sup>، ولذا لم تفعله نساء النبي

١ - صحيفة الأنباء الكويتية بتاريخ: ١٢/٩/٢٠٠٨م.

٢ - سنن أبي داود، (١٩٨٥).

٣ - قال ابن المنذر: «أجمعوا أن لا حلق على النساء إنما عليهن التقصير، قالوا: ويكره لهن الحلق لأنه بدعة في حقهن، وفيه مثلة»، المجموع للنووي (٨/ ٢١٠).

صلى الله عليه وسلم، كما أن المرأة محتاجة إلى التجميل والزينة، والشعر من أهم وسائل التجميل لها؛ لذا شرع في حقها التقصير فقط دون الحلق. كما تؤكد هذه الواقعة أيضاً على أن من تساهل في أخذ دينه عن غير متخصص تعرض للمتاعب والشقاء في الدنيا، وربما خسر أجره في الآخرة والعياذ بالله تعالى؛ فلنحسن اختيار من نأخذ عنهم ديننا كما نحسن اختيار من نأخذ عنه دينانا.



## من لطائف رمي الجمار



### مقدمة :

يُعدُّ رمي الجمار من مناسك الحج؛ حيث ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رمى جمرة العقبة، وهي الجمرة القصوى التي تلي مكة بسبع حصيات، ضحى يوم النحر، يكبرُ مع كل حصاة منها، مثل حصى الخذف<sup>١</sup>. وروى النسائي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة وهو على راحلته: هاتِ القُطْ لي، قال: فلقطت له حصيات هن حصى الخذف، فلما وضعتهن في يده، قال: بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»<sup>٢</sup>.

١ - قال العلماء: هو نحو حبة الباقلا. شرح النووي على مسلم (٢٧ / ٩).

٢ - سنن النسائي، (٣٠٥٧).



**أولاً:** أما الحكمة من رمي الجمار فتتمثل بداية في الانقياد لأوامر الله تعالى وامتنال أوامره والاقتراء بفعل نبيه صلى الله عليه وسلم، روى أحمد وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنما جعل الطواف بالبيت وبالصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله عز وجل»<sup>١</sup>.

**ثانياً:** الاقتداء بنبي الله إبراهيم عليه السلام في عداوته للشيطان ورجمه؛ وهو ما يوضحه قول ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً، قال: «لما أتى إبراهيم خليل الله عليه السلام المناسك، عرض له الشيطان عند جمر العقبة، فرماه بسبع حصيات، حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمر الثانية، فرماه بسبع حصيات، حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له في الجمر الثالثة، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: الشيطان ترجمون، وملة أبيكم تتبعون»<sup>٢</sup>.

وتكثر المواقف اللطيفة التي تحدث من العوام في الرجم، ويمكن تقسيمها إلى قسمين؛ قسم خاص بالمرجوم به وهي الحصوات التي تستخدم في الرجم، وقسم خاص بالمرجوم وهو المكان الذي ترجم فيه الحصوات في الجمرات الثلاث.

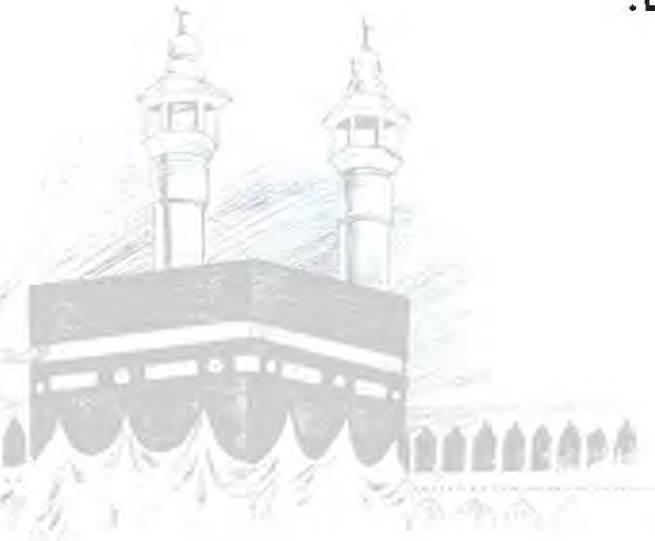
١ - سنن أبي داود، (١٨٨٨)، مسند أحمد، (٢٤٣٥١).

٢ - مستدرک الحاكم (١٧١٣)، سنن البيهقي الكبرى (٩٧٧٩).

### أولاً: اللطائف الخاصة بالمرجوم به :

تواترت العديد من المواقف التي غالى فيها بعض الحجاج في الرمي؛ فهذا يشترط مواصفات للحصى المرمي بها أن تكون مدورة مكورة، وهذا يمسك في يده حجراً ويريد أن يرمي به، غير مُبالٍ بما يمكن أن يُحدثه من أذى لمن أمامه، وهذا أراد أن يغالي أكثر وأكثر في الأمر فلم يجد إلا نعله خلعه ورمى بها وعاد حافياً.. إلى آخر هذه المواقف والطرائف التي ربما ما زالت بعض المقاطع المرئية في قنوات «اليوتيوب» توثق بعضاً منها.

ويحكي أحد الباحثين في مبرة الآل والأصحاب عن موقف عرض له أثناء رمي الجمرات فيقول: كان بجانبني أثناء رمي إحدى الجمرات رجل ينشط في الرمي جداً ويجدُ فيه، حتى إنه يببالغ في إعادة ذراعه إلى الوراء طلباً لقوة الرمي، وفي إحدى رمياته وأثناء تحريك ذراعه إلى الأمام أطار نظارتي من على وجهي، فانتبه إلى ما فعل؛ فتلفت فإذا به يجد نظارة ملقاة على الأرض فالتقطها ووضعها على وجهي وانصرف عني متابعاً الرمي، فإذا بي أكتشف أنها ليست نظارتي، وأن نظارتي لازالت على الأرض مهشمة بعد أن داسها أحد الحجاج، وبقيت أعاني بغير نظارة حتى أتمنا حجنا بفضل الله تعالى ورجعنا إلى مدينتنا.



## الفوائد الفقهية والوعظية :

### في هذا السياق يمكن أن نقف الوقفات التالية :

**أولاً:** نحن مأمورون بالاتباع في كل عبادتنا ومناسكنا، والرسول صلى الله عليه وسلم قال: «لتأخذوا مناسككم»<sup>١</sup>؛ فعلينا أن نتلمس فعله صلى الله عليه وسلم ونقتدي به، وقد نهانا صلى الله عليه وسلم عن الغلو في العبادات.

**ثانياً:** الحصوات التي يُرمَى بها حددها الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها بمثل الخذف فقال صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضاً، وإذا رميتم الجمرة فارموا بمثل حصى الخذف»<sup>٢</sup>.

وحصى الخذف هذا - كما ذكره الإمام الشافعي - «أصغر من الأنملة طولاً وعرضاً»<sup>٣</sup>، ومنهم من قال بأنه مثل الباقلاء<sup>٤</sup>.

فالرسول صلى الله عليه وسلم حذّر في هذا المنسك تحديداً من الغلو فقال - كما مر منذ قليل - : «إياكم والغلو في الدين»<sup>٥</sup>، وهو صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق بدأه بقوله: «لا تقتلوا أنفسكم»؛ إدراكاً منه صلى الله عليه وسلم لما يمكن أن يقع فيه الناس من الغلو في هذا المجال كما نرى اليوم.

١ - مسلم، (١٢٩٧).

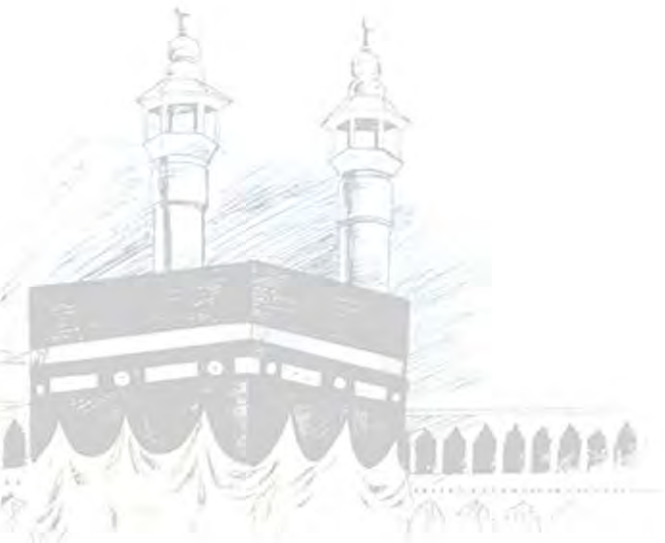
٢ - سنن أبي داود، (١٩٦٦).

٣ - الأم للشافعي، (٢٣٦/٢).

٤ - شرح النووي على مسلم (٢٧ / ٩).

٥ - سنن النسائي، (٣٠٥٧).

**ثالثاً:** الأصل في الدين أنه «لا ضرر ولا ضرار»، وهذه الأفعال، فضلاً عما فيها من مخالفات لفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وما عليه جمهور العلماء فإنها مظنة لحدوث أضرار وإصابات خاصة مع الزحام؛ فالحجر الذي يرمى ربما يقع على من هو قريب من الحوض فيصيبه، وهذا ضرر كبير يتنافى مع روح الدين والشريعة.





## جمع لنا الحصيات من السنة الماضية !



يحكي لنا أحد الفضلاء من أصحاب الحملات الموقف التالي: يقول: بينما نحن في الحج فإذا بشاب يكلمني ويقول: أنا فلان ابن فلان، فقلت: حياك الله، حج والدك معنا في الحملة في السنتين الماضيتين، أليس كذلك؟، فقال: صحيح، وقد كنا منذ السنة الماضية قد عزمنا أنا وأختي على الحج في هذه السنة، وفي السنة الماضية جمع لنا والدنا الجمرات وأعطانا إياها كي لا يشق علينا جمعها في حجننا، والسؤال: هل يجزئ لورميننا بالجمرات التي جمعها الوالد في السنة الماضية أم يجب أن نجمع نحن الجمرات الآن؟، يقول صاحب الحملة: فأحلتهم على شيخ الحملة ليجيبهم لأنني لست متخصصاً شرعياً، ولكن علق موقفهم في ذهني لغرابته وطرافته.



## الفوائد الفقهية والوعظية :

### في هذا الموقف عدة فوائد :

**أولاً:** عاطفة الوالد على أولاده وشفقته بهم، والتي جعلته يعد لهم الجمرات قبل حجهم بسنة كي يوفر عليهم جهد جمعها، والذي يدعونا للتذكير بحقوق الوالدين وأن برهما من الوفاء والمروءة، وأن الولد مهما أدى لوالديه فلن يوفيها حقهما.

**ثانياً:** رحمة الوالدين مفتاح حديثنا عن رحمة الخالق، خاصة وأن الحجاج في موطن وزمان تنزل الرحمات، فينبغي للإنسان أن يتذكر عِظَمَ رحمة الله ورأفته بعباده، وهذا مما يقوي رجاءه وينشطه للسعي في طلبها عبر الطاعات والصالحات، روى البخاري بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيا في السبي أخذته، فأصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: «أترون هذه طارحة ولدها في النار، قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»<sup>١</sup>، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «والله أرحم بعباده يوم تأتيه من أم واحد فرشت له في الأرض، ثم قامت تلتمس فراشه بيدها فإن كانت لدغة كانت بها، وإن كانت شوكة كانت بها»<sup>٢</sup>، ومثل هذا التصوير لرحمة الخالق مما يعظم أمل العبد ورجاءه بأن يكون من أهل الرحمة، وفهم ما

١ - صحيح البخاري، (٥٩٩٩).

٢ - مصنف ابن أبي شيبة، (٣٤٥٣٠).

سبق هو ما حدا ببعض السلف أن يقول: «والله لو خيرت بين محاسبة الله إياي، وبين محاسبة أبوي، لا اخترت محاسبة الله، وذلك لأن الله أرحم بي من أبوي»<sup>١</sup>.

**ثالثاً:** لا يشترط في الجمرات أن تكون من مكان معين أو أن تجمع في زمان معين أو يتعين على الرامي أن يجمعها بنفسه، بل القصد هو رمي الجمرات فحسب، ويحسن هنا التنبيه على بعض الأخطاء التي تقع أثناء التقاط الجمرات، قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «وما يفعله بعض العامة من لقط حصى الجمار من حين وصوله إلى مزدلفة قبل الصلاة، واعتقاد كثير منهم أن ذلك مشروع؛ فهو غلط لا أصل له، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر أن يلتقط له الحصى إلا بعد انصرافه من المشعر إلى منى، ومن أي موضع لقط الحصى أجزاء ذلك، ولا يتعين لقطه من مزدلفة بل يجوز لقطه من منى، والسنة التقاط سبع في هذا اليوم يرمي بها جمرة العقبة اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، أما في الأيام الثلاثة فيلتقط من منى كل يوم إحدى وعشرين حصاة يرمي بها الجمار الثلاث»<sup>٢</sup>.

وقال أيضاً: «ومما قد يغلط فيه العامة أنهم إذا وصلوا مزدلفة اشتغلوا بلقط الحصى قبل الصلاة، قبل كل شيء، هذا غلط ما له أساس، إذا صلى وتفرغ وتعشى إذا أحب أن يلقطها فلا بأس، وإن تركها إلى منى كفى ذلك والحمد لله، المقصود أن

١ - سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٤٩).

٢ - التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب (ص: ٦١).





العامّة يتكلفون في هذا، وليس له أصل، بل إن لقطها من مزدلفة فلا بأس بعد ما يصلي وبعد ما يستريح، وإن تركها حتى يلقطها من منى كفى ذلك والحمد لله<sup>١</sup>.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «والخطأ الذي يرتكبه بعض الناس في رمي الجمرات من وجوه متعددة فمن ذلك: أولاً: أن بعض الناس يظنون أنه لا يصح الرمي إلا إذا كانت الحصى من مزدلفة، ولهذا تجدهم يتعبون كثيراً في لقط الحصى من مزدلفة قبل أن يذهبوا إلى منى، وهذا ظن خاطئ، فالحصى يؤخذ من أي مكان من مزدلفة، أو من منى، من أي مكان يؤخذ، المقصود أن يكون حصى. ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه التقط الحصى من مزدلفة حتى نقول إنه من السنة، إذاً فليس من السنة، ولا الواجب أن يلتقط الإنسان الحصى من مزدلفة، لأن السنة إما قول النبي عليه الصلاة والسلام، أو فعله، أو إقراره، وكل هذا لم يكن في لقط الحصى من مزدلفة»<sup>٢</sup>.

فإذا تبين لنا يسر الشريعة وسماحتها، وأن الشرط إنما هو التزام وصف الحصى الذي يرمى به دون شروط أخرى علم أن الاستعداد المسبق -كالذي وقع من ذلك الأب شفقة منه على أولاده- لا داعي له، بل يسع كل أحد أن يجمع الجمار التي يرميها بغير مشقة ولا تعب، بل ربما عاد هذا الاستعداد المسبق بالسلب على نفسية الأبناء إذ يتصورون مشقة وتعسيراً ليس موجوداً في الحقيقة، بل ديننا والله الحمد والمنة دين تيسير ورفق.

١ - فتاوى نور على الدرب لابن باز (١٧ / ٤٣٢).

٢ - مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٣ / ١٤٠).

## ثانياً: اللطائف الخاصة بالمرجوم



وكما غالى بعض الحجاج في المرجوم به كما مرّ فإنهم أيضاً غالوا تجاه المرجوم، متوهمين أنهم يرحمون الشيطان ذاته، ومن هذه المواقف:

- «روى أحدهم أنه رأى حاجةً ترجم الشيطان وتقول: خذ يا ابن الكلب، فقال لها: يا حاجة ما يجوز هذا، فردت عليه: وإنت مالك؟ هو بيقترب لك؟» (تقصد: هل الشيطان من أقبائك وأهلك؛ حتى تدافع عنه من الشتيمة؟).

- وحسب رواية قالها أحد الحجاج لموقع «اليوم السعودية» أنه رأى حاجةً أخرى تقول للمرجم: «مش أنت اللي حرضت زوجي على تطليقي، مش إنت اللي فرقت

بيني وبين عيالي.. الله يلعنك يا ابن الـ ...» (أي ألسـت أنت الذي جعلت زوجي يطلقني ويبعدني عن أولادي؟)، قالتها ثم خلعت حذاءها ورجمته<sup>١</sup>.

- وفي رواية أخرى نشرها رجل أمن سعودي عبر صفحته الشخصية على موقع التواصل «فيسبوك» أنه رأى حاجاً يتحدث مع الشيطان فيقول له: «بص يا إبليس أنا لا جاي أضربك ولا أشمك، هما كلمتين؛ سييني في حالي وأسيبك في حالك»<sup>٢</sup> (أي أنني لم آت لضربك ولا شتمك، ولكن ابتعد عني وأنا أبتعد عنك).

- ونقلت صحيفة «عكاظ» أن حاجاً قال أثناء رمي الجمرات: «أتينا لرحم العفرية.. الشيطان مش كويس، ويخلي الإنسان يرتكب الخطيئة ويوقعنا بالهلاك»<sup>٣</sup> (أي أن الشيطان سيئ ويجعل الإنسان يخطئ).

- نقلت صحيفة «عكاظ السعودية» أن حاجة كانت مع كل جمرة ترميها تسب<sup>٤</sup> شخصاً ما بالفاظ نابية وغير أخلاقية، بدلاً من رجم رمز عداوة الشيطان، وعندما سألتها مراسل الصحيفة عن هوية هذا الشخص لم تجبه بسبب ما كانت فيه من غضب، إلا أن إحدى قريباتها أخبرته بأنه (الذي تسبه) زوجها؛ خانها مرات عديدة وجاءت للحج من أجل تغيير مسار حياتها<sup>٤</sup>.

١ - صحيفة اليوم السعودية، بتاريخ: ٠٥/١١/٢٠١١م

٢ - صحيفة النهار المصرية، بتاريخ: ٣١/١٠/٢٠١٢م.

٣ - صحيفة عكاظ، بتاريخ: ١٣/٩/٢٠١٦م

٤ - صحيفة عكاظ، بتاريخ: ١٣/٩/٢٠١٦م

- وهذا الحاج عبده البالغ من العمر سبعة وثلاثين عاماً - حسب جريدة الأنباء الكويتية- لم يتمالك غضبه عندما أقدم على رمي جمرة العقبة الكبرى بمشعر منى، وذلك بما يعتقد أنه هذا هو الشيطان الرجيم، فقد شق تلك الأمواج البشرية واتجه نحوه ماسكاً عصاً من أجل ضربه والتخلص منه، إلا أن تواجد رجال الأمن الذين يعملون على تنظيم الحشود تدخلوا في منعه وإمساكه.

- الحاج عبده الذي كان منفعلاً من شدة غضبه لما يعتقد أن هذا الشاخص المبني هو الشيطان الرجيم وأنه سبب رئيسي في تطليق زوجته التي هجرها منذ سنوات، ظل يعاتب بأعلى صوته وهو في أيدي رجال الأمن بأن هذا الشيطان سبب في دمار حياتي!

### الفوائد الفقهية والوعظية :

**تعليقاً على هذه المواقف المتقاربة وشبهاتها نؤكد ما يلي :**

**أولاً:** نكرر ما ذكرناه مراراً وتكراراً من الحذر من المبالغة والمغالاة، ونؤكد على أهمية اتباع الهدى النبوي في كل أفعالنا ومناسكنا التعبدية؛ حتى لو لم نوفق إلى إدراك الحكمة من الفعل؛ فقد قال الشيخ العثيمين رحمه الله: «لا يعرف حكمة من رمي هذه الجمرات في هذه الأمكنة إلا لأنها مجرد تعبدٍ لله سبحانه وتعالى»<sup>١</sup>.

١ - صحيفة الأنباء الكويتية، بتاريخ: ١٩/١٠/٢٠١٣م.

٢ - فتاوى نور على الدرب، (٨/٢٢٠).

**ثانياً:** هذا الشاخص ليس هو الشيطان، ولا علاقة بينه وبين الشيطان، إنما هو علامة على موضع رمي الجمرات، وبهذه المناسبة نؤكد أن هذا الشاخص ليس هو ذات المرمى، وإنما هو علامة بناها المسئولون المعنيون من باب الدلالة والملاءمة لأداء النسك، كما جاء في الموسوعة الفقهية: « وليست الجمرة هي الشاخص (العمود) الذي يوجد في منتصف المرمى بل الجمرة هي المرمى المحيط بذلك الشاخص؛ فليتنبه لذلك»<sup>١</sup>.

**ثالثاً:** في علاقتنا بالشيطان نحن مأمورون بالاستعاذة منه وليس الانشغال بسبه ولعنه، والمبالغة في إسناد الأخطاء له، خاصة إذا علمنا أن هذا لا يصرف كيده ووسوسته بل ربما يزيد تعاضماً، كما في حديث أبي المليح عن أبيه قال: «كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فعثر بعيري، فقلت: تعس الشيطان. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقل تعس الشيطان فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت، ويقول: بقوتي صرعته، ولكن قل: بسم الله فإنه يصغر حتى يصير مثل الذبابة»<sup>٢</sup>.

قال الطحاوي رحمه الله في كتابه «مشكل الآثار»: «نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه بذلك موقع للشيطان أن ذلك الفعل كان منه، ولم يكن منه، إنما كان من الله عز وجل، وأمره أن يقول مكان ذلك: «باسم الله» حتى لا يكون عند الشيطان أنه كان منه عنده في ذلك فعل»<sup>٣</sup>.

١ - الموسوعة الفقهية الكويتية، (١٥٠/٢٣).

٢ - شرح مشكل الآثار للطحاوي، (٣٦٨).

٣ - شرح مشكل الآثار، (٣٤٥/١).

أما الطريق الوحيد لدفع وسوسة الشيطان ومكائده؛ فهو الاستعاذة بالله سبحانه منه، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت: ٣٦).

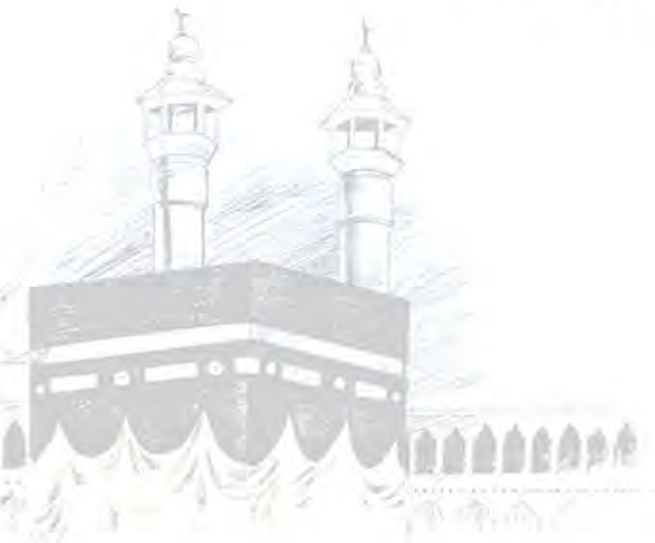
وفي حديث عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي. يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذَلِكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ: خَنْزِبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَاتَّقِلْ عَلَيَّ يَسَارِكُ ثَلَاثًا، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي»<sup>١</sup>.

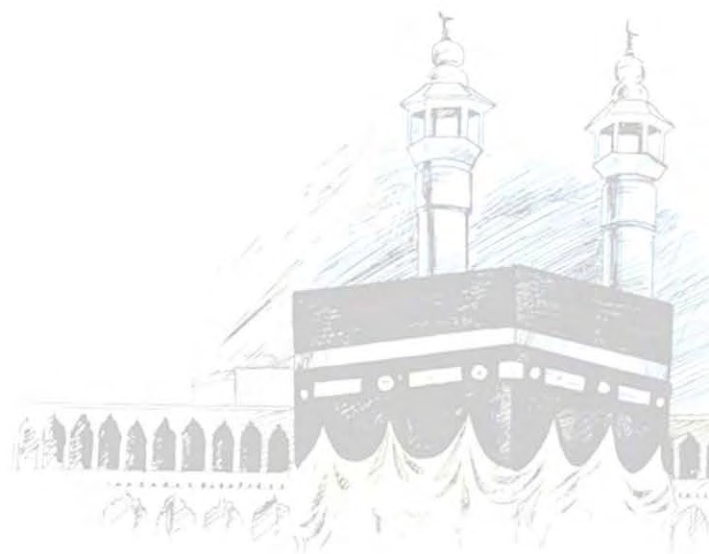
**رابعاً:** على المسلم أن يحفظ لسانه من الشتم والسب والقذف واللعن؛ حتى لو مع الشيطان؛ لئلا يعتاد على هذا الأمر، ويدخل في عداد الشتامين واللعانين، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي»<sup>٢</sup>.

**خامساً:** ليحذر بعض المسلمين من أن يتخذوا الشيطان تكأة لاستمرار مشكلاتهم خاصة الاجتماعية- فبدلاً من أن يبحث عن حلول علمية ومنطقية وموضوعية لمشكلته مع زوجته أو مشكلتها مع زوجها، يلقي الأمر كله على الشيطان ويفرغ طاقته في سبه ولعنه دون أخذ أي خطوة أو إجراء لحل المشكلة.

١ - صحيح مسلم، (٢٢٠٣).

٢ - سنن الترمذي، (١٩٧٧).





## رجموا زميلهم بدلاً من الشيطان !



ومن الحوادث المؤلمة - إن جاز التعبير- ما ذكره أحدهم، قائلاً: حدثني من أثق به أنه من شدة الزحام والتدافع عند رمي الجمار رأى حاجاً كاد يسقط من أعلى الجسر، ولكنه تمسك بالحديد بقوة، فسقطت ثياب الإحرام عنه، وكان هذا الحاج إفريقيًا شديد السواد، ضخم الجسم، فلما رآه بعض الجهلة، ظنه الشيطان قد خرج، فصار يهتف بكل حماس: خرج الشيطان.. ظهر الشيطان !

وأخذ يسدد الجمرات يريد أن يصيب هذا المسكين، وبدأ الجهلة يرمون هذا المسكين بالحصى والنعال، حتى أدركته سيارة الإسعاف وهو على وشك أن يفارق الحياة!

وقريب منه ما ذكره الشيخ محمد بن موسى الشريف، قال: «وقد رأيت في إحدى الحجج التي حججتها قبل قرابة عشر سنوات منظرًا عجيبًا لا أنساه، ألا وهو أن



أحد الحجاج الأفارقة السود صعد إلى إحدى الجمرات فالتزم العمود الشاخص وصار يضربه بحرقه، والحجارة تنهال عليه من كل مكان، والدم يتدفق من جسده كأنما هو مرجوم في حد، وهو لا ينتهي مع ذلك ولا ينزل، ولله في خلقه شؤون<sup>١</sup>.

### الفوائد الفقهية والوعظية :

هناك وجه شبه وتقارب بين هذين الموقفين والمواقف السابقة المتعلقة بالمرجوم؛ حيث ربط بعض الحجاج بين الشاخص أو المرجم والشیطان؛ فتوهموا أنهم يرممون الشيطان ذاته، لكن ما زاد الطين بلّةً هنا أن هؤلاء الناس توهموا الشيطان أمامهم كائناً حياً؛ فكان هذا من سوء حظ المرجمين، وقد كادا أن يكونا ضحية هذا الفهم المغلوط، وإن كان يمكن توجيه تواصل الرجم من الحجاج في الموقف الثاني بعدم انتباههم لتعلق ذلك الحاج بالجمرة.

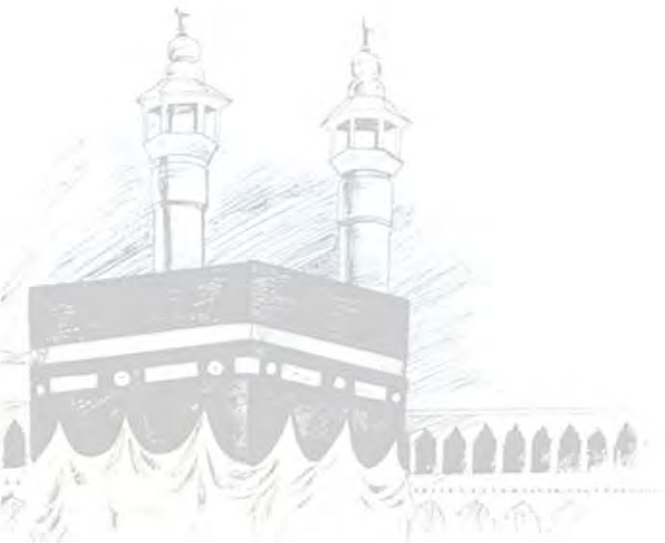
أما ما يمكن قوله هنا بالإضافة لما قلناه في المواقف السابقة هو أنه ينبغي الحذر مما فيه خطورة على النفوس، خاصة في الزحام الشديد، والذي كان أكثر شدة قبل توسعة جسر الرجم وبناء أكثر من دور (طابق) فيه، والمرونة الفقهية في عدم قصر الرجم على وقت الزوال فقط.

كما ينبغي أيضاً التحوط في لبس ثياب الإحرام، ويمكن استخدام بعض الأحزمة المتفقة مع الضوابط الشرعية لتثبيت الثياب بصورة أفضل.

١ - قصص وطرائف من الحج في القرون السوالمف، (ص: ٧١).

كما ينبغي الحذر من التزاحم الشديد المؤذي، ظناً أن هذا من فضائل الأعمال أو من تمام المناسك؛ فالله عز وجل وضع لنا قاعدة مهمة في كل حياتنا حيث قال عز وجل:

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتِطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ (التغابن: ١٦).





## اجتماع العساكر لرجم إبليس والقضاء عليه ١

يقول إبراهيم رفعت باشا<sup>١</sup> في كتابه «مرآة الحرمين»: «من فكاهات الحجاج عند رمي الجمرات، أن بعضهم كان يرمي الحصيات السبع دفعة واحدة ويخاطب إبليس بلفظة: «يلعن دينك»، وبعضهم كان يرمي حصاة حصاة ويقول العبارة السابقة عقب كل واحدة يقول: «في عين دينك»، وبعض الحجاج لا يكتفي بالحصيات الصغيرة بل يأتي بأحجار كبيرة ويرمي بها الجمرة «العمود القائم» بل لا يرتاح له بال إلا إذا هدم جزءاً من البناء، ومنهم من يقف على البناء ويرمي، ومنهم من يلصق به جسده ويرمي، وقد كان من الضباط الذين معنا «اليوزياشي» عبد الوهاب حبيب أفندي، فلما جاء وقت رمي جمرة العقبة أخذ عساكر الحرس ورجموا إبليس «الجمرة» دفعة واحدة بهيئة هجوم على عدو وانتقام منه»<sup>٢</sup>.

١ - إبراهيم رفعت باشا بن سويفي بن عبد الجواد بن مصطفى المليجي: مؤرخ مصري، من أمراء الحج العسكريين، ولد في أسيوط بعد وفاة والده بثلاثة أشهر، ونشأ يتيماً، فعنيت به أمه، وتخرج بالمدرسة الحربية بالقاهرة وتعلم في أوقات فراغه لبعض علماء الأزهر. ومنح رتبة (اللواء) العسكرية، وتوفي بالقاهرة (١٩٣٥م)، انظر: الأعلام للزركلي، (٣٩/١).

٢ - مرآة الحرمين، (٤٩/١).



## رمي الجمرات برصاص المسدس !



ولعل من أغرب ما ذكر في رمي الجمرات ما ذكره محمد لبيب البنتوني<sup>١</sup> في الرحلة الحجازية من أن أحد الحجاج رمى عمود الجمرة برصاص طبنجته (مسدسه)<sup>٢</sup>.

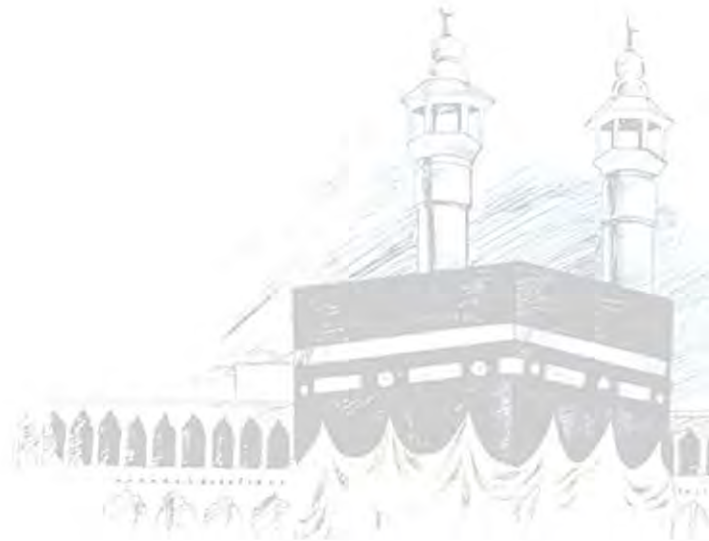
### الفوائد الفقهية والوعظية :

سبق التعليق والتنبيه على محل الخطأ في كل ما ذكره إبراهيم باشا من الطرائف التي عايشها في رحلته، من ضرورة حفظ اللسان واجتناب الشتم والسب، ومن ضرورة التزام الأذكار والأدعية المنصوص عليها لتحصيل بركتها، وأيضاً التنبيه على رمزية الرجم وأن المراد بالفعل ترسيخ معنى بغض الشيطان والتبرؤ من طريقه ولا يلزم من ذلك أن يكون المرجوم في الجمرات هو إبليس حقيقة، كما وتؤكد أهمية التنبيه على ضرورة اجتناب ما يمكن أن يلحق الأذى بالنفس أو بالحجاج الآخرين، كحال من رمى عمود الجمرة بالمسدس!

١ - فاضل مصري، له اشتغال بالأدب والتاريخ، توفي بالقاهرة (١٩٣٨م). انظر: الأعلام للزركلي، (١٥/٧).

٢ - المختار من الرحلات الحجازية، (٨٠٨/٢).

ولكن رأينا من المهم أن ننبه على أوجه التشابه بين الطرائف التي ذكرها إبراهيم باشا في كتابه قبل قرابة القرن وبين الطرائف التي نشاهدها اليوم، وهذا يدل على أن جهل بعض عوام اليوم بالأحكام ليس مختصاً بأجيالنا الحالية، بل ويعرض مثله في كل جيل، وهذا ينبئنا بأهمية الدور التثقيفي الذي يقوم به الفقهاء والدعاة، كما يدل على صعوبة المهمة وثقلها على عواتق أهل العلم، فالجهل متوارث عبر أجيال، ويستدعي المزيد والمزيد من الجهد لتصحيح تلك المفاهيم المغلوطة التي استقرت بفعل تقليد السابقين.



## التعجل في أول أيام التشريق لإدراك مباراة كرة قدم !



وهذا سؤال لأحد الشيوخ: هل يمكن التعجل في أول أيام التشريق لندرك مباراة كرة

قدم في جدة؟

### الفوائد الفقهية والوعظية :

هذا السؤال دال على الحالة العجيبة التي وصل إليها الناس، وسيطرة بعض الملهيات والترفيات عليهم حتى زاحمتهم في أفضل الأماكن وأشرف الأزمان.

رحلة الحج أو العمرة فرصة لا تتكرر كثيراً في حياة المسلم؛ لذا فعليه أن يحسن استثمارها والتركيز فيها، وترك مشاغل الدنيا من المباحات خارج حدود المكان والزمان اللذين يحتويانه حينها؛ فما بالك بالانشغال بالترفيهيات والملهيات التي عمت بها البلوى.

لكن لعل هذه فرصة أن نقف وقفة فقهية مع التعجل في النفرة من منى الذي ذكره

الله تعالى في قوله عز وجل: ﴿ **وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ**



**فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنْ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ  
تُحْشَرُونَ ﴿ (البقرة: ٢٠٣).**

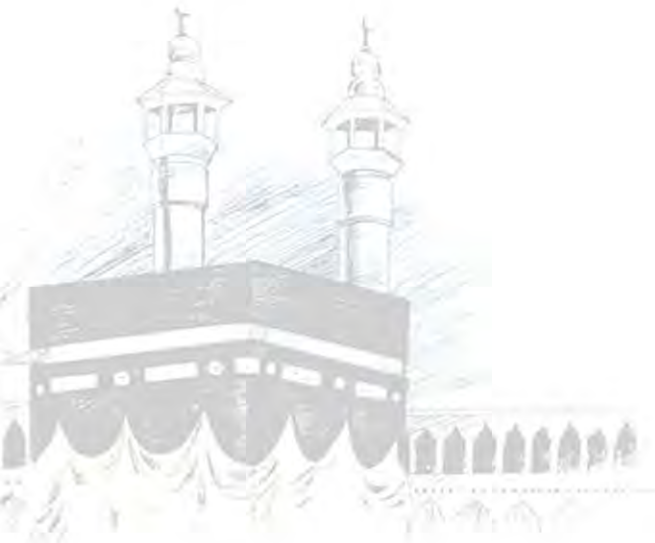
نشير بداية أن المقصود بالتعجل «انصراف الحاج من منى في اليوم الثاني من أيام التشريق، وهو اليوم الثاني عشر من ذي الحجة، بعد رميه جمار ذلك اليوم؛ حيث يجوز للحاج مغادرة منى في اليوم الثاني من أيام التشريق، ولا يجب عليه البقاء لليوم الثالث، لكن بشرط أن يغادر منى قبل غروب شمس يوم الثاني عشر، ومن غربت عليه الشمس في هذا اليوم وهو في منى لزمه المبيت والرمي في اليوم الثالث عشر؛ أي أنه لا يجوز الانصراف في اليوم الأول من أيام التشريق، كما أراد الحاج «الرياضي».

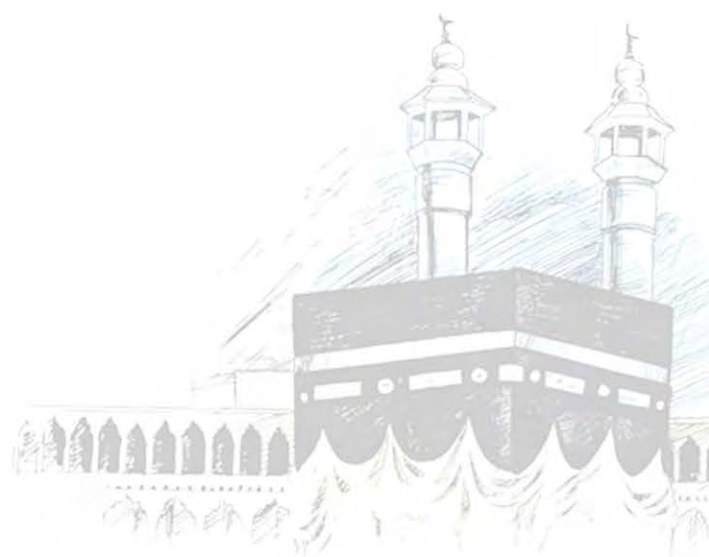
جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: «المدة التي يجب على الحاج أن يمكثها في منى بعد يوم النحر يومان، هما: الحادي عشر، والثاني عشر من ذي الحجة.

أما اليوم الثالث عشر من ذي الحجة فلا يجب عليه أن يمكثه في منى، ولا يجب عليه رمي الجمرات فيه؛ بل يستحب فقط، إلا إذا غربت عليه شمس اليوم الثاني عشر وهو في منى، فيجب عليه المبيت ليلة الثالث عشر، ثم رمي الجمرات الثلاث ... وأما معنى ما ذكر من الآية: فمن تعجل بالنزول من منى بعد أن بات ليلتين بها عقب يوم النحر، وبعد رمي الجمرات الثلاث في اليوم الحادي عشر والثاني عشر فلا إثم عليه ولا يجب عليه دم؛ لأنه أدى ما وجب عليه، ومن تأخر بمنى فبات بها ليلة الثالث عشر، ورمى الجمرات الثلاث في اليوم الثالث عشر؛ فلا إثم عليه؛ بل مبيته

بمنى هذه الليلة ورميه الجمرات في يومها أفضل وأعظم أجراً؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك، ثم ختم سبحانه وتعالى الآية بالحث على التقوى والإيمان باليوم الآخر، وما فيه من حساب وجزاء؛ ليكون باعثاً لمن تذكر ما فيه على الإكثار من الأعمال الصالحات، وعلى اجتناب المنكرات؛ رجاء رحمة الله تعالى وخوف عقابه<sup>١</sup>.

فعلى الحجاج تلمس رحمة الله تعالى قدر ما يستطيعون؛ فهذه فرصة العمر التي ربما لا تتكرر مرة أخرى، والتي يعودون بعدها كيوم ولدتهم أمهاتهم؛ فلا ينبغي أن يتركوا مجالاً للمباحات - فضلاً عن الترفيحيات - أن تؤثر على هذه النفحات المباركة والفيوضات الربانية.





## عجوز منى المدخنة !



يقول أحد الحجاج: رأيت امرأة عجوزاً من جنسية أجنبية تدخن في منى! فقلت لها بالإنجليزية: «التدخين حرام، وتزداد حرمة في الحج»، فابتسمت وقدمت لي سيجارة!

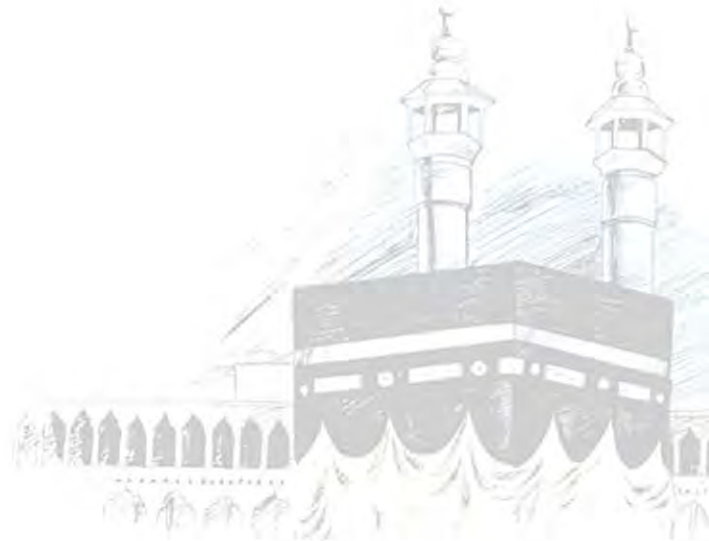
### الفوائد الفقهية والوعظية :

تعد هذه الحالة امتداداً للحالات السابقة لكن بصورة أكثر «سوءاً»؛ حيث تطور الأمر من الانشغال بالترفيات والملهيات إلى الانشغال بالمكروهات أو على الأقل المختلف في تحريمه أم كراهيته، مثل التدخين.

ويبدو أن صاحبنا هذا أراد نصيحة هذه السيدة لكنها ربما لم تفهم قوله، وظنته يطلب منها سيجارة، وربما فهمته وأصرت على فعلها؛ بل وأرادت أن يفعل مثلها.

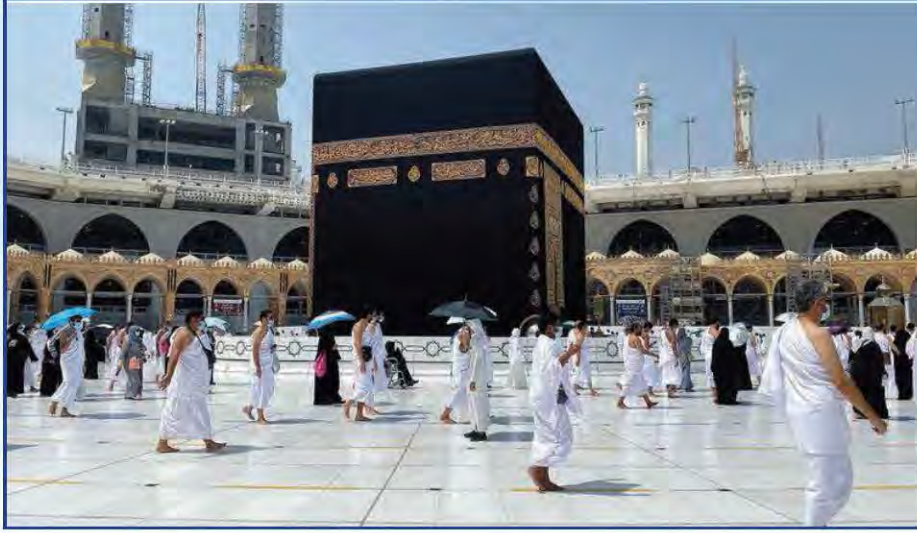
طبعاً لا نزيد هنا على ما ذكرناه من وقفات في المسألة السابقة، إلا أننا نحذر من التهاون في اقتراح بعض المنهيات أو المكروهات أو المحرمات في هذه الأماكن والأوقات الفاضلة، خاصة أن السيئات في الحرم وفي أوقات الحج أشد إثماً وأعظم جرماً من السيئة في غيرهما.

فعلى الإنسان أن يشغل نفسه بالذكر والدعاء وتلاوة القرآن والتقرب إلى الله تعالى بكل أفعال الخير التي يضاعف ثوابها في هذه الأماكن والأزمان.



## لطائف في أروقة الحرم المكي الشريف

حبس نفسه في الكعبة بغير طعام ولا ماء حتى كاد يهلك



يقول القاسم التجيبي<sup>١</sup> واصفاً ما عايشه من فعل الأعراب في الحج: «وأما دخولهم إلى البيت الشريف فمن أغرب ما يرى أيضاً؛ لأن بعضهم يتماسك ببعض في حال الدخول فيتصل منهم عدد كثير على هذا الصفة، وربما ازدحموا على أدراج البيت الشريف فيسقط أحدهم؛ فيسقط بسقوطه جماعة لتمسك بعضهم ببعض، وإذا دخلوا البيت الشريف تطارحوا على أركانه وجميع نواحيه، ويأتون على باب الكعبة فيدخلون أيديهم في حلقتي الباب ويزدحمون على ذلك ازدحاماً عظيماً، وكان ذلك عندهم من جملة المناسك، وكذلك يزدحمون على لمس باب الرحمة المذكور والذي بداخل الكعبة.

١ - هو القاسم بن يوسف بن محمد التجيبي السبتي، المحدث علم الدين، سمع من الحافظ العراقي والحافظ ابن عساكر، توفي (٧٣٠ هـ)، انظر: الدرر الكامنة، (٤/٢٨٠).

وإذا تطارح أحدهم على موضع من مواضع البيت يريد ألا ينفصل منه، حتى اتفق لبعضهم - ونحن في الحرم الشريف - أن أتى إلى باب الرحمة المذكور يوم الجمعة ودخله وأغلقه عليه وأحد لا يشعر بذلك، فلما خرج الرجال من البيت ثم النساء بعدهم أغلق الحَجَبِيُّ<sup>١</sup> باب الكعبة - على عادته - وهو لا يعلم به، فبقي الزيلعي داخل البيت ولم يدر ما يصنع ولا أين يذهب إلى أن ألهمه الله تعالى إلى صعود الأدراج التي داخل البيت الشريف فظهر على سطح الكعبة المشرفة عند مغرب الشمس من ليلة الاثنين؛ فرآه الناس فصاحوا بالشيباني<sup>٢</sup> المذكور فأتى بالفتاح فحل عليه الباب فنزل، وكان قد يئس من الحياة وأشرف على الهلاك»<sup>٣</sup>.

### الفوائد الفقهية والوعظية :

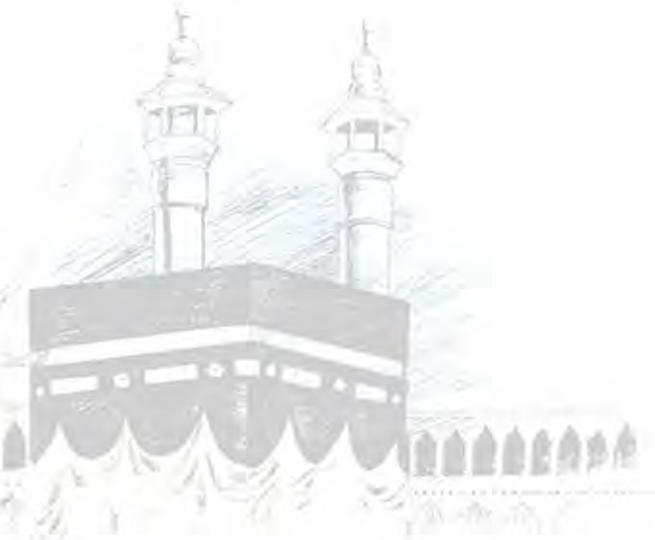
هذه القطعة التي ذكرها التجيبي رحمه الله عامرة بالمواقف التي سبق التنبيه على غلطها، فنلاحظ فيها جهل أولئك الأعراب بأحكام الحج، كما نلاحظ أفعالهم التي يمكن أن تصنف على أنها مؤذية بسبب إصرارهم على أداء المناسك بالطريقة التي اعتادوها لا بما علمنا إياه ديننا وحثنا عليه رسولنا صلوات الله وسلامه عليه، وقد ذكر التجيبي عملية تشكيل قطار من الحجاج بحيث يمسك كل واحد بمن قبله

١ - حَجَبِي: نسبة إلى حِجَابَةِ الكعبة وهي ولايتها وفتحها وإغلاقها وخدمتها، انظر: شرح النووي على مسلم (٨٣ / ٩).

٢ - نسبة إلى شيبه بن عثمان بن أبي طلحة، وهم حَجَبَةُ الكعبة، وقد دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة إليه وإلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة وقال: «خذوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم»، فبقيت الحِجَابَةُ فيهم، انظر: أسد الغابة، (٤٢١/٢).

٣ - المختار من الرحلات الحجازية، (١٨٥/١-١٨٦).

فيمشون بغير اكتراث لأي أذى يسببونه، ونراه في أيامنا هذا من كثير من الحجاج القادمين من شرق آسيا، وكان هذا التقليد المؤذي والمزعج قد انتقل إليهم عبر رؤيتهم هؤلاء الأعراب، أو ربما كان العكس، وربما كان الداعي إليه عند الحجاج من شرق آسيا خوفهم من الضياع عن حملاتهم خاصة وأن منهم من لا يحسن التفاهم إلا بلهجته فلا يحسن العربية أو أي من اللغات الشائعة الأخرى، ففعل هذا هو سبب إصرارهم على التشبث ببعضهم وإن أدى إلى أذى غيرهم، وهذا التبرير إن كان صالحاً للأعاجم غير الناطقين بالعربية فلا ينهض لتبرير الصنيع المشابه من العرب، وإن كان هو أسلوب قد اندثر بين العرب -في عصرنا- على كل حال فلا تكاد تشاهده فيهم إلا ما ندر والحمد لله على ذلك، وأما ما يزيد على ما سبق من تنبيهات فهو التنبيه على ضرورة التزام اللوائح التنظيمية وعدم تجاوزها، وإن بغرض الطاعة والتقرب لله، فربما عاد عليك ذلك بالندم كما لحظناه من الأعرابي الذي غَافَلَ حاجبَ الكعبة بغرض دخولها؛ فكاد أن يأتي ذلك على نفسه ويهلك لولا لطفُ الله ورحمته به.







## الداعي في الحرم لصاحبه بعد الصلاة: «حرماً»!



أحد المصلين في الحرم المكي الشريف بعد أن انتهى من الصلاة وسلم، فوجئ بجاره في الصلاة يسلم عليه قائلاً له: «حرماً».

### الفوائد الفقهية والوعظية :

هناك عادة في بعض الدول - مثل مصر- بأن المصلين إذا انتهوا من الصلاة وسلموا منها، قام كل مصلِّ بمصافحة من على يمينه ويساره، قائلاً: «حرماً»، وهي دعاء لله تعالى أن نصلي معاً مثل هذه الصلاة في الحرم.

وسبب الغرابة هنا أن صاحبنا هذا دعا بشيء هو متحقق أصلاً؛ فهو قال لصاحبه: «حرماً» وهم يصلون في الحرم؛ وربما يعود هذا لما اعتاد الرجل على فعله من صغره، وربما لعدم فهمه معنى ما يقول، ويمكن تخريج الموقف على الدعاء بتكرار الصلاة في الحرم.

والوقفة الفقهية هنا هي أن الفقهاء المعاصرين اختلفوا في هذا الفعل؛ حيث لم يرد عن النبي صلى الله عليه وصحابه الكرام؛ فقال بعضهم إنه بدعة بالمعنى المذموم وهو كل بدعة ضلالة، وقال بعضهم: إنه بدعة ولكن لا يوجد ما يصفها بأنها مذمومة وضلالة؛ حيث لم يرد نهي عنها. وكم من الأمور الحسنة حدثت بعد عهد التشريع، ورأى الناس حاجتهم إليها فأخذوا بها وحرصوا عليها. ونسوق هنا قول الشيخ عطية صقر -رئيس لجنة الفتوى بالأزهر- حيث قال: «والوجه المختار أنها غير محرمة، وقد تدخل تحت ندب المصافحة عند اللقاء الذي يكفر الله به السيئات.

وأرجو ألا يحتد النزاع في مثل هذه الأمور التي تفيد ولا تضر، وحديث مسلم صريح في أن (من سنَّ سنةً حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة)'. وعلى كل حال هي تقال من باب الدعاء، ولعل الأولى تركها؛ لأنها خلاف الأولى، وإن تمت فيستحسن ألا تكون على سبيل المداومة.



## الرجوع القهقري بعد طواف الوداع !

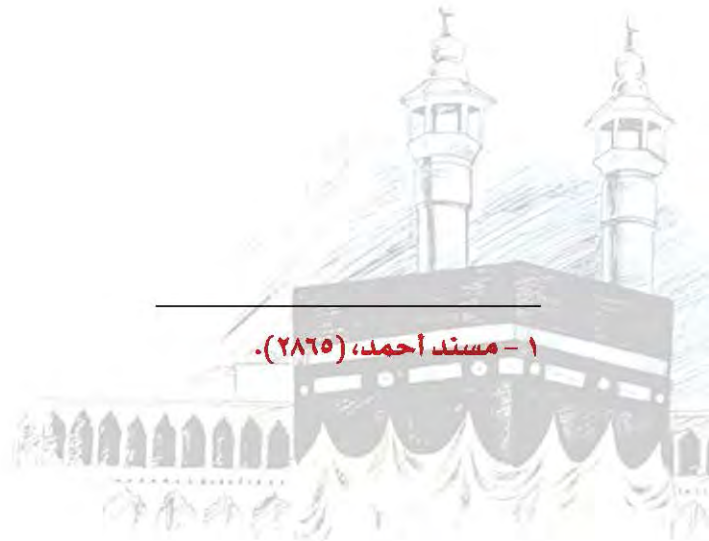


انتشرت بعض المقاطع المرئية لمجموعات من الناس بعد طواف الوداع، يودعون الكعبة بوجوههم، ويمشون القهقري إلى الخلف بعد طواف الوداع؛ حتى يخرجوا من الحرم.

### الفوائد الفقهية والوعظية :

هذا الفعل ربما يدل على قدر كبير من تعظيم الكعبة في قلوب فاعليه، وتعلقهم بها لدرجة أنهم يريدون أن يمتعوا أعينهم بالنظر إليها أكبر فترة ممكنة من الزمن. لكن هذا الفعل إذا فعل على أنه نوع من النسك أو الفضيلة فهو خطأ؛ حيث لم يرد عن الرسول صلى الله عليه وصحابه الكرام، بالإضافة إلى أنه لا يخلو من المشقة والحرص الشديدين، خاصة مع الزحام الكبير؛ سواء على فاعله، أو على الناس الموجودين معه في الحرم؛ فالإنسان الذي يسير بظهره عرضة لأن يتعرقل في بعض

الناس أو يصطدم بهم؛ وهو ما فيه من الضرر الذي لا يخفى. والقاعدة العامة في الشريعة الإسلامية: «لا ضرر ولا ضرار»<sup>١</sup>.  
فمن الجميل أن نعظم الكعبة لكن الأجل أن يكون هذا التعظيم في القلب مع القيام بما يقتضيه ذلك من اتباع شريعة الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.



**مددت يدي لأمنعه من المرور بين يدي أثناء الصلاة**

**فصافحني بحرارة!**



يقول أحد المعتمرين: كنت أصلي في الحرم المكي، وبسبب الازدحام أراد أحد المعتمرين أن يمر من أمامي، فمددت يدي لكي أمنعه، فصافحني بحرارة!

### **الفوائد الفقهية والوعظية :**

طبعاً في هذا الموقف الطريف واضح أن هذا المار لم ينتبه إلى أن صاحبنا يصلي، وظن أنه يسلم عليه، فبادله السلام بحرارة، لكن الوقفة الفقهية هنا هي حول حكم المرور بين يدي المصلي، أو بينه وبين سترته التي يسن أن يحرص عليها المسلم قبل الدخول في الصلاة.

لا يجوز للإنسان أن يمر بين يدي المصلي، إلا أن يكون من وراء سترته، أو يمر بعيداً عنه من وراء موضع سجوده - في حال عدم اتخاذ ستره -، والدليل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه»، قال أبو النضر: لا أدري، أقال أربعين يوماً، أو شهراً، أو سنة<sup>١</sup>.

وبناء على ذلك يلزم المصلي أن يمنع من يمر بين يديه؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه، فليدفعه، فإن أبي فليقاتله فإنما هو شيطان»<sup>٢</sup>.

لكن استثنى جماعة من أهل العلم المسجد الحرام من هذا الحكم، فرخصوا للناس المرور فيه بين يدي المصلي، وقد قال الشيخ ابن باز: رداً على سؤال عن حكم المرور بين يدي المصلي في الحرم المكي والمسجد النبوي: «في الحرم المكي المعروف عند أهل العلم أنه لا حرج فيه، وأنه لا يقطع الصلاة ما دام في داخل المسجد، أما في بقية مكة فإنه يقطع؛ ولذا فإنه ينبغي أن تتخذ ستره، كما اتخذها النبي في الأبطح عليه الصلاة والسلام، أما في داخل المسجد فإن الزحمة والمشقة تمنع من اتخاذ السترة وهو معفو عنه في داخل المسجد، وكان ابن الزبير يصلي والناس يمرون أمامه.

قد جاء في حديث فيه ضعف يدل على عدم السترة في الحرم، وأنه لا حرج في ذلك، والذي عليه أهل العلم أنه لا حرج في ذلك، وهكذا في المسجد النبوي إذا كان فيه

١ - صحيح البخاري، (٥١٠)، صحيح مسلم، (٥٠٧).

٢ - صحيح البخاري، (٥٠٩)، صحيح مسلم، (٥٠٥).

زحمة شديدة فالعلة واحدة فالزحمة لا يشترط فيها السترة، وأما إذا أمكنه أن يصلي إلى حائط، أو إلى عمود من العمُد في المسجد النبوي فيفعل ذلك، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بالسترة في الصلاة...<sup>١</sup>.

وذكر بعضهم أن هذا مما اختصت به مكة عن غيرها من الأماكن.

قال ابن قدامة رحمه الله: «ولا بأس أن يصلي بمكة إلى غير سترة، وروي ذلك عن ابن الزبير وعطاء ومجاهد. قال الأثرم: قيل لأحمد: الرجل يصلي بمكة ولا يستتر بشيء؟ فقال: قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى ثم ليس بينه وبين الطُواف سترة.

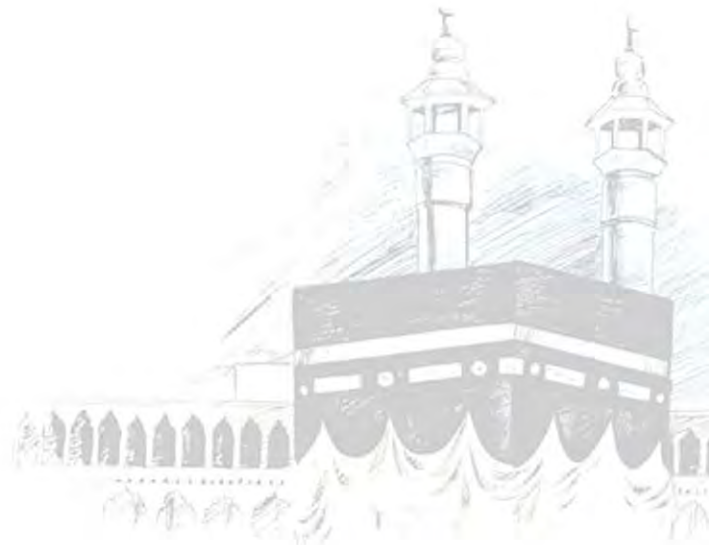
قال أحمد: لأن مكة ليست كغيرها؛ كأن مكة مخصوصة... وقال ابن أبي عمار: رأيت ابن الزبير جاء يصلي، والطُواف بينه وبين القبلة، تمر المرأة بين يديه، فينتظرها حتى تمر، ثم يضع جبهته في موضع قدمها، وقال المعتمر: قلت لطاوس: الرجل يصلي - يعني بمكة - فيمر بين يديه الرجل والمرأة؟ فقال: أو لا ترى الناس يبكُّ بعضهم بعضاً. وإذا هو يرى أن لهذا البلد حالاً ليس لغيره من البلدان، وذلك لأن الناس يكثرون بمكة لأجل قضاء نسكهم، ويزدحمون فيها، ولذلك سميت: بكَّة، لأن الناس يتباكؤون فيها، أي: يزدحمون ويدفع بعضهم بعضاً، فلو منع المصلي من اجتاز بين يديه لضاق على الناس، وحكم الحرم كله حكم مكة في هذا»<sup>٢</sup>.

١ - مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله ( ٢٩ / ٣٢٦ ).

٢ - المغني، (١٧٩/٢).



وبناء على ما سبق لم يكن على المصلي أن يمنع هذا الرجل المار بين يديه، وربما هذا ما دفع المار إلى مصافحته ظناً منه أنه يصافحه؛ لأنه ليس عليه منعه من المرور بين يديه في هذا المقام، وبذلك يكون موضع الطرفة هو البدء بمد اليد للمنع، وليس في مقابلتها بالمصافحة.



### ملاكمة في ساحة الطواف !

يقول عبد الرحمن علي من مصر: «في رمضان - وكان الزحام شديداً - جاء وقت صلاة العشاء وكنت في ساحة الطواف والأجساد متلاصقة من شدة الزحام فلا تجد موطأ قدم، وبعد جهد لقيت متنفساً - على الدرج - بالكاد يكفي لهرة، فحشرت نفسي فيه وكبرت، وقبل الركوع فإذا بأحدهم يجذبني من قفائي ليخرجني من مكاني ويقف هو!».

ويقول أيضاً: «كنا جماعة في مجلس داخل الحرم، فإذا أخ يريد أن يقيم أحد الحاضرين ويقعد مكانه مدعياً بأن المكان مكانه، وعندما تم رفض طلبه تحول المكان - في داخل الحرم - إلى ساحة ملاكمة حقيقية، وعندما تمكناً من فض الاشتباك عاتبنا الأخ على تصرفه؛ فانصرف وهو يصيح بأعلى صوته: كلكم كفار ولن أجلس معكم».

### الفوائد الفقهية والوعظية :

المشترك في هاتين الحادثتين هو عدم احترام الرجلين لحق غيرهما، فالأول استلب مكان غيره بالقوة، والثاني حاول استلابه ابتداء بدعوى الأسبقية وأنه كان في هذا المكان سابقاً! ولما لم يرضخ الحاضرون للدعوى، انتقل لمحاولة الاستيلاء عليه بالقوة، ثم بعد فشله انتقل لنعته الجميع بأحكام خطيرة، وفي ما سبق أمور تستدعي التنبيه.



**أولاً:** نجد من الضروري هنا أن ننبه للهدى الإسلامي النبوي في احترام حقوق الغير حتى في أماكن جلوسهم، فنجد في الكتاب والسنة تنبيهها على آداب المجالس منها: قول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾** (المجادلة: ١١).

وما رواه البخاري ومسلم بسندهما عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أنه نهى أن يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر، ولكن تفسحوا وتوسعوا» وكان ابن عمر «يكره أن يقوم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه»<sup>١</sup>.

وما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إذا قام أحدكم من مجلسه، ثم رجع إليه فهو أحق به»<sup>٢</sup>، وفي الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الرجل أحق بمجلسه، وإن خرج لحاجته ثم عاد فهو أحق بمجلسه»<sup>٣</sup>.

وفي ما سبق تنبيهه على آداب المجالس وضرورة احترام حق الغير، وفيه يتجلى حرص الإسلام على مراعاة قلوب المسلمين من أن يتسرب إليها تباغض وشحناء؛ فإن التعدي على الحقوق وإن كانت مؤقتة -كحق الرجل في المجلس العام- يؤدي إلى ذلك، ودونك ما جرى بين الإخوة المعتمرين في الحكاية آنفاً من شجار في أقدس البقاع كمثال جلي على ما يمكن وقوعه إن لم تُراعَ تلك الحقوق.

١ - صحيح البخاري، (٦٢٧٠)، صحيح مسلم، (٢١٧٧).

٢ - صحيح مسلم، (٢١٧٩).

٣ - سنن الترمذي، (٢٧٥١).

ولست أدري حقيقةً كيف يمكن أن نعتذر عن الرجل في الحكاية الأولى عندما جذب المصلي ووقف مكانه، فلست أرى له عذراً، ولكن في المثال الثاني يمكن الاعتذار عن الرجل باحتمال أن يكون قد سبق له الجلوس في ذلك الموضع ثم قام لحاجة فرأى أن من حقه الرجوع وإقامة غيره كما في الحديث «الرجل أحق بمجلسه ..»، ولعل ذلك مبرر إغلاظه في الحكم على الآخرين في آخر القصة، ولكن فاتته أن يتنبه إلى الفرق بين مجلس في مكان خاص أو حتى عام ولكن يسع الحاضرين معرفة أعيان الجالسين ومواضعهم وينتبهون إلى غياب الرجل لفترة قصيرة ورجوعه، فيمكن له الاحتجاج بالأسبقية، وأنه لم يقض غرضه من المكان بعد، وإنما قام لعارض، وبين مكان عام يصعب فيه على الناس تمييز ذلك كالمواضع التي يزدحم في الناس ويكثر روادها، فيصعب تمييز صحة دعوى الرجل بالأسبقية، كما ينبغي التنبيه لمدة الغياب عن المكان التي تُبقي للرجل حقه فيه، فالذي يُراعى هو القدر العرفي الذي يمكن للإنسان أن يقضيه في حاجة له، أما إن جاوز ذلك بحيث يفهم منه الناس أنه قد ترك المكان؛ فيسقط حقه فيه ويستوي هو وسائر الناس في الأحقية بالمكان، يقول الطحاوي في شرح مشكل الآثار: «فقال قائل: أف يكون هذا دليلاً على أن من قام من مجلسه، ثم عاد إليه بعد يوم أو أكثر من ذلك؛ أنه أحق به ممن سواه من الناس، إذ كان ذلك إنما يريد به المجالس العامة التي ليست بمملوكات لا المجالس الخاصة المملوكات كالمساجد وكالصحاري التي ينزلها الناس وكالمواضع من الأمصار المأذون للناس فيها؟ فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق الله عز وجل وعونه: أن ذلك مما نحيط علماً أنه لم يرد به العود الذي بينه وبين القيام عن ذلك الموضع الذي أريد

العود إليه المدة التي ذكر، ولكنه على العود إلى المجلس الذي قام عنه صاحبه القيام الذي لم يُرد به تركه، إنما قام لأمر عرض له على أن يعود إليه فيرجع إلى الجلوس فيه كما كان قبل قيامه عنه، فإذا كان كذلك كان أحق بمجلسه ذلك، وإذا كان بخلافه لم يكن كذلك، وكان هو وسائر الناس فيه سواء، من سبق منهم إليه كان أحق به من غيره منهم»<sup>١</sup>.

**الثاني:** المحذور الذي وقع فيه الرجل في ختام الحكاية الثانية من نعتة إخوانه والمعاتبين له بـ«الكفر» محذور خطير ومنكر شنيع، وقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أيا رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما»<sup>٢</sup>، قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى في شرح الحديث: «وإذا قيل للمؤمن: يا كافر، فقد باء قائل ذلك بوزر الكلمة واحتمل إثماً مبيناً وبهتاناً عظيماً، إلا أنه لا يكفر بذلك لأن الكفر لا يكون إلا بترك ما يكون به الإيمان، وفائدة هذا الحديث النهي عن تكفير المؤمن وتفسيقه، قال الله عز وجل: **{ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان} (الحجرات ١١)**، فقال جماعة من المفسرين في هذه الآية: هو قول الرجل لأخيه: يا كافر: يا فاسق»<sup>٣</sup>.

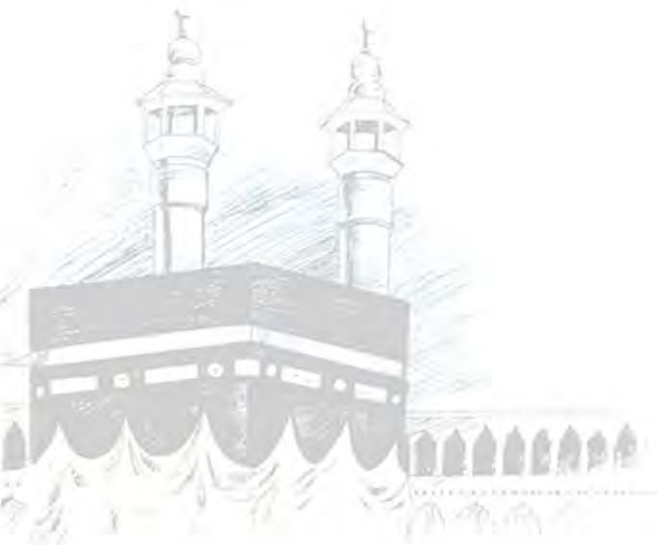
وفتنة الجراءة على الأحكام والأسماء الشرعية واستسهال إطلاقها بأدنى مناسبة؛ فتنة قد عمت وطمت في هذا الزمان، ولولا أن نتجاوز غرض كتابنا لأفضنا وأسهبنا

١ - شرح مشكل الآثار (٣/ ٣١٣).

٢ - البخاري، (٦١٠٤)، مسلم، (٦٠).

٣ - الاستذكار، (٨/ ٥٤٩).

في الاستشهاد لذلك الخل وفي استحضار سبل علاجه؛ ولكن حسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق، فنكتفي هنا بالتذكير بالمعلوم ضرورة عند عموم المسلمين من حرمة دماء المسلمين وأعراضهم، والتنبيه على ضرورة تجنب إطلاق الأحكام التي لم تقم عليها بينات فذلك منكر عظيم، فكيف بحال من أطلق حكم الكفر على المعتمرين والحجاج؟، فلا شك بأنه قد وقع في محذور عظيم نسأل الله تعالى أن يوفقه للتوبة منه.



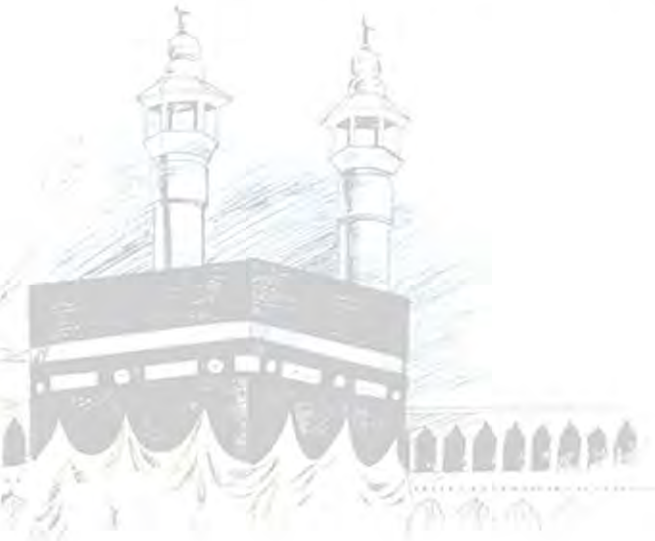


## لطائف عامة من الحج

### نأخذك لتنام في الحمام !



يقول أمين الطيبي من الجزائر: «كنت في الحج مع صديق لي وركبنا تاكسي، فأخذ السائق يحدثنا عن الجزائر وجمالها ... فعزمه صديقي قائلاً له: تعال إلى الجزائر ونأخذك لتنام في الحمام (والحمام عندنا مركب سياحي يعالج فيه الناس أنفسهم كما هو مكان للراحة والاستجمام نظراً لجمالية أمكنة الحمامات عندنا) ... فظن السائق أن صاحبي يهزأ به، لأن الحمام في عرف بلاد الخليج والمشاركة عموماً (دورة المياه) ... فأخذ يصرخ ويشتمنا، ثم توقف فنزلنا».





**الفوائد الفقهية والوعظية :**

يتجلى في هذه الحكاية دور تباين الثقافات وأثره، وتكرر حوادث سوء الفهم هذه كثيراً في المناطق السياحية سواء كانت سياحة دينية أو ترفيهية أو ثقافية أو علاجية أو غير ذلك، ففي تلك المناطق يلتقي أناس من بيئات مختلفة، فيُفد كل واحد منهم محملاً بحمولة ثقافية ومعرفية مغايرة لتلك التي يحوزها أهل البلاد والقاطنون فيها، وبالتالي فهي من مواطن سوء الفهم الثرية، وحكاية صاحبنا من هذا الجنس، ويمكن أن نستنبط منها فوائد:

**أولاً:** ينبغي على كل مسافر أن يسبق سفره بتحصيل ولو إلماحة عامة لثقافة تلك البلاد وأهلها وطبائعهم، فإن ذلك قد يعينه على تحاشي مواقف محرجة ناتجة عن تعدد الثقافات.

**ثانياً:** ينبغي على أهل الدول السياحية أن يوسعوا مداركهم وأن يتصوروا ابتداءً احتمال تغير الثقافات واختلاف الاصطلاحات، كما ينبغي أن يحوزوا إلمامات عامة عن ثقافات الدول التي تكثروفودها إليهم؛ ويتأكد هذا في حال كان الإنسان في الخطوط الأمامية بمواجهة السائحين، كموظفي الفنادق أو قائدي سيارات الأجرة مثلاً، فهم أحوج الناس إلى ذلك.

**ثالثاً:** التآني والرفق، فلو أن أحد أطراف الحكاية السابقة تآنى وترفق؛ لما تصاعد سوء الفهم ليصل إلى السباب والشتائم، فلو تآنى إخوتنا من الجزائر وراقبوا ألفاظهم وتركوا التلفظ بمشتركات لفظية شديدة التباين في المعنى ككلمة «حمام»

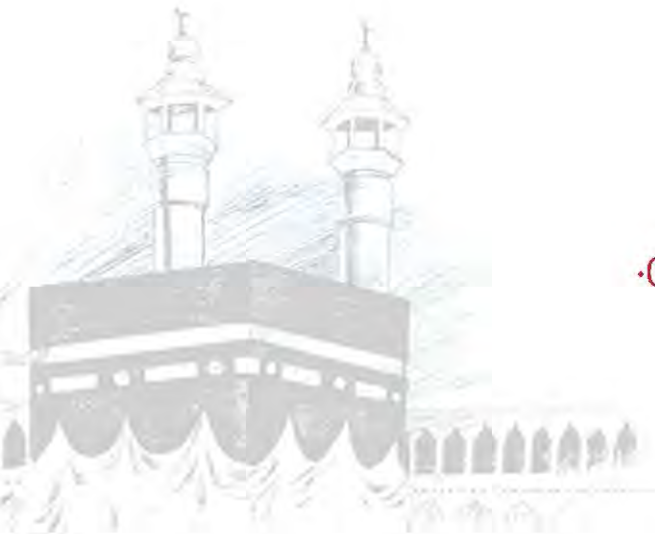
والتي يعد النوم فيه من الإكرام بلهجة أهل الجزائر، بينما هو من الإهانة في لهجة أهل الخليج، فلو أنهم توقوا تلك المشتركات لنجوا من غضب ذلك السائق، كما أن السائق لو تأنى واستفسر عن قصد الإخوة لزال عنه سوء الفهم ولانقلب غضبه سروراً وامتناناً، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»<sup>١</sup>، وقال صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس<sup>٢</sup>: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم، والأناة»<sup>٣</sup>.

**رابعاً:** يبعد أن لا يعرف إخواننا في الجزائر معنى الحمام في عرف أهل الخليج؛ ولكن لعله عَزَبَ عن أذهانهم لما لاقوه من مشاق السفر وعناثه، ولعله لم يرغب عنهم ولكنهم أحبوا أن يتندروا بلطفية نشأت من هذا الاشتراك اللفظي مع علمهم بسلامة المعنى، وظنهم بأن دهشة الرجل واستغرابه سيزولان إن وضحوا له ذلك؛ ولكن غاب عنهم أن يكون الرجل مشاركاً لهم في التعب، إذ لا ينفرد الحجاج بالمشقة في تلك الأيام، بل يعاني كذلك أهل مكة التعب في ضيافتهم لتلك الحشود وسعيهم لتحصيل الأجر عبر خدمتهم للحجاج؛ فنقول: لعل الدعابة صادفت قلباً مجهداً كَلَّ عن تقبلها فأفرز تلك الغضبة؛ والتي كان يمكن تحاشيها إن سبقت تلك الاحتمالات إلى أذهان إخواننا قبل إطلاقهم لتلك الدعابة.

١ - صحيح مسلم، (٢٥٩٤).

٢ - واسمه المنذر بن عائذ، انظر: شرح النووي على مسلم، (١٨٩/١).

٣ - صحيح مسلم، (١٧).



**خامساً:** «لا تغضب»<sup>١</sup>، أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأله النصيحة والإرشاد، فقال الرجل: «فكرت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله»<sup>٢</sup>، فلو أن السائق تمسك بتلك الوصية وتحلّم وكظم غيظه لتجا وصاحباہ من شر ذلك الموقف ولأمكنه حينئذ الاستفصال وفهم مرادهما فذاب سوء الفهم.

١ - صحيح البخاري، (٦١١٦).

٢ - مسند أحمد، (٢٣١٧١).



## حكم الزواج بعد الحج ؟



سؤال جاء لأحد الشيوخ، يقول صاحبه: هل يجوز أن أتزوج بعد الحج؟ أليس الحاج لا يتزوج مطلقاً بعد الحج؟

### الفوائد الفقهية والوعظية :

يبدو أن صاحب هذا السؤال التبس عليه حكم فقهي مقرر ومجمع عليه، وهو حرمة عقد النكاح أثناء الإحرام؛ فظن أن هذا حكم عام على الحجاج بعد أدائهم فريضة الحج، ولا ندري ما تصور صاحبنا هذه عن الحاج المتزوج.. هل عليه أن يطلق زوجته بعد الحج أم لا؟!

والذي يمكن أن يقال هنا إن الإسلام ندب إلى الزواج وحض عليه، ووضع من الأحكام والآداب ما يسهل الطريق إليه، وتحقيقه؛ فبه يعمر الكون ويحدث الاستخلاف في الأرض الذي هو أحد مقاصد الخليفة.

**لكن لنا أن نقف وقفة فقهية هنا حول عقد النكاح أثناء الإحرام:**

فقد أفتى العلماء بحرمة عقد النكاح على المحرم سواء كان لنفسه أم لغيره، دليلهم في ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « إن المحرم لا يَنْكح ولا يُنكح »؛ أي أنه يحرم عليه أن يتزوج هو أو يزوّج غيره، قال الخطيب الشربيني مستدلاً بهذا الحديث: « إحرام أحد العاقدين من ولي أو زوج أو وكيل عن أحدهما أو الزوجة بنسك ولو فاسداً - يمنع صحة النكاح »<sup>٢</sup>.

ويتعلق بهذا الحكم حكم الخطبة للزواج؛ فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنها مكروهة غير محرمة، واختار بعض العلماء التحريم لظاهر النهي<sup>٣</sup>.

١ - صحيح مسلم، (١٤٠٩).

٢ - مغني المحتاج، (٤١١/٢).

٣ - انظر الموسوعة الفقهية الكويتية، (١٩٤/١٩).

## ينصح بأن يكون الحج إلى السعودية فقط !

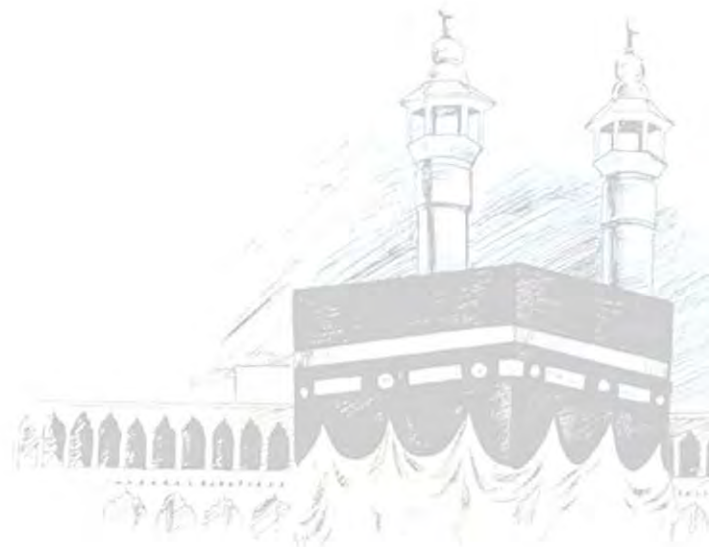


وهذا أحد الحجاج المنبهرين من خدمات الحج في المملكة يقول في مقابلة تلفزيونية: «أنصح كل واحد عاوز يحج يروح يحج بالسعودية».

### الفوائد الفقهية والوعظية :

طبعاً هذا الحاج انطلق من فطرته السليمة نظراً لما رآه من خدمات مميزة، يشهد بها الجميع، تقوم بها حكومة المملكة العربية السعودية، لراحة الحجاج وتوفير الأجواء والوسائل المعينة للحجاج على القيام بمناسك حجهم وعمرتهم. ولعله من نافلة القول هنا القول بأن الحج أيام معدودة وكذلك أمكنة محدودة، وهي تلك الأماكن المحددة والمرتبطة بمناسكها كما وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فالأمر ليس فيه مجال للاجتهاد؛ بل إن أي توسعة تقوم بها المملكة للتيسير على الحجاج في أي منسك من المناسك كما حدث في جسر الجمرات أو في المسعى

بين الصفا والمروة تخضع لبحث شرعي وفقهي معمق بين أهل الاختصاص حتى يكون الأمر منضبطاً بضوابط الشرع.



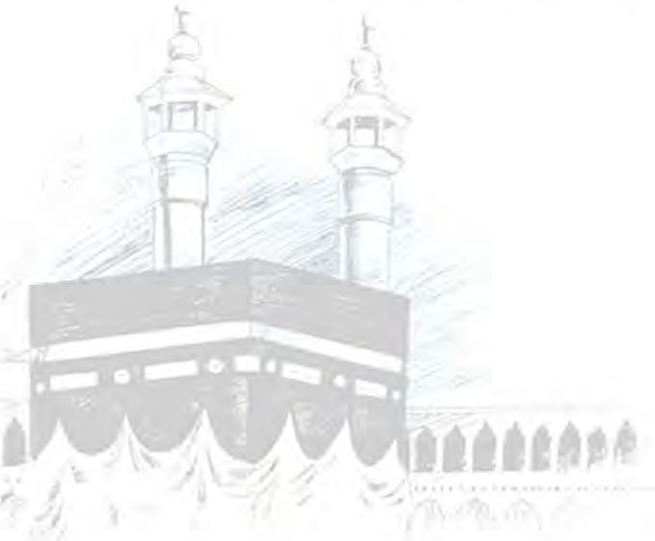
## الحاج المتعب الذي استغل غفلة الحارس

فنام في ثلاجة الأموات !



وهذا حاج يروي ما حدث معه قائلاً: بعد رمي الجمرات كانت درجة الحرارة شديدة، وكنت متعباً تعباً شديداً، فوجدت غرفة كبيرة وفيها رجل أمن يجلس بجانب الباب وكانت المنطقة باردة، ودخلت المنطقة دون علم رجل الأمن، ولقيت أناساً نائمين لابسين إحراماتهم.

فنمت وسطهم وأنا متعب جداً؛ حيث غلبني النعاس، فنمت ساعتين، وارتحت، لكن برودة التكييف كانت قوية أيقظتني من النوم.





وعندما هممت بالخروج رأني رجل الأمن ففوجئت به يهرب بسرعة، فتعجبت وقلت: باسم الله.. ما به رجل الأمن يهرب!! فالتفت فوجدت مكتوباً على الباب «ثلاجة أموات».

### الفوائد الفقهية والوعظية :

كان الله تعالى في عون هذا الحاج مرتين؛ مرة لما رأى هروب رجل الأمن من أمامه، ومرة حينما عرف حقيقة المكان الذي نام فيه، وأنه كان نائماً في ثلاجة الموتى دون أن يدري. وأيضاً كان الله تعالى في عون رجل الأمن الذي فوجئ بأحد (الموتى) يخرج ماشياً من الثلاجة.

ولعل العبرة في هذه القصة هي مدى المشقة التي يلاقيها الحجاج أثناء تأدية مناسك الحج؛ حتى إنهم يبحثون عن أي مكان يرتاحون فيه ولو قليلاً، خاصة أولئك الذين لا تسمح ظروفهم بالالتحاق بحملة توفر لهم وسائل الراحة المطلوبة. ولكن لهؤلاء الحجاج نقول: الأجر على قدر المشقة إن شاء الله تعالى، فحرصكم على الذهاب للحج رغم ضيق حالكم وتحملكم هذه المشاق.. كل هذا لن يضيع أجره عند الله تعالى؛ بل ربما يكون أجراً حدكم أكبر عند الله تعالى من الغني الذي توافرت له أسباب الراحة.

## كيف تذهب النساء للحج والله يقول: ﴿يَأْتُوكَ رَجَالًا﴾؟



يتحدث راو فيقول: كنا نستمع إلى أحد المشايخ وهو يتحدث عن أحكام الحج، وتطرق في الحديث إلى كيفية حج النساء، وما يجب عليهن في الحج، وعندها قاطعه أحد كبار السن قائلاً: يا شيخ.. كيف تذهب النساء إلى الحج، والله تعالى يقول: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رَجَالًا﴾<sup>١</sup>.

### الفوائد الفقهية والوعظية :

في هذه القصة أشكل على هذا الرجل معنى كلمة «رجالاً» فظن أنها جمع «رجل» الذي هو مقابل «امرأة»، وبهذا قصر الحج على الذكور دون الإناث. ومما يزيد العجب هنا أن هذا الرجل - كما ورد في القصة - كبير في السن؛ فهل طوال حياته لم يَرَ نساء يذهبن للحج؟! أم أن سؤاله هنا كان على سبيل الاستفسار لإزالة اللبس الحاصل عنده.

المهم أنه لو أكمل الآية الكريمة لربما أزيل اللبس وتفهم المعنى المراد؛ إذا الآية بتمامها هي: **﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾** (الحج: ٢٧)؛ إذ جاء بعد كلمة «رجالاً»؛ **﴿وعلى كل ضامر﴾**؛ فالآية هنا تتحدث عن وسائل الإتيان إلى الحج، وليس عن أنواع الآتين له؛ فكلمة «رجالاً» هنا جمع «راجل» - أي ماشياً على رجله - وهي في مقابل «وعلى كل ضامر» أي راكب فرسه أو حصانه أو ناقته التي ضمرت من كثرة الجوع والمسير؛ حيث كانت وسائل الذهاب إلى الحج هي السير على الأقدام أو ركوب ما تيسر من الإبل والفرسان وغيرها من الدواب التي كانت متاحة حينها.

ولعل في هذه الآية تصويراً لحالة الاستنفار التي انتابت الناس حينما نودي بالحج؛ فحرص كل واحد على تلبية النداء حسب حالته وقدر استطاعته؛ فمن كان معه ما يركبه ذهب راكباً، ومن لم يجد لم يمنعه ذلك فذهب راكباً متحملاً عناء المسير وملتمساً الأجر من الله تعالى.



## ضيعت الدنيا وأفسدت حجي !



يسرد أحد الحجاج موقفاً غريباً في الحج عن أحد أقاربه فيقول: أحد أقاربي تزوج من امرأة لا يحبها، فقد كانت لا تحسن العشرة الطيبة. وكانت كبيرة في السن ولم يستطع الفكاك لا بتطليقها، ولا بالزواج بأخرى.

وعندما اقترب موسم الحج أصر عليها أن تحج معه فرفضت، وقالت: عندما أصبح عجوزاً أحج، وليس الآن، فبقي مُصرّاً إلى أن قبلت أن تحج معه، وهناك كان الرجل يستغل فرصة الزحام الشديد لكي يفلت منها ويعود إلى بلاده ويقول: ضاعت، وكان كلما هرب في الزحام وجدها أمامه، وكلما حاول الإفلات أمسكت به حتى يئس، وعاد بعد الحج كئيباً بائساً يقول: ضيعت الدنيا وأفسدت حجي !

### الفوائد الفقهية والوعظية :

هذه القصة تعد من النوادر التي يستبعد صاحب فطرة سليمة حدوثها، فمن البعيد أن يتصور سليم الفطرة أن الكيد البشري قد يبلغ هذا المدى؛ فهذا المسكين كما عبر هو عن حاله أضع ماله وديناه وخسر حجه؛ بل وحمل من الأوزار ما يتضاعف جزاؤه في هذه الأماكن المقدسة التي قال الله تعالى فيها: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُنَقِهِ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (الحج: ٢٥). فصاحبنا هذا لم يتوقف جرمه على الإرادة بل إنه تطور إلى التنفيذ ومحاولة إيذاء هذه المرأة الضعيفة التي أوصى بها الإسلام خيراً.

### والفوائد التي يمكن أن نخرج بها من هذه القصة هي :

- لا بد من إخلاص النية والقصد في العبادة لله تعالى، وألا يشرك معه نية أخرى أو قصداً آخر، خاصة إذا كان قصداً سيئاً كحال صاحبنا هذا.
- « من حفر حفرة لأخيه وقع فيها » فصاحبنا هذا أراد حفر حفرة لزوجته لكن الأمر انقلب عليه هو وخسر ماله وجهده وتفكيره، ولو أدركت الزوجة ما كان يريد لتغيرت حالها معه أسوأ مما كانت بكثير، ولما أمنت له في شيء، وهو عكس الاستقرار والسكن اللذين هما من مقومات أي أسرة طبيعية.
- نحمد الله تعالى على الدين الإسلامي الذي وضع لكل مشكلة حلاً؛ فإذا استحال الحياة الزوجية فهناك الطلاق الذي هو تسريح بإحسان؛ بحيث يذهب كل

واحد لحال سبيله دون إيقاع ضرر بالطرف الآخر. وصاحبنا هذا لا ندري ما المانع

الذي منعه من هذا الحل، ما دامت الأمور تأزمت لهذه الدرجة بينهما؟

- وفي النهاية هذه همسة لكل زوجة أن تتقي الله تعالى في زوجها وتحسن

معاشرته بالمعروف ولا تلجئه تحت ضغوطات الحياة أن يضطر إلى بعض الأفعال

التي لا تحمد عقباها.

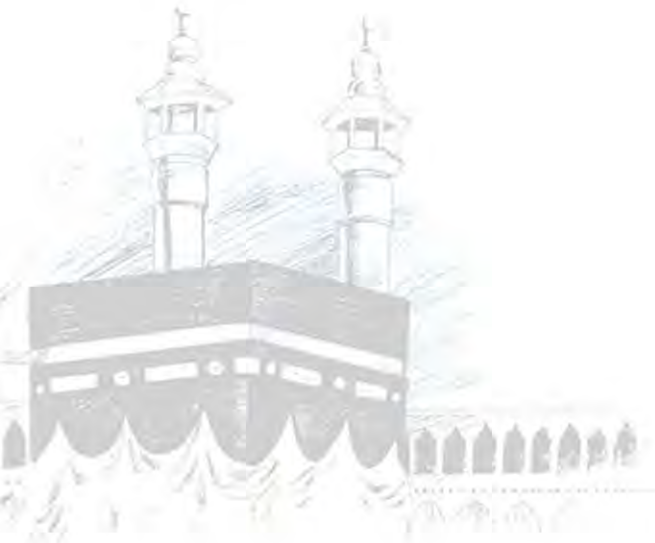
وما دمننا قد نقلنا طريفة عن كيد الزوج وأثره، فمن الإنصاف أن ننقل مقابلها ما

كان من أثر كيد الزوجة، قال الأصمعي رحمه الله: رأيت رجلاً يطوف بالبيت يحمل

شيخاً كبيراً، يقول له: أعييتني صغيراً وكبيراً، فقلت له: أحسن إليه فطالما أحسن

إليك، فقال: من تراه لي؟ فقلت: هو أبوك أو جدك، فقال: بل هو ابني، فقلت: ما

صيره إلى ما أراه؟ قال: سوء خلق امرأته.





## المتسول المحتال من عرفات إلى المدينة



يقول أحد الحجاج: في حج عام ١٤١٤هـ، وفي اليوم الثامن قابلني متسول من بلد عربي يشكو ويقول: إنه محتاجٌ مالاً، وقد فقد والده ويريد اللحاق به في عرفات. وفي اليوم العاشر، وبعد أن نزعت الإحرام، قابلني نفس المتسول، إلا أنه هذه المرة، قد قال بأنه فقد أباه ويريد اللحاق به في المدينة المنورة<sup>١</sup>

## الفوائد الفقهية والوعظية :

مما يؤسف له انتشار ظاهرة التسول في بعض المجتمعات الإسلامية، ويزداد الأسف لانتشارها في هذه الأماكن المقدسة بصورة منهجية ومنظمة، حتى إنك لتشعر أن هناك تنظيماً أو مؤسسة قائمة على تسريح المتسولين مستغلين الحالة الإيمانية التي يكون عليها المسلمون فيتوقعون منهم سهولة إخراج أموالهم التماساً للأجر من الله.



لكن علينا أن ندرك أن الإسلام قد شدد في محاربة هذه الظاهرة بصورة عامة؛ فقد روى أبو داود بسنده إلى أنس بن مالك، أن رجلاً من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله، فقال: «أما في بيتك شيء؟» قال: بلى، جلس<sup>١</sup> تلبس بفضه ونبسط بفضه، وقعباً<sup>٢</sup> نشرب فيه من الماء، قال: «أنتني بهما»، قال: فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، وقال: «من يشتري هذين؟» قال رجل: أنا، أخذهما بدرهم، قال: «من يزيد على درهم، مرتين، أو ثلاثاً»، قال رجل: أنا أخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري، وقال: «اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً<sup>٣</sup> فأنتني به»، فأتاه به، فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً بيده، ثم قال له: «اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يوماً»، فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً، وببعضها طعاماً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع<sup>٤</sup>، أو لذي غرم مضطجع، أو لذي دم موجع<sup>٥</sup>.

١ - الحلس: هو ما يكون تحت بردعة البعير، وهو أيضاً بساط يبسط في البيت، انظر: مقاييس اللغة، (٩٧/٢).

٢ - القعب: قذح ضخيم جاف غليظ، انظر: تهذيب اللغة، (١٨٦/١).

٣ - القدوم: حديدة ينحت بها الخشب، انظر: مقاييس اللغة، (٦٦/٥).

٤ - مدقع: ماخوذ من الدعاء، وهو التراب، يعني أنهن يلمصن بالأرض من الفقر والخضوع، انظر: تهذيب اللغة، (١٤٠/١).

٥ - سنن أبي داود، (١٦٤١).

فالرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف تصرف بحكمة القائد الحكيم؛ فهياً للرجل فرصة العمل والتكسب من عمل يده، وحدد من يجوز لهم المسألة في هؤلاء الثلاثة الذين ختم بهم الحديث.

وقد امتدح الله عز وجل الممتنعين عن سؤال الناس فقال عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْأَفًا وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٧٣).

أما القادر على العمل فلا تحل له الصدقة، وذلك لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرة سوي»<sup>١</sup>؛ أي لا تحل لصاحب المال ولا صاحب القوة الجسدية والقدرة على الكسب. وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم: «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزة لحم»<sup>٢</sup>، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يفتح الإنسان على نفسه باب مسألة، إلا فتح الله عليه باب فقر»<sup>٣</sup>.

ونؤكد أن هذا النهي في الحالات والأماكن غير ذات خصوصية؛ فما بالكم في هذه الأماكن المقدسة، خاصة إذا كانت مصحوبة بتحايل وكذب؛ وهو ما يعد ذنباً آخر

١ - سنن أبي داود، (١٦٣٤).

٢ - صحيح البخاري، (١٤٧٤)، صحيح مسلم، (١٠٤٠).

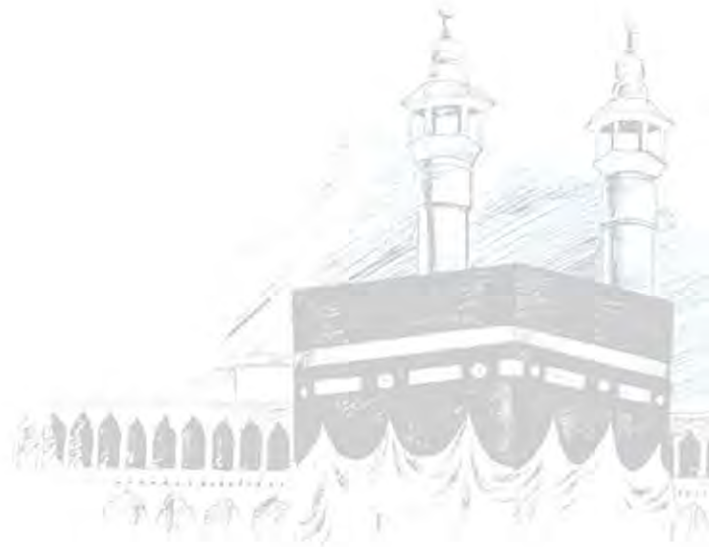
٣ - مسند أحمد، (٩٤٢١).



يضاف لمخالفة الهدي النبوي بالتسول؛ فيضاف ذنب إلى ذنب، والذنب في هذه الأماكن يكون جرمه أشد منه في غيرها من الأماكن.

فليتق المسلم ربه، وليتوكل عليه في رزقه، بعد الأخذ بالأسباب والسعي في الأرض. لكن علينا ألا نغفل أيضاً أن بعض الناس قد يتعرضون لضائقة مالية بسبب ضياع أمتعتهم مثلاً أو ضياعهم هم أنفسهم من أهاليهم؛ فهؤلاء ينبغي مساعدتهم، ويمكن إرشادهم إلى القائمين على أمر الحرم للنظر في أحوالهم، ولا ضير بمساعدتهم إن تلمس المسلم فيهم صدقاً وورعاً؛ فهو ماجور بنيته وعمله، حتى لو اتضح بعد ذلك أنهم كانوا مخادعين.

فما دام قد أخلص نيته لله تعالى فأجره محفوظ عند ربه.



## سرقه مع سبق الإصرار!

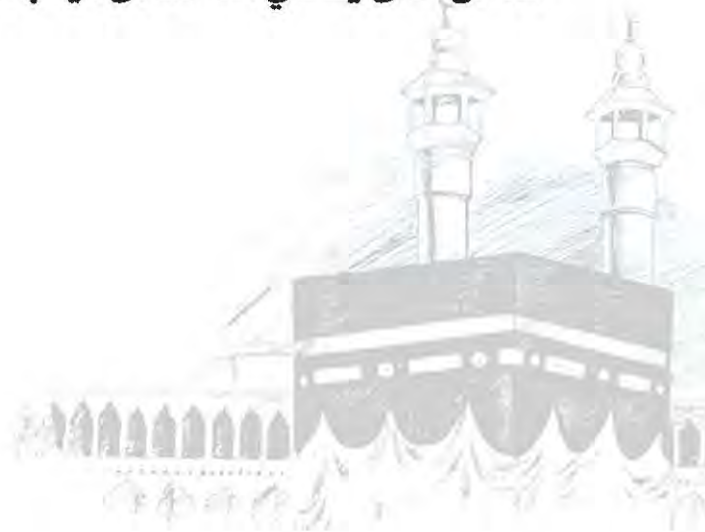


يقول أحدهم: حجُّ أحدُ معارفنا، وأثناء الزحام أحس بشخص يريد أن يسرق منه محفظته، فأمسك بيده بقوة، وأراد أن يسلمه للشرطة، فصار الرجل يرجوه، ويحلف له أنه تائب، وأنه لن يكررها، فرحمه صاحبنا وأطلقه، وبعد أن ذهب السارق وضع صاحبنا يده في جيبه.. فماذا حدث؟ لقد سرقت المحفظة رغم ذلك بالفعل!

**الفوائد الفقهية والوعظية :**

إذا كنا قد أشرنا فيما سبق لظاهرة التسول في الحرم؛ فهذه الظاهرة أشد خطراً، وهي أن بعض ضعاف النفوس ومحترفي السرقة، يستغلون حالة الزحام في الحرم، وانشغال الناس بأداء مناسكهم ويقومون بسرقتهم كما حدث مع صاحبنا هذا في هذا الموقف الذي لا يخلو من بعض الطرافة؛ حيث إنه بعد أن عفا عن السارق وظن أنه في مأمن من السرقة فوجئ بأنه محفظته قد سُرقت، ويبدو أن هذا اللص إن كان هو الذي قام بهذه الجريمة- محترف غاية الاحتراف ومُصِرُّ غاية الإصرار؛ فرغم عفو الرجل عنه فإنه استغل اطمئنانه على محفظته حتى تمكن من أخذها في الحال واللحظة.

وهنا ينبغي على الحجاج والمعتمرين أخذ كل الحيطة والحذر من هؤلاء، كما ينبغي الأخذ على أيدي من يتم القبض عليه منهم؛ حتى لا يؤدي أحداً آخر، وإن كانت هناك طريقة تضمن بها سلامتك مع وعظه وتذكيره بالله تعالى وشرف المكان والزمان لعل يكون في هذا فرصة لتوبته ورجوعه؛ فلتقم بذلك ولتحتسب، ومع ذلك فينبغي عدم الاطمئنان الكامل له حتى لا يتكرر ما وقع لصاحبنا، وإلا فليسلم للأمن حتى يقضي الله تعالى فيه بأمره.



## سُرقت المحفظة .. لم تُسرق المحفظة !



يقول أحد الفضلاء من أصحاب الحملات: في الجمرات وبينما انشغل أحد إخواننا من الحجاج برمي بالجمران، فإذا بالحاج الذي بجانبه يصيح: «محفظتي سرقت، محفظتي سرقت»، ثم تشبث بصاحبنا وأخذ يجذبه وقد ظن أنه السارق، وعبثاً يحاول صاحبنا أن يبين له أنه ليس بسارق، وأن ظنه خاطئ، وحاول التملص من قبضته، ولكن بقي الرجل يصيح ويشده ويجذبه من إحرامه حتى سقط إحرامه وتعرى تماماً أمام الحجاج، فانشغل المسكين بمحاولة تغطية عورته؛ وسارع أحد الحجاج الحاضرين بانتشال إحرامه من الأرض ووضعه عليه ليستره، ثم وبعد كل ذلك يكتشف ذلك الحاج أن محفظته معه، وأنه استعجل ولم يبحث عنها مدققاً؛ فكم كان موقفاً محرّجاً له، ولصاحبنا البريء المتهم!



### الفوائد الفقهية والوعظية :

هذا الموقف المحرج ينطبق عليه كثير مما نبهنا عليه سابقاً؛ من ضرورة التآني وضبط النفس، ومن ضرورة تحري البيئة والتوثق منها قبل الحكم، ومن لزوم التثبت السابق للتحرك، فلو أن ذلك الحاج المتهم التزم بذلك لأعفى نفسه وصاحبنا المتهم من ذلك الحرج والالتباس الذي وقع وشغل الحضور عن عبادتهم وأهالهم وأذهلهم عن خشوعهم ولا بد .

يقول الله تبارك وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ } (الحجرات: ١٢).

« قد اشتملت هذه الآية على تحريم سوء الظن بالناس، والتجسس عليهم، وحديث السوء عنهم في غيبتهم، وقد جاء في الصحيحين واللفظ للبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تباغضوا، ولا تنابزوا وكونوا عباد الله إخواناً».

والظن في الآية والحديث هو الاتهام، فلا يحل لمسلم أن يتهم أخاه، صيانة لأعراض الناس وتأميناً لهم من سوء السمعة بدون مقتضى، ومنعاً للعداوة وآثارها.

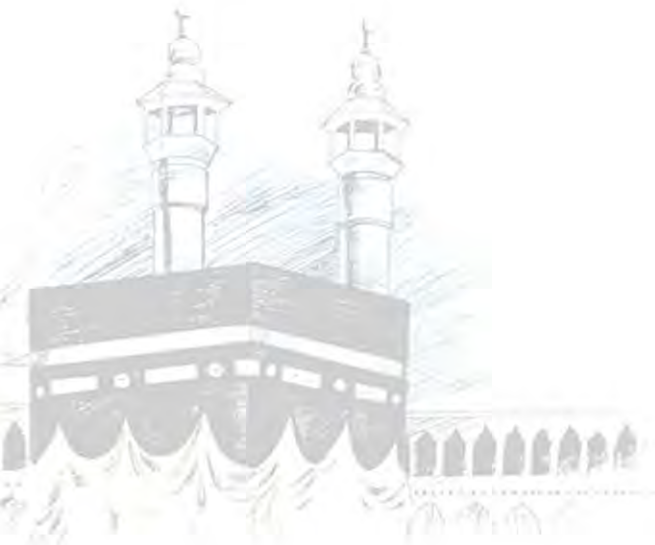
ويفهم من النهي عن كثير من الظن أنه يجوز بعض الظن، وذلك إذا وجدت أماره تقتضيه، قال القرطبي: والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها، أن كل ما لم نعرف له أماره صحيحة وسبباً ظاهراً كان حراماً واجب الاجتناب، وذلك إذا

كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح، وأُنست منه الأمانة في الظاهر، فظنُّ الفساد به والخيانة محرم، بخلاف من اشتهر عند الناس بتعاطي الرِّيب، والمجاهرة بالخباثت<sup>١</sup>.

فما فعله الرجل -غض الله له- من اتهام بريء لا مستند له في اتهامه إلا وقوفه بجواره أثناء الرمي؛ منكر لا ينبغي، وكان الواجب عليه أن يتحرى ويتجنب ذلك الاندفاع لا سيما وهو في الحج والذي يعتبر مدرسة لضبط النفس ولتخلق بأخلاق الإسلام، والذي حذر الله تعالى منه سائر الحجاج بقوله عز وجل: **﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾**<sup>٢</sup>.

١ - التفسير الوسيط (٩/ ١٠٤٦).

٢ - سورة البقرة، الآية رقم: (١٩٧).







## الركض المخيف !



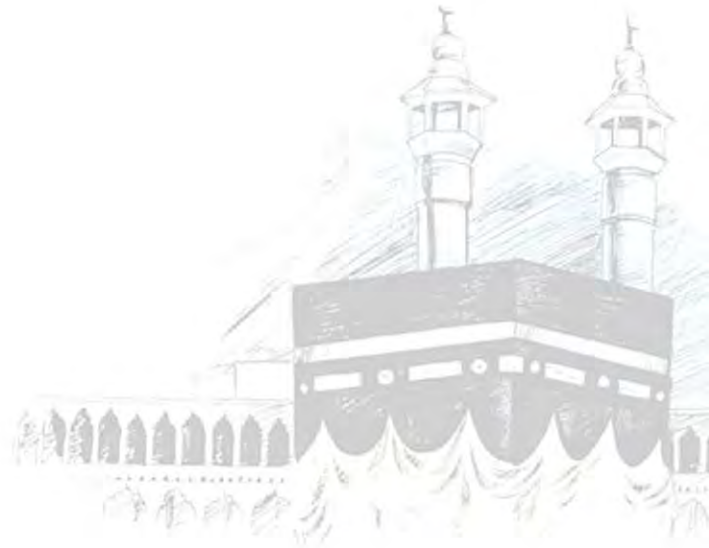
يقول أحد الحجاج: كنت أحج مع مجموعة من الشباب، وفي أحد أنفاق المشاعر بدأنا بالجري بشكل جماعي حتى نذهب الكسل عن أنفسنا، وبعد قليل.. صار نصف الذين في النفق يجرون معنا ظناً منهم أن طارئاً قد حدث.

## الفوائد الفقهية والوعظية :

يدل هذا الموقف الطريف على التأثير الكبير والسريع من بعض الحجاج: نتيجة تهيُّب الموقف، وتوقع حدوث بعض الطوارئ التي يمكن أن يكون لها تداعيات سلبية، خاصة مع كثرة الأعداد، واختلاف الثقافات واللغات واللهجات التي يمكن أن تكون عائقاً في فهم حقيقة الأمر.

لكن يجب الحذر وعدم القيام بأمور غير مألوفة في مثل هذه المواقف حتى لا يحدث ما لا تُحمد عقباه؛ فقد يتوهم بعض الناس أن هناك شيئاً خطراً فيحاولون الهرب

منه؛ فيحدث تدافع ويصاب بعض الناس أو قد يموت بعضهم؛ بسبب تصرف غير مدروس العواقب مثل هذا، حتى وإن كان بحسن نية. وأيضاً على الناس أن يتثبتوا قبل أن يتأثروا بأي تصرف عفوي، أو حتى بإشاعة من غير المسئولين.



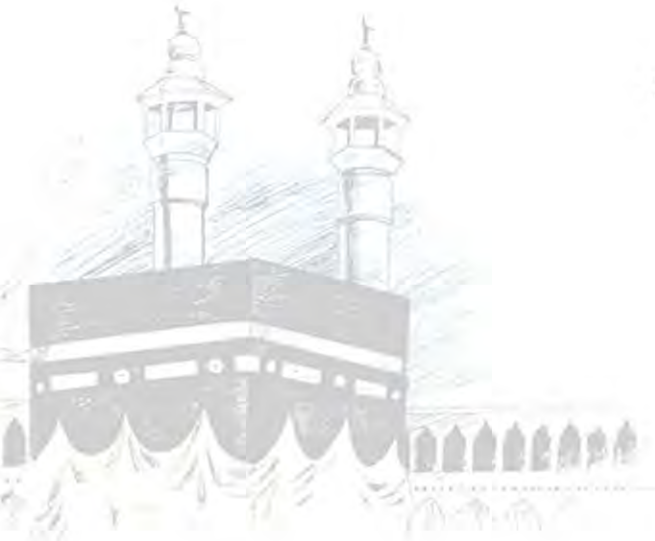
## صراع على الغترة !



يقول أحد الأفاضل: بعد فراغنا من رمي الجمرات، انتبهنا إلى غياب أحد إخواننا الذين معنا، فبقينا ننتظر ونتفقد، وبعد ما يقرب من الساعة رجع إلى المخيم فسألناه عن سبب تأخره، فقال : وأنا أرمي الجمار رأيت أحد الحجاج يأخذ غترتي، فتشبث بها، وأخذت أجذبها من جهة وهو يجذب من الجهة الأخرى، وبقينا نتجاذبها حتى تمكنت من الانتصار عليه، وأخذتها وخرجت منتشياً بانتصاري، وأثناء سيري تفقدت غترتي، لأكتشف أن على كتفي غترتين؛ إحداهما لي والأخرى

هي الغترة التي تصارعت عليها مع صاحبها!

يقول: فضحك الإخوة وطلبوا منه أن يستغفر ربه!



### الفوائد الفقهية والوعظية :

مرة تلو الأخرى تتجدد المواقف المحرجة والتي كان يكفي لتجنب وقوعها شيء من التآني وقليل من الاستيثاق، وقليل من حسن الظن وكبح جماح النفس عن الاندفاع والحماس، فصاحبنا هذا لو تريث وتحسس كتفه ليتفقد غترته قبل أن يتحرك ليتجاذب وذلك الحاج تلك الغترة التي ظننا له؛ لأعفي من ذلك الحرج. وقد سبق ونبها على ذلك، ونضيف هنا ما قاله الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «نهى الله تعالى عن كثير من الظن السوء بالمؤمنين، ف **﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾** وذلك، كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظن السوء، الذي يقترن به كثير من الأقوال، والأفعال المحرمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب، لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به، حتى يقول ما لا ينبغي، ويفعل ما لا ينبغي، وفي ذلك أيضاً إساءة الظن بالمسلم، وبغضه، وعداوته المأمور بخلاف ذلك منه»<sup>١</sup>.

١ - تفسير السعدي، (ص: ٨٠١).

## صفعه .. فرقع سبابته إلى السماء !



يقول أحد الأفاضل: أثناء خروجنا من عرفة وكانت معي سيارتي ومعني أهلي طلب مني رئيس الحملة أن أقف بسيارتي لأحجز باقي الحافلات والسيارات لفترة وجيزة حتى تتمكن حافلات الحملة من الخروج من الساحة الترابية إلى الشارع، وذلك من باب تنظيم المرور ودفعاً للتزاحم؛ ففعلت ووقفت أنتظر خروج الحافلات، وخلفي حافلة يظهر أنها لحجاج أتراك، وكان سائقها يصرخ ويزمجر ويواصل الضغط على بوق السيارة وأنا أشير له أن اصبر قليلاً، ولكنه لم يصبر فنزل مزمجرأ يردد شتائم لم أفهمها، وجاء بجواري فرقع يده وصفعني أمام أهلي الذين معي، ثم تركني وعاد إلى الحافلة وهو لا يزال يشتم ويتوعد، يقول صاحبنا: وبقيت مذهولاً أفكر ماذا أفعل هل أتبعه وأرد له ما فعله بي فأخسر تعبني في الحج وما أرجوه من ثواب عبادتي، أم أصبر وأحتسب، ولكنني كظمت غيظي وصبرت واحتسبت، ولم أزد على أن رفعت سبابتي إلى السماء.

يقول: فتابعنا سيرنا ثم توقف السير، وفوجئت بذلك الرجل قد رجع نادماً متوجعاً معتذراً متأسفاً، وبقي يعتذر ويطلب المسامحة حتى قلت له: سامحك وأسأل الله أن يغفر لي ولك.

### الفوائد الفقهية والوعظية :

وهذه حكاية عامرة بالمواقف التي يمكن استلهاها منها، سواء من صاحبنا الذي أحسن خلقه وكظم غيظه ودفع بالتي هي أحسن، أو حتى من ذلك السائق الذي استسلم لغضبه فأخطأ في حق أخيه ثم ندم وأتاب ورجع للاعتذار وطلب المسامحة. ولو أن أخانا قابل السائق بالمثل لما تحققت تلك النهاية السعيدة بل ربما جرهم الغضب وتحريش الشيطان إلى خاتمة غير محمودة للقصة وإحباط الأجر والثواب لكل منهما.

والصبر والحلم وكظم الغيظ من الأخلاق السامية التي تندر في الناس وذلك لصعوبة تحقيقها، وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله بعض السبل المعينة على تحصيل تلك الأخلاق، وكان مما ذكر ما ينطبق على قصة صاحبنا السالفة، فنقله بطوله لنفاسته ولما حواه من فوائد متعلقة بحكايتنا تغنينا عن التعليق والتعقيب، قال رحمه الله: « ويعين العبد على هذا الصبر عدة أشياء:

**أحدها:** أن يشهد أن الله سبحانه وتعالى خالق أفعال العباد، حركاتهم وسكناتهم وإراداتهم، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يتحرك في العالم العلوي

والسفلي ذرة إلا بإذنه ومشئته، فالعباد آلة، فانظر إلى الذي سلطهم عليك، ولا تنظر إلى فعلهم بك، تسترح من الهم والغم.

**الثاني:** أن يشهد ذنوبه، وأن الله تعالى إنما سلطهم عليه بذنبه، كما قال

**تعالى: {وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعضو عن كثير}. فإذا شهد**

العبد أن جميع ما يناله من المكروه فسببه ذنوبه، اشتغل بالتوبة والاستغفار من

الذنوب التي سلطهم عليه بسببها، عن ذمهم ولومهم والوقية فيهم. وإذا رأيت العبد

يقع في الناس إذا آذوه، ولا يرجع إلى نفسه باللوم والاستغفار، فاعلم أن مصيبتَه

مصيبة حقيقية، وإذا تاب واستغفر وقال: هذا بذنوبي، صارت في حقه نعمة. قال

علي بن أبي طالب رضي الله عنه كلمة من جواهر الكلام: لا يَرْجُونَ عبد إلا ربه، ولا

يخافن عبد إلا ذنبه وروي عنه وعن غيره: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة.

**الثالث:** أن يشهد العبد حسن الثواب الذي وعده الله تعالى لمن عفا وصبر، كما قال

**تعالى: {وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب**

**الظالمين}**، ولما كان الناس عند مقابلة الأذى ثلاثة أقسام: ظالم يأخذ فوق حقه،

ومقتصد يأخذ بقدر حقه، ومحسن يعفو ويترك حقه، ذكر الأقسام الثلاثة في هذه

الآية، فأولها للمقتصدين، ووسطها للسابقين، وآخرها للظالمين.

ويشهد نداء المنادي يوم القيامة: «ألا ليقم من وجب أجره على الله»، فلا يقوم إلا

من عفا وأصلح. وإذا شهد مع ذلك فوت الأجر بالانتقام والاستيفاء؛ سهل علمه

الصبر والعفو.



**الرابع:** أن يشهد أنه إذا عفا وأحسن أورثه ذلك من سلامة القلب لإخوانه، ونقائه من الغش والغل وطلب الانتقام وإرادة الشر، وحصل له من حلاوة العفو ما يزيد لذته ومنفعته عاجلاً وأجلاً، على المنفعة الحاصلة له بالانتقام أضعافاً مضاعفة، ويدخل في قوله تعالى: **{والله يحب المحسنين}**، فيصير محبوباً لله، ويصير حاله حال من أخذ منه درهم فعوض عليه ألوفاً من الدنانير، فحينئذ يفرح بما من الله عليه أعظم فرح يكون.

**الخامس:** أن يعلم أنه ما انتقم أحد قط لنفسه إلا أورثه ذلك ذلاً يجده في نفسه، فإذا عفا أعزه الله تعالى، وهذا مما أخبر به الصادق المصدوق حيث يقول: «ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً»، فالعز الحاصل له بالعفو أحب إليه وأنفع له من العز الحاصل له بالانتقام، فإن هذا عز في الظاهر، وهو يورث في الباطن ذلاً، والعفو ذل في الظاهر، وهو يورث العز باطناً وظاهراً.

**السادس:** وهي من أعظم الفوائد: أن يشهد أن الجزاء من جنس العمل، وأنه نفسه ظالم مذنب، وأن من عفا عن الناس عفا الله عنه، ومن غفر لهم غفر الله له. فإذا شهد أن عفوه عنهم وصفحه وإحسانه مع إساءتهم إليه سبب لأن يجزيه الله تعالى كذلك من جنس عمله، فيعفو عنه ويصفح، ويحسن إليه على ذنوبه، ويسهل عليه عفوه وصبره، ويكفي العاقل هذه الفائدة.

**السابع:** أن يعلم أنه إذا اشتغلت نفسه بالانتقام وطلب المقابلة ضاع عليه زمانه، وتفرق عليه قلبه، وفاته من مصالحه ما لا يمكن استدراكه، ولعل هذا أعظم عليه من

المصيبة التي نالته من جهتهم، فإذا عفا وصفح فرغ قلبه وجسمه لمصالحه التي هي أهم عنده من الانتقام.

**الثامن:** أن انتقامه واستيفاءه وانتصاره؛ لنفسه، وانتصاره؛ لها، فإن رسول الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط، فإذا كان هذا خير خلق الله وأكرمهم على الله لم ينتقم لنفسه، مع أن أذاه أذى الله، ويتعلق به حقوق الدين، ونفسه أشرف الأنفس وأزكاها وأبرها، وأبعدها من كل خلق مذموم، وأحقها بكل خلق جميل، ومع هذا فلم يكن ينتقم لها، فكيف ينتقم أحدنا لنفسه التي هو أعلم بها وبما فيها من الشرور والعيوب، بل الرجل العارف لا تساوي نفسه عنده أن ينتقم لها، ولا قدر لها عنده يوجب عليه انتصاره لها.

**التاسع:** إن أؤذي على ما فعله لله، أو على ما أمر به من طاعته ونهي عنه من معصيته، وجب عليه الصبر، ولم يكن له الانتقام، فإنه قد أؤذي في الله فأجره على الله. ولهذا لما كان المجاهدون في سبيل الله ذهب دماؤهم وأموالهم في الله لم تكن مضمونة، فإن الله اشترى منهم أنفسهم وأموالهم، فالثمن على الله لا على الخلق، فمن طلب الثمن منهم لم يكن له على الله ثمن، فإنه من كان في الله تَلَفُهُ كان على الله خَلْفُهُ، وإن كان قد أؤذي على مصيبة فليرجع باللوم على نفسه، ويكون في لومه لها شغل عن لومه لمن آذاه، وإن كان قد أؤذي على حظ فليوطن نفسه على الصبر، فإن نيل الحظوظ دونه أمرٌ أمرٌ من الصبر، فمن لم يصبر على حر الهواجر والأمطار والثلوج ومشقة الأسفار ولصوص الطريق، وإلا فلا حاجة له في المتاجر.

وهذا أمر معلوم عند الناس أن من صدق في طلب شيء من الأشياء بذل من الصبر في تحصيله بقدر صدقه في طلبه.

**العاشر:** أن يشهد معية الله معه إذا صبر، ومحبة الله له إذا صبر، ورضاه. ومن كان الله معه دفع عنه أنواع الأذى والمضرات ما لا يدفعه عنه أحد من خلقه، **قال تعالى: {واصبروا إن الله مع الصابرين}، وقال تعالى: {والله يحب الصابرين}.**

**الحادي عشر:** أن يشهد أن الصبر نصف الإيمان، فلا يبذل من إيمانه جزاء في نصرته نفسه، فإذا صبر فقد أحرز إيمانه، وصانه من النقص، والله يدفع عن الذين آمنوا. **الثاني عشر:** أن يشهد أن صبره حكم منه على نفسه، وقهر لها وغلبة لها، فمتى كانت النفس مقهورة معه مغلوبة، لم تطمع في استرقاقه وأسرته وإلقائه في المهالك، ومتى كان مطيعاً لها سامعاً منها مقهوراً معها، لم تزل به حتى تهلكه، أو تتداركه رحمة من ربه. فلو لم يكن في الصبر إلا قهره لنفسه ولشيطانه، فحينئذ يظهر سلطان القلب، وتثبت جنوده، ويفرح ويقوى، ويطرده العدو عنه.

**الثالث عشر:** أن يعلم أنه إن صبر فאלله ناصره ولا بد، فאלله وكيل من صبر، وأحال ظالمه عليه، ومن انتصر لنفسه وكله الله إلى نفسه، فكان هو الناصر لها. فأين من ناصره الله خير الناصرين إلى من ناصره نفسه أعجز الناصرين وأضعفه؟

**الرابع عشر:** أن صبره على من آذاه واحتماله له يوجب رجوع خصمه عن ظلمه، وندامته واعتذاره، ولوم الناس له، فيعود بعد إيدائه له مستحيماً منه نادماً على ما فعله، بل يصير موائياً له. وهذا معنى قوله تعالى: **{ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي**



بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم} .

**الخامس عشر:** ربما كان انتقامه ومقابله سبباً لزيادة شر خصمه وقوة نفسه، وفكرته في أنواع الأذى التي يوصلها إليه، كما هو المشاهد. فإذا صبر وعفا أمن من هذا الضرر، والعاقلة لا يختار أعظم الضررين بدفع أدناهما. وكم قد جلب الانتقام والمقابلة من شرٍّ عجز صاحبه عن دفعه، وكم قد ذهب نفوس ورئاسات وأموال لو عفا المظلوم لبقيت عليه.

**السادس عشر:** أن من اعتاد الانتقام ولم يصبر لابد أن يقع في الظلم، فإن النفس لا تقتصر على قدر العدل الواجب لها، لا علما ولا إرادة، وربما عجزت عن الاقتصار على قدر الحق، فإن الغضب يخرج بصاحبه إلى حد لا يعقل ما يقول ويفعل، فبينما هو مظلوم ينتظر النصر والعز، إذ انقلب ظالماً ينتظر المقت والعقوبة.

**السابع عشر:** أن هذه المظلمة التي ظلمها هي سبب إما لتكفير سيئته، أو رفع درجته، فإذا انتقم ولم يصبر لم تكن مكفرة لسيئته ولا رافعة لدرجته.

**الثامن عشر:** أن عفوه وصبره من أكبر الجند له على خصمه، فإن من صبر وعفا كان صبره وعفوه موجِباً لذل عدوه وخوفه وخشيته منه ومن الناس، فإن الناس لا يسكتون عن خصمه، وإن سكت هو، فإذا انتقم زال ذلك كله. ولهذا تجد كثيراً من الناس إذا شتم غيره أو آذاه يحب أن يستوفي منه، فإذا قابله استراح وألقى عنه ثقالاً كان يجده.



**التاسع عشر:** أنه إذا عفا عن خصمه استشعرت نفس خصمه أنه فوقه، وأنه قد ربح عليه، فلا يزال يرى نفسه دونه، وكفى بهذا فضلاً وشرفاً للعفو.

**العشرون:** أنه إذا عفا وصفح كانت هذه حسنة، فتولد له حسنة أخرى، وتلك الأخرى تولد له أخرى، وهلم جراً، فلا تزال حسناته في مزيد، فإن من ثواب الحسنة الحسنة، كما أن من عقاب السيئة السيئة بعدها. وربما كان هذا سبباً لنجاته وسعادته الأبدية، فإذا انتقم وانتصر زال ذلك<sup>١</sup>.

وبعد أن تكلمنا عن خطأ السائق المعتدي وعن حُسن تصرف السائق المعتدى عليه، ينبغي أن نقف مع المتسبب بهذا الإشكال من الأساس، وهو أمر رئيس الحملة عُفر الله له بتعطيل السير لحين خروج جميع حافلات الحملة وذلك بغرض التأكد من عدم ضياع إحداها أو تأخرها؛ وهذا كان يمكن أن يُستعاضَ عنه إما بتدريب السائقين بحيث يكونون على دراية تامة بالمنطقة وخط السير فيتلافون التأخير وإن تفرقت الحافلات؛ أو عبر الاستعانة بوسائل التواصل الحديثة كأجهزة اللاسلكي وبالتالي يبقى الارتباط بين الحافلات حتى وإن لم تكن كذلك على الأرض وفي الشارع؛ فالحرص على توفير ما سبق كضيل بنزع فتيل المشكلة من الأساس ولم يكن ليحتاج مدير الحملة بأن يطلب من السائق تعطيل الشارع.

١ - جامع مسائل ابن تيمية - المجموعة الأولى - (ص: ٦٨-٧٤)، بتصريف.

## تعطلت الحافلة .. وعلق الركاب !



يقول أحد الفضلاء: في إحدى سنوات الحج وبعد فراغنا من أداء المناسك، تهيأنا للذهاب إلى المطار بغرض العودة إلى الكويت، وكنا في عجلة من أمرنا إذ وبحسب اللوائح والنظم- يتحتم على المغادرين الوجود في المطار قبل ست ساعات من موعد الرحلة، فركبنا الحافلة، وكانت وراءنا حافلة أخرى تابعة للحملة أيضاً، وخلال الطريق انشغل الركاب بالحديث عن ذكرياتهم في الحج وتجربتهم، وفجأة تعطلت الحافلة عند حدود مكة تقريباً، فتباطأت الحافلة تدريجياً حتى توقفت تماماً، ولم تمض دقائق معدودة حتى توقف جهاز التكييف، وكان موقفاً مقلقاً لحاجتنا للإسراع حرصاً على عدم تفويت موعد الطائرة، ولكن وجود حافلة أخرى تابعة للحملة بعث الاطمئنان في النفوس، إلا أن توقف تكييف الهواء سبب ارتفاع الحرارة داخل الحافلة خاصة مع عدم وجود نوافذ سوى نافذة الطوارئ في الأعلى حيث إن كافة الأجهزة الكهربائية في السيارة قد تعطلت بما فيها الباب نفسه، فلا تهوية ولا حركة

لأن البطارية قد انتهى شحنها أساساً، وأردنا أن ننزل من الحافلة كي ننتظر في الخارج هرباً من حرارة الجو في الداخل ولكن تبين أن باب الحافلة مغلق لا يفتح جراء العطل؛ وهنا حدث هلع بين الركاب، وجاءنا سائق الحافلة الأخرى وبعد الفحص قال: المشكلة بسيطة إن شاء الله، فالعطل في البطارية لا أكثر، فتواصلوا مع الشركة المسؤولة عن المواصلات، وفي قرابة نصف الساعة وصل فريق الصيانة وأصلحوا العطل بتبديل البطارية وتابعنا رحلتنا إلى المطار بحمد الله تعالى وفضله، فكان حبسنا في داخل الحافلة ومعاناتنا من الاختناق لقلة الهواء ولا ارتفاع الحرارة ذكرى تروى وإن كان تذكر تلك التفاصيل يبعث فينا شعوراً بعدم الارتياح إلى اليوم.

### الفوائد الفقهية والوعظية :

هذا الموقف هو من جنس الحكايات التي تقصر الكلمات عن التعبير عما دار في صدور أبطالها، فالسامع لها إن لم يستشعر أنه أحد أفرادها فإنه قد لا يظهر له كم المعاناة التي حوته، فيقول: حافلة تعطلت وأصلحت في ظرف نصف ساعة فهي مشكلة بسيطة، فنقول: صحيح، هي كذلك إن نظرت لها بهذا التجريد، ولكن إن وضعت نفسك مكان أحد أولئك العالقين، وشعرت بما شعروا به من اختناق، ودارت في عقلك تلك الخواطر والوساوس التي دارت في مخيلاتهم، وانتقل إليك الهلع ممن هم بجوارك، فحينها .. وحينها فقط تكون قادراً على استشعار معاناتهم في تلك اللحظات.



والفائدة التي يمكن أن نجنيها من هذه القصة؛ ضرورة الاستعداد المسبق لحالات الطوارئ، وتوقع غير المتوقع، وهو من جملة المأمورات التي أمرنا الله سبحانه بها إذ يدخل في قوله سبحانه: **﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾** (البقرة: ١٩٧)، وقد وفق الله تعالى القائمين على الحملة بأن يأخذوا بالأسباب وأن يستعدوا بفرق الطوارئ من الفنيين القادرين على صيانة المركبات وإصلاح الأعطال فجعلهم الله تعالى سبباً في إنقاذ الحجاج العالقين في الحافلة، وهم بذلك الاستعداد قد وافقوا الأمر الرباني بالتزود والتزموا إرشادات ونصائح أهل العلم.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «فالله جل وعلا أمر الحاج بالتزود بالنفقة وبكل ما ينفعه في الحج، من العلم النافع والكتب المفيدة وكل ما ينفع نفسه أو غيره، وكلمة: **﴿وَتَزَوَّدُوا﴾** كلمة مطلقة تشمل أنواع التزود من أمور الدنيا والدين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان أناس يحجون من غير زاد ويقولون: نحن المتوكلون، فأنزل الله تعالى: **﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾** والآية عامة تعم جميع الناس، فعلى جميع الناس في كل أصقاع الدنيا أن يتزودوا من العلم ومن المال ومن كل ما ينفعهم في حجهم، حتى لا يحتاجوا للناس»<sup>١</sup>.

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: كيف يستعد المسلم للحج والعمرة؟

فأجاب بقوله: «الذي ينبغي أن يستعد به المسلم في حجه وعمرته، أن يتزود بكل ما يمكن أن يحتاج إليه في سفره، من المال، والثياب، والعتاد وغير ذلك، لأنه ربما يحتاج إليه في نفسه أو يحتاجه أحد من رفقائه، وأن يتزود كذلك بالتقوى وهي اتخاذ



الوقاية من عذاب الله، بفعل أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، لقول الله تعالى: **{وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَبْصَابِ}**، فالتقوى استعداد معنوي يستعد بها الإنسان في قرارة نفسه للقاء الله تعالى واليوم الآخر، فيحرص على أن يقوم بما أوجب الله عليه، ويدع ما حرم الله عليه وما أكثر ما نجد من الحاجة في الأسفار، حيث يحتاج الإنسان إلى أشياء يظنها هينة فلا يستصحبها معه في سفره، فإذا به يحتاج إليها، أو يحتاج إليها أحد من رفقائه، فليكن الإنسان حازماً شهماً مستعداً لما يتوقع أن يكون وإن كان بعيداً<sup>١</sup>.

بقي أن ننبه على أمر، وهو ما قد يوسوس به الشيطان لبعض الجهال، من أن اتخاذ الزاد والاحتياط مناقض للتوكل، وقد عالج العلماء رحمهم الله تعالى تلك القضية وبينوا فساد ذلك التصور، واحتجوا عليهم بالآية السابقة من سورة البقرة الحائثة على التزود، وأيضاً بحال نبينا صلى الله عليه وسلم الذي تزود في رحلاته وأمر الناس بذلك، والتزم ذلك أصحابه من بعده، وفي هذا الشأن قال ابن الجوزي رحمه الله: «وقد بُسِّ على قوم يدعون التوكل فخرجوا بلا زاد وظنوا أن هذا هو التوكل، وهم على غاية الخطأ، قال رجل للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل من غير زاد، فقال له أحمد: فأخرج في غير القافلة، قال: لا إلا معهم، قال: فعلى جراب الناس توكلت<sup>٢</sup>، أي ستكون عالة على الناس بتوكلك الناقص هذا، ثم يقول: « وإن هؤلاء القوم ظنوا أن التوكل ترك الأسباب، ولو كان

١ - مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٧ / ٢١).

٢ - تلبس إبليس (ص: ١٣٠).

هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزود لما خرج إلى الغار قد خرج من التوكل، وكذلك موسى لما طلب الخضر تزود حوتاً، وأهل الكهف حين خرجوا فاستصبحوا دراهم واستخفوا ما معهم؛ وإنما خفي على هؤلاء معنى التوكل لجهلهم<sup>١</sup>.

وفي بيان معنى التوكل قال ابن قدامة رحمه الله: «ليس من شرط التوكل ترك الأسباب الدافعة للضرر، فلا يجوز النوم في الأرض المسبعة، أو مجرى السيل، أو تحت الجدار الخراب، فكل ذلك منهي عنه.

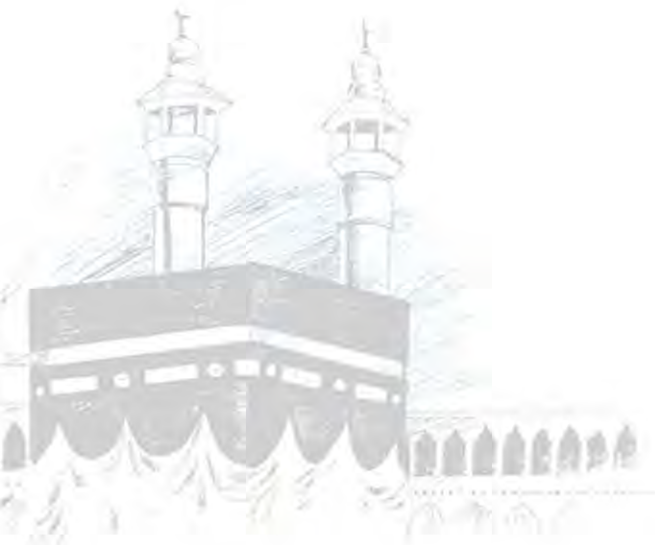
وكذلك لا ينقض التوكل لبس الدرع، وإغلاق الباب، وشد البعير بالعقال. وقال الله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ (النساء: ١٠٢).

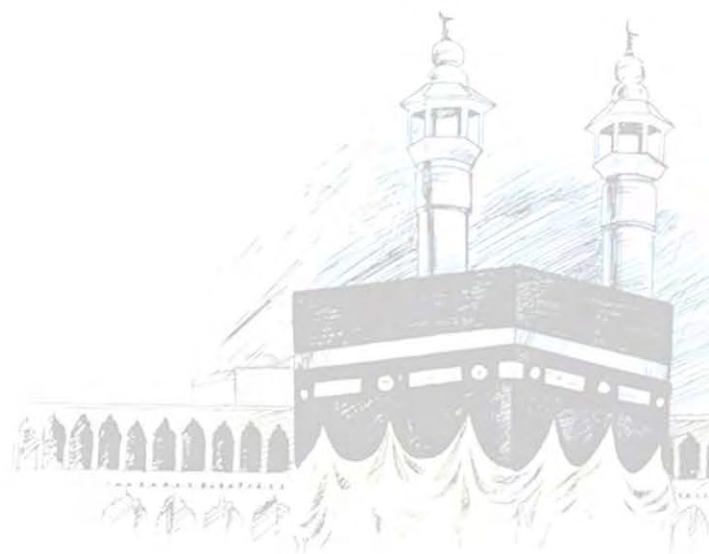
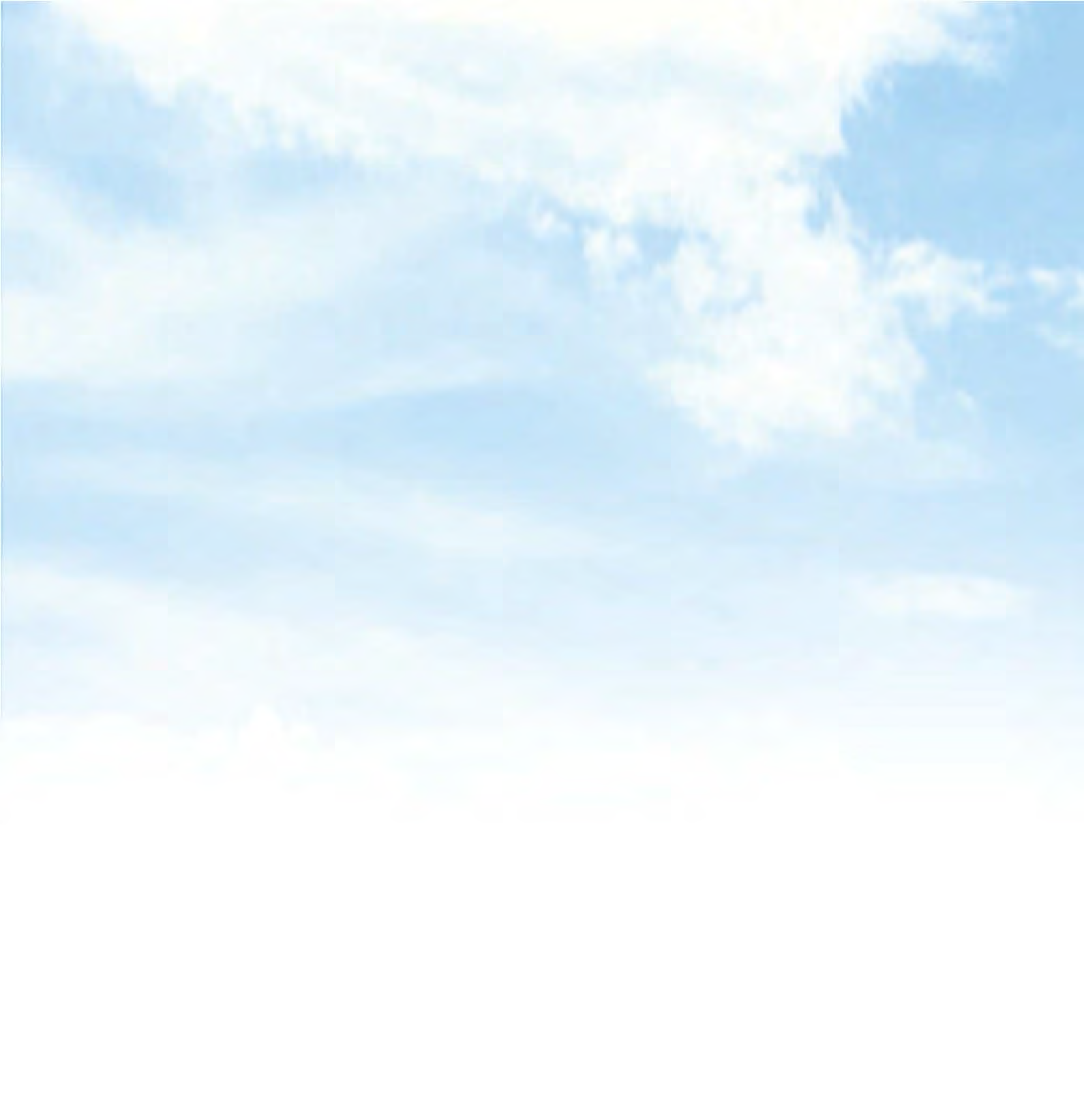
وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يارسول الله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: «أعقلها وتوكل».

ويتوكل في ذلك كله على المسبب لا على السبب، ويكون راضياً بكل ما يقضى الله عليه<sup>٢</sup>.

١ - تلبيس إبليس (ص: ٢٦٧).

٢ - مختصر منهاج القاصدين (ص: ٢٣٥).





## إسهال جماعي !

يقول أحد الفضلاء من المرشدين الدينيين في إحدى حملات الحج: في سبعينيات القرن الماضي كنا في عرفة ومجموعة من الإخوة الأفاضل، فاشتهدوا الإخوة أن يطبخوا ذبيحة، وكنا قرابة سبعين أو ثمانين شخصاً؛ فاشترينا خروفاً يسمونه: «حري»<sup>١</sup>، من المنطقة نفسها، وقام أحد الأفاضل جزاه الله خيراً بالتكفل بنذجه وإعداده للأكل، فتناولنا طعام الغداء ثم توجهنا ورحنا إلى مزدلفة، وهناك أصبنا جميعاً بالآام في البطن وإسهال متكرر، ولما سألنا وتقصينا تبين لنا أن السبب هو لحم الخروف الذي أكلناه، وذلك لأنه خروف يرمى على عشب الخروع، فمن يأكله يتعرض لتلك الحالة المرضية، فقضينا ذلك اليوم ننتظر دورنا في الطابور إلى دورة المياه، ومن عجز عن الانتظار ولم يتمكن من الصبر اضطر للذهاب لقضاء حاجته في أماكن قاصية بعيدة عن أعين الناس، ومن ستر الله ولطفه بنا، أن أحد أفراد الحملة كان يعمل طبيباً، وكان قد استعد مسبقاً بالأدوية التي تكثرت الحاجة لها، وكان من بينها أدوية لعلاج الإسهال، فتولى جزاه الله تعالى خيراً صرف الأدوية للجميع ويسر الله سبحانه لنا الشفاء على يده، ولله الحمد والمنة.

١ - هي سلالة أغنام سعودية منتشرة بمنطقة الحجاز، سميت بهذا الاسم نسبة إلى الحرات وهي مناطق البراكين الخامدة غرب المملكة العربية السعودية، وهي إحدى سلالات الأغنام دهنية الذيل، يصل وزن الذكر البالغ إلى ٦٠ كجم بينما الإناث إلى ٤٥ كجم، ذات صوف خشن والغالب عليها اللون الأبيض ولكنها قد تأتي بألوان أخرى.

### الفوائد الفقهية والوعظية :

وهذا تطبيق عملي للأمر الرباني بالتزود، ومصداق لما ذكره أهل العلم والذي نقلناه في الموقف السابق، فاحتياط هذا الطبيب وتزوده بالأدوية المختلفة تحرزاً لما قد يحصل له من حالات؛ ساهم في شفاء جميع من معه في الحملة، وحظي ذلك الطبيب إن شاء الله تعالى بالأجر المضاعف لشرف المكان والزمان، ولعظم العبادة التي انقطع إليها هؤلاء الحجاج، فتأمل كيف ييسر الله تعالى لعباده الخيرويمهد لهم طريق تحصيل الثواب بفضله وكرمه.

وقد سبق وذكرنا تفصيل أهل العلم وبيانهم لعدم المناقضة بين التوكل والأخذ بالأسباب، ونزيد عليه هنا ما ذكره الشيخ المراغي رحمه الله: «فالتوكل الصحيح إنما يكون مع الأخذ بالأسباب، وبدونها يكون دعوى التوكل جهلاً بالشرع وفساداً في العقل، قال تعالى: {فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ} وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ} وقال: {وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ} وقال: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} وقال لنبيه لوط: {فَأَسْرِبْ أَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ}، وقال موسى عليه السلام: {فَأَسْرِبْ بَعِيدِي لَيْلًا}، وقال حكاية عن نبيه يعقوب لابنه يوسف: {لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا}، وقال أيضاً حاكياً عنه: {يَا بَنِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ، وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ، إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}، ففي هذا أمر بالحدزر مع التنبيه إلى أنه متوكل على الله، ولا تنافى بينهما ولا غنى للمؤمن عنهما.

## المشرفة المزيفة !

وهذه مشرفة تربوية حكمت قصة بدأت في الحج، قالت في يوم من أيام منى: وأنا أتبادل الحديث مع امرأة، فإذا هي في نفس تخصصي، وكنت وقتها معلمة، فأخبرتني أنها مشرفة تربوية في منطقة أخرى، وجلسنا نتبادل الحديث وتبادلنا أرقام هواتفنا، وكانت غير راضية عن مستوى التعليم والتدريس! وقالت: إنها اكتشفت الكثير من الأخطاء في المناهج، وأخبرتني أيضاً أنها كتبت هذا في كثير من مقالاتها المنشورة في الصحف، ووصلها كثير من خطابات الشكر والتقدير على جهودها.

وانتهى الحج، ومع بداية السنة الجديدة تمت ترقيتي إلى مشرفة، وذهبت لمدرسة من المدارس المكلفة بالإشراف عليها، وإذ بتلك المرأة التي قابلتها في الحج معلمة في تلك المدرسة، وباسم آخر غير الذي قالت له لي! فسألتها عن الأخطاء التي اكتشفتها في المنهج.. وعن مقالاتها التي استحقت عليها الأوسمة والجوائز... حينها اعترفت أنه مجرد كلام، لأنها لم تكن تظن أن من التقت بها بين مليوني حاج ستلتقي بها ثانية صدفة! وهذا لسوء حظها!

## الفوائد الفقهية والوعظية :

يتضح من هذا الموقف أن الكذب ليس له رجлан (قدمان) - كما يقولون- وأن الصدق هو المنجي من كل سوء أو حرج، فضلاً عما ذكر للصدق من فضائل وما أعده الله تعالى للصادقين، وعلى رأسها ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «عليكم

بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً<sup>١</sup>.

والعجيب أن يكون الكذب بهذا التفاخر غير المستحق في الحرم وأثناء أداء هذه الشعيرة المقدسة، التي يكون الإنسان فيها قريباً من ربه حريصاً على إرضائه وعلى تحصيل الأجر المضاعف.

وأخشى على هذه الأخت أن تدخل في الذم الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك في الحديث الذي رواه البخاري بسنده عن أسماء، أن امرأة قالت: يا رسول الله، إن لي ضرة، فهل علي جناح إن تشبعت من زوجي غير الذي يعطيني؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المتشبع بما لم يُعطَ كلابس ثوبي زور»<sup>٢</sup>.

فهي بالإضافة إلى كذبها ادعت أشياء تستجلب من ورائها الحمد دون أن تكون حقيقية.

لكن لعل الله تعالى قدر لها هذا الموقف حتى تتوب عما هي فيه، وتقلع عن هذه المذمات، وحينها يكون الله تعالى قد أراد بها خيراً؛ فأنت تتعرض لموقف محرّج في الدنيا خيراً لها من أن تستمر على ذنبها حتى تلقى به الله تعالى، وحينها يكون الجزاء والعقاب. نسأل الله تعالى لنا جميعاً الثبات والتوبة والاستقامة.

١ - صحيح مسلم، (٢٦٠٧).

٢ - صحيح البخاري، (٥٢١٩).

### فتاة باسمين (عفراء وأسماء) !

وتقول فتاة اسمها «عفراء» تحكي قصة حدثت لها في الحج منذ عدة سنوات، قالت: لم أستطع استخراج تصريح للحج لأن تصريح الحج يستخرج كل خمس سنوات للشخص تجنباً للزحام، ولكنني كنت مشتاقة للحج مرة أخرى، فاستخرج والدي تصريحاً لي باسم أختي أسماء، وقال لي: إذا سألك أحد عن اسمك قولي: أسماء، وصار أهلي ينادونني من قبيل المزاح بـ«أسماء» لعدة أيام، وبعدما نفرنا من عرفات للمبيت بمزدلفة، طلبت من والدي أن أمشي مع والدتي وأخواتي على قدمي قليلاً، لأن الجلسة الطويلة في السيارة أتعبتني كثيراً فأذن لنا، ونحن في الطريق ومع الزحام أضعت والدتي وأخواتي ولم يكن لدي هاتف جوال حينها! وبعد قليل هداني عقلي أن أسأل أقرب نقطة أمن، فذهبت وسألتهم إذ كان أحد يبحث عن فتاة ضائعة في السابعة عشرة.

فقالوا لي: «أنت عفراء؟ والدك يبحث عنك»، فتذكرت والدي عندما قال لي: إذا سألك أحد عن اسمك قولي «أسماء»، فقلت لهم: «اسمي أسماء»، وظل أهلي يبحثون عني طوال الليل باسم «عفراء»، وأنا مصرة لا أريد أن أخبر أحد باسمي الحقيقي، وبقيت واقفة قرب نقطة الأمن التي سألت أبي عني فيها لعله يعود مرة أخرى فيجدني، وبالفعل عاد بعد حوالي ساعتين في حالة يرثى لها ليسأل عني مرة أخرى





فوجدني واقفة أنتظر، وظل يوبخني مرة لأنني لم أقل اسمي الحقيقي للشرطي، ومرة يثني علي لأنني فكرت في الانتظار بجانب مركز الأمن الذي سأل عني فيه<sup>١</sup>.

### الفوائد الفقهية والوعظية :

هذه القصة لا تخلو من بعض الطرافة؛ حيث يبدو أن هذه الفتاة «عفراء» تجيد التمثيل وتقمص الدور المطلوب منها أكثر من أبيها؛ لدرجة أنها نسيت اسمها الحقيقي أو خافت من ذكره، أما أبوها فنسي الاسم البديل، ويحث عنها بالاسم الأصلي متخليا عن الاتفاق بينهما تحت وطأة القلق عليها.

لكن نؤكد هنا على أن هذه الحادثة فيها مخالفة وفيها تحايل لا يجوز ولا يليق في مثل هذه المواقف؛ حتى وإن كان الغرض نبيلاً؛ فنبل المقصد لا يبرر خطأ الوسيلة، خاصة أنه كان يمكن أن تتطور الأمور ويترتب على هذا التحايل - الذي يعد أيضاً كذباً موثقاً بالأوراق الرسمية- ضياع حقوق أو استحقاق أمور لغير أهلها. ولعل الله تعالى قد أرسل لهذه الفتاة وأهلها رسالة من خلال هذا الموقف، الذي انتهى بلطفه سبحانه وتعالى بهم.

كما أنه ينبغي الالتزام بما يقرره القائمون على أمر الحج من أمور تنظيمية (مثل تحديد فترة زمنية لا يجوز فيها تكرار الحج والعمرة)؛ حتى يتم تنظيم أمر الحج والعمرة بسلاسة، وحتى لا يجور أحد على حق أخيه في تكرار الحج والعمرة، أو يكون سبباً في مزاحمة من يحج أو يعتمر للمرة الأولى.

## يا رب عملتلي إيه في الموضوع ؟



«يارب عملتلي ايه في الموضوع اللي كلمتك عليه عنبول (السنة الماضية)».. قالها الرجل الصعيدي القادم من أقصى الجنوب المصري للأراضي المقدسة السعودية لأداء مناسك الحج، قالها وهو لا يقصد أي مزحة ولا هو موقف تمثيلي أو تخيلي يكتبه بعضهم طمعاً بمئات الإعجابات على مواقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك» أو «تويتر»، قالها ولم يكن يعلم أن رفيقه الجالس بالجوار يسمعه جيداً، وسيناقشه بعد الانتهاء من دعائه، بل وستظل ذكرى جميلة يتناقلونها في مجالسهم القروية متندرين على صاحب الحاجة التي ينتظر قضاءها منذ عامين<sup>١</sup>.

## الفوائد الفقهية والوعظية :

هذه الواقعة الطريفة التي ربما يرى فيها بعض الناس سوء أدب في مخاطبة الله عز وجل ودعائه؛ ولكنها -من وجهة نظري- تعكس نقاء فطرة هذا الرجل القريب من

١ - صحيفة صوت الأمة المصرية بتاريخ: ١٠/١١/٢٠١٠م.

ربه الواثق في استجابته لطلبه؛ فهو يخاطب ربه كما يخاطب صديقه المقرب، بعد رفع حواجز التكلف أو الحرج بينهما، وأنه مهما تأخرت الإجابة فإنه واثق في تحققها ولو بعد حين، ولن يمل من السؤال والطلب لأنه يسأل كريماً.

وهذا الرجل نرجو الله تعالى أن يعفو عنه هذا الخطأ الناتج عن الجهل، وعدم القصد؛ فربما يكون مثله مثل الذي أخطأ من شدة الفرح في حديث التوبة الذي أخرجه الإمام مسلم، وفيه: «اللهم أنت عبيدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»، فالواجب تعليمه وإفهامه وليس توبيخه أو السخرية منه؛ فربما كان فيه خير كثير لكنه يحتاج معه إلى إرشاد وتقويم.

وأمثال هذا الرجل كثر بيننا، وربما وقع من الأعراب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ما هو أشد مما وقع فيه هذا الحاج؛ ورغم ذلك لم نسمع عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو أحد من الصحابة أنه زجرهم أو نهرهم، فضلاً على أن يكفره أو يجرمه؛ بل لم يكن منهم إلا اللين واللطف والقول الحسن، وخير دليل على هذا موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع الأعرابي الذي بال في المسجد<sup>١</sup>، وكيف كان موقفه صلى الله عليه وسلم والتصحيحي والتقويمي معه.

لكن نؤكد هنا أن دعاء الله تعالى وسؤاله حاجتنا ليس مقصوراً على مكان دون مكان أو زمان دون زمان؛ فصاحبنا هذا سأل الله تعالى مسألته في العام الماضي - يبدو أنه حج أكثر من مرة- وانتظر حتى الموسم التالي ليؤكد مسألته؛ صحيح أن لهذه

١ - صحيح مسلم، (٢٧٤٧).

٢ - الحديث في البخاري، (٦٠٢٥)، ومسلم، (٢٨٤).

الأماكن والأوقات فضلاً، ولكن ذلك لا يعني الاقتصار على الدعاء فيها، ولا يمنع من دعاء الله تعالى في كل الأوقات والأماكن الأخرى؛ فهو سبحانه وتعالى سميع قريب مجيب.

كما ينبغي التنبيه على أن إجابة الدعاء لا يشترط أن تكون صريحة أو عاجلة في الدنيا؛ بل هناك ثلاثة أنواع لقبول الله تعالى دعاء الداعي؛ فإما أن يعجل له دعوته في الدنيا، وإما أن يصرف عنه من السوء بمثلها، وإما أن يدخر ذلك له أجراً وثواباً يوم القيامة؛ فعن أبي سعيد، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذا نُكِّر، قال: الله أكثر».

وفي هذا السياق يحسن بنا أن ننقل ما ذكره ابن الجوزي رحمه الله: «رأيت من البلاء أن المؤمن يدعو فلا يجاب، فيكرر الدعاء، وتطول المدة، ولا يرى أثراً للإجابة، فينبغي له أن يعلم أن هذا من البلاء الذي يحتاج إلى الصبر، وما يعرض للنفس من الوسواس في تأخير الجواب مرض يحتاج إلى طب.

ولقد عرض لي شيء من هذا الجنس؛ فإنه نزلت بي نازلة، فدعوت، وبالغت، والبخل معدوم، فما فائدة تأخير الجواب؟! فقلت له: أخساً يا لعين! فما أحتاج إلى تقاض، ولا أرضاك وكيلاً، ثم عدت إلى نفسي فقلت: إياك ومساكنة وسوسته، فإنه لو لم يكن في تأخير الإجابة إلا أن يبلوك المقدر في محاربة العدو، لكفى في الحكمة.

قالت- أي نفسه-: فسلني عن تأخير الإجابة في مثل هذه النازلة! فقلت: قد ثبت بالبرهان أن الله عزوجل مالك، وللمالك التصرف بالمنع والعطاء، فلا وجه للاعتراض عليه.

**والثاني:** أنه قد ثبتت حكمته بالأدلة القاطعة، فربما رأيت الشيء مصلحة، والحكمة لا تقتضيه، وقد يخفى وجه الحكمة فيما يفعله الطبيب من أشياء تؤذي في الظاهر، يقصد بها المصلحة، ففعل هذا من ذلك.

**والثالث:** أنه قد يكون التأخير مصلحة، والاستعجال مضر، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يزال العبد في خير ما لم يستعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي!».

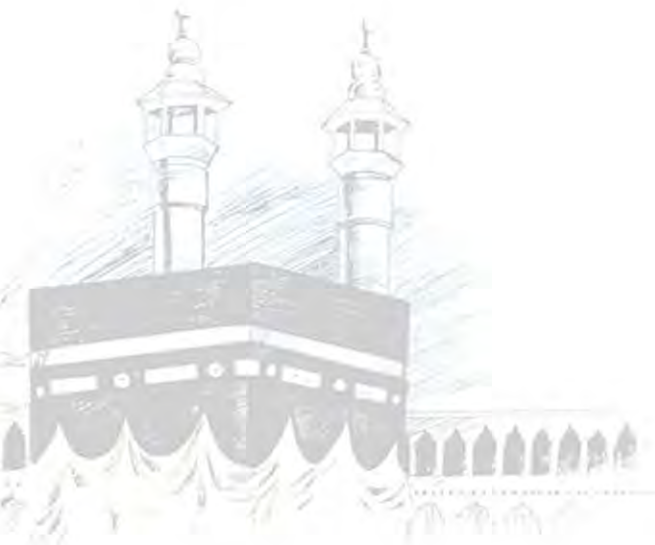
**والرابع:** أنه قد يكون امتناع الإجابة لآفة فيك، فربما يكون في مأكولك شبهة، أو قلبك وقت الدعاء في غفلة، أو تزداد عقوبتك في منع حاجتك لذنب ما صدقت في التوبة منه.

**والخامس:** أنه ينبغي أن يقع البحث عن مقصودك بهذا المطلوب، فربما كان في حصوله زيادة إثم، أو تأخير عن مرتبة خير، فكان المنع أصلح، وقد روي عن بعض السلف: أنه كان يسأل الله الغزو، فهتف به هاتف: إنك إن غزوت، أسرت، وإن أسرت، تنصرت.

**والسادس:** أنه ربما كان فقد ما فقدته سبباً للوقوف على الباب واللجأ، وحصوله سبباً للاشتغال عن المسؤول. وهذا الظاهر، بدليل أنه لولا هذه النازلة، ما رأيناك على باب اللجأ، فالحق عزوجل- علم من الخلق اشتغالهم بالبر عنه، فلذعنهم في

خلال النعم بعوارض تدفعهم إلى بابه، يستغيثون به، فهذا من النعم في طي البلاء، وإنما البلاء المحض ما يشغلك عنه، فأما ما يقيمك بين يديه، ففيه جمالك. وقد حكى عن يحيى البكاء أنه رأى ربه عز وجل في المنام، فقال: يا رب، كم أدعوك ولا تجيبني؟ فقال: يحيى، إني أحب أن أسمع صوتك. وإذا تدبرت هذه الأشياء، تشاغلت بما هو أنفع لك من حصول ما فاتك، من رفع خلل، أو اعتذار من زلل، أو وقوف على الباب إلى رب الأرباب<sup>١</sup>.

١ - صيد الخاطر، (٨٢-٨٤) بتصرف.





## رجعت بالأضحية إلى الكويت!



يقول أحد الفضلاء: حججت مع والدتي (وبحسب الظن أن ذلك كان في ستينيات القرن الماضي) وفي سوق شراء الأضاحي رأيت والدتي شاة «بريرية» أعجبتها، فاستشارت صاحب الحملة عن إمكانية أن تشتريها وترجع بها معها إلى الكويت، فلم يمانع، فنادتني وقالت: إنني اشتريت تلك الشاة فخذها معك إلى سيارات الشحن لنحملها معنا حين عودتنا، فاعترضت وقلت: يكفي أصحاب الحملة ما يتحملونه من مشقة وتعب في نقل حاجيات الحجج وأمتعتهم فلا ينبغي أن نثقل عليهم ونزعجهم بحمل «صخلة» معنا مع الأمتعة، فأجابته بأنها قد استأذنت صاحب الحملة فوافق.

١ - السخلة: ولد الشاة ما كان من المعز والضأن، ذكراً كان أو أنثى، انظر تاج العروس (٢٩/ ١٩٢)، وفي اللهجة الكويتية تبدل السين صاداً وتلك لغة عند العرب.



فبدلاً من أن تُذبح تلك الشاة مع أخواتها من الأضاحي، سافرت مع الحجاج إلى الكويت.

### الفوائد الفقهية والوعظية :

يلحظ القارئ الكريم ما يشي به الموقف من البساطة والأريحية، سواء في موقف الحاجة التي أعجبتها الشاة فقررت أخذها إلى الكويت، كما أنها لم تتخذ قرارها إلا بعد استشارة مدير الحملة والتوثق منه بأنها لن تثقل عليهم في طلبها، أو من موقف مدير الحملة والذي وافق هوى الحاجة رغم ما قد يسببه لهم ذلك من جهد ومسئولية إضافية.

كما نلاحظ استشعار الحاج (ولدها) الحرج ومراعاته لظروف المسئولين في الحملة وعدم إرادته الإثقال عليهم، فالموقف عبارة عن مراعاة كل أطرافه للذوق والحرص على عدم أذية الآخرين، وهذه المبالاة ورهافة الحس ينبغي أن يتحلى بها المسافر، ولا سيما في الحج.

ومن الفوائد التي نستفيد منها كذلك جواز الاستفادة في البيع والشراء وأن ذلك لا يناقض قصد الحج بل هو من تيسير الله تعالى ورحمته بعباده، أجاب الشيخ ابن باز رحمه الله على سؤال فحواه: «حججت ثم قمت بعمل أكتسب منه أيام الحج هل أكون آثمًا؟» فقال: «لا حرج في ذلك، يقول الله سبحانه: **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾** يعني إن حجّ فلا حرج عليه في البيع والشراء.



ولا حرج إذا كان فعله تطوعاً فهو مأجور في حلاقة رؤوس الحجاج إذا فعله بالأجر المعتاد فلا بأس، لا يزيد على الناس بالأجر المعتاد<sup>١</sup>.

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ما حكم من يبيع ويشترى ويكتسب وهو يؤدي

الحج والعمرة؟

فأجاب بقوله: «جواب هذا السؤال بينه الله عز وجل في قوله: **{ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ**

**تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ }** فإذا كان الإنسان قد أتى بنية الحج، ولكنه حمل معه سلعة

يبيعها في الموسم، أو اشترى سلعة من الموسم لبيعها في بلده، فإن هذا لا بأس به، ما

دام القصد الأول هو الحج أو العمرة، وهو من توسيع الله عز وجل على عباده، ثم

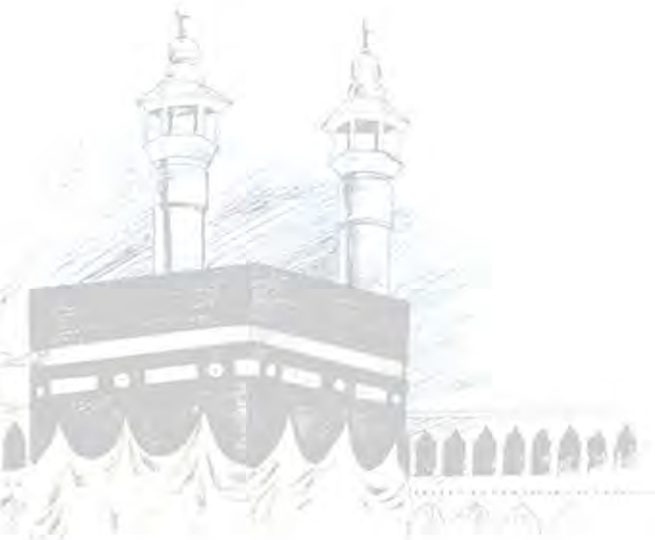
ينهمهم جل وعلا ويمنعهم من الاتجار والتكسب، ومثل ذلك إذا كان الإنسان صاحب

سيارة وأراد أن يحج ثم حمل عليها أناس بالأجرة فإن ذلك لا بأس به ولا حرج فيه،

ويدخل في عموم قوله: **{ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ }**<sup>٢</sup>.

١ - فتاوى نور على الدرب لابن باز (١٨ / ٨٣).

٢ - مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٤ / ٢١).





### « أنا المهدي المنتظر »

يقول مدير إحدى الحملات: في إحدى السنوات وبعد أن فتحنا باب التطوع لخدمة الحجاج في الحملة، زكّي إداريٌ معنا أحد أقاربه ليكون بين المتطوعين، وحين بدأنا رحلتنا، ظهر على ذلك الشاب الحماس وبعض التشدد، وفي الطريق كانت تبلغني من العمال أخبار عن فتاوى غريبة كان يفتي بها الناس، ولكن لظروف الانشغال في التنظيم والترتيب لاستقبال الحجاج؛ لم أعر تلك الأخبار انتباهاً، وقلت: لعلها من مبالغات الناس المعتادة، وعندما وصلنا مكة اختفى ذلك المتطوع، وبعد يومين أو ثلاثة أتانا خبر حجه في إحدى المستشفيات في حي الزاهر، فلما ذهبنا نستعلم عن حاله فإذا بالطبيب يقول: يظهر أن صاحبكم هذا يعاني من مشكلة نفسية، فقد قبض عليه في المسعى وهو يصيح ويشتم الحكومات، ولاحظوا عليه الاضطراب النفسي فأتوا به إلى هنا، فدخلت أكلمه فقلت: خيراً محمد، فقال: ألا تعرفني يا أبا عبد الله؟ أنا المهدي المنتظر!، فقلت: طيب، وماذا تريد أيها المهدي؟ فقال: أريد أن يقطع رأسي في الحرم! فقلت: أما استطعت أن تؤجل قطع رأسك إلى سنة أخرى أو على الأقل حتى نفرغ من استقبال الحجاج؟، ثم سعينا في إعادته إلى الكويت ولكن لم نقدر، وعندما فتشنا أمتعته تبين لنا أنه يحمل أدوية علاج نفسي، فأخذناها إليه وعندما بدأ يأخذها عاد لرشده واتزنت تصرفاته، فتأكدنا من التزامه بالعلاج طيلة مكوثنا هناك وحتى عودتنا.

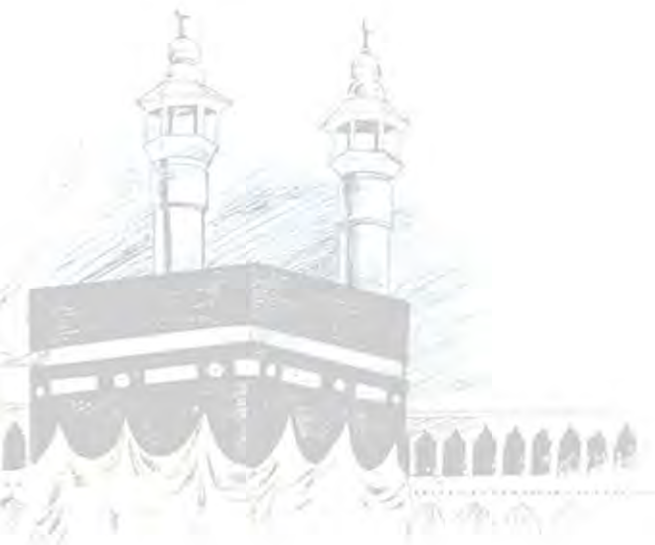


### الفوائد الفقهية والوعظية :

**أولاً:** نغتنم هذه الحكاية لننبه من خلالها على معايير اختيار الإداريين والمتطوعين في الحملات، وأن أهم ما يتصف به الإداري والمتطوع هو الكفاءة والاعتدال والانضباط، فبغير ما سبق سيكون ذلك الإداري أو المتطوع حملاً زائداً وثقلاً إضافياً يعاني منه الإداريون قبل الحجاج المرافقين لهم في الحملة، ولا بأس من مراعاة معايير إضافية كالقرباة مثلاً، أو فقره والرغبة في مساعدته على أداء فريضة الحج من باب تطوعه في الحملة؛ ولكن تلك المعايير لاحقة لما تقدم من صفات لا سابقة لها ومقدمة عليها، وقد لاحظنا ما عاناه مدراء الحملة في الحكاية السالفة مع الأخ مدعي المهذوية والذي اتضح أنه مريض نفسي محله المصحة لتلقي العلاج والرعاية ولا يصلح أن يوسد إليه أمر تنظيم الحجاج ورعاية حوائجهم.

**ثانياً:** مما يجدر التطرق إليه قضية المهدي، ولسنا معنيين هنا بالحديث حول تفاصيلها وما اختلف فيه الناس حولها، وإنما نذكر -كعادتنا- ما اتفق عليه المسلمون، من تكرار استغلال خبر المهدي في إشاعة الفتن والقلائل والتي ربما تتطور فيبلغ خطرها حد سفك دماء المسلمين، ويظهر في كل مرة بطلان دعوى المدعي، ولم يتعظ الناس على كثرة تلك الحوادث وتكرارها عبر تاريخنا الإسلامي، قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: «علم الخاص والعام أنه ورد في علامات الساعة من الأخبار أنه يخرج رجل من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم يقال له المهدي يملأ الأرض عدلاً بعد أن تكون قد ملئت جوراً، وينزل في آخر مدته عيسى ابن مريم من

السماء، فيرفع الجزية ويكسر الصليب ويقتل المسيح الدجال، وليس هذا مقام تحرير هذه المسألة، وإنما اقتضت الحال أن نذكر من ضررها أنها - لانتظار المسلمين لها، ويأسهم من إعادة عدل الإسلام ومجده بدونها - قد كانت مثار فتن عظيمة. فقد ظهر في بلاد مختلفة وأزمنة مختلفة أناس يدعي كل واحد منهم أنه المهدي المنتظر يخرج على أهل السلطان ويستجيب له كثير من الأغرار، فتجري الدماء بينهم وبين جنود الحكام كأنهار، ثم يكون النصر والغلب للأقوياء بالجنود والمال، على المستنصرين بتوهم التأييد السماوي وخوارق العادات، وقد ادعى هذه الدعوة أيضاً أناسٌ من الضعفاء أصابهم هوس الولاية والأسرار الروحية، فلم يكن لهم تأثير يذكر!





## كابوس، أرقُّ الحجاج في منى !



يقول أحد الفضلاء من المرشدين الدينيين في إحدى حملات الحج:

في ليلة من ليالي الحج، وكانت ليلة صافية هادئة، أخذ الحجاج إلى الراحة في ساحات منى بعد يوم طويل شاق، وفجأة بدأ صراخ متكرر صادر من مخيمات النساء ذلك الهدوء، فهرعنا -كإداريين مسئولين عن سلامة الحجاج- مسرعين إلى هناك وجرى معنا عدد من الحجاج -من غير الإداريين- ممن بلغ الصراخ مسامعهم لندرك الأخوات ولم يخطر ببالنا إلا أن حريقاً وقع أو أن مكروهاً قد نزل بالأخوات أو بعضهن، ولما وصلنا عند باب المخيم اندفع بعض الحجاج قاصداً الدخول بغرض المساعدة، ولكننا منعناه من ذلك حفاظاً على حرمة النساء ورعاية لخصوصيتهن، وبقينا مضطربين قلقين تتجاذبنا الأفكار عند باب المخيم إلى أن جاءتنا أخت من الإداريات وأخبرتنا إن إحدى الحاجات رأت مناماً فاستيقظت فزعة صارخة!



## الفوائد الفقهية والوعظية :

من الفوائد التي يمكن تسليط الضوء عليها من خلال هذا الموقف:

ضرورة ضبط النفس والتأني وعدم التسرع في اتخاذ القرارات في حالة الاضطراب والفرع، ففي هذا الموقف لو وافق الإداريون بعض المتحمسين من الحجاج في الدخول إلى مخيمات النساء لاستحالة الموقف الطريف -نوعاً- إلى مشكلة وربما غضب بعض النساء وأهاليهن من دخول الرجال عليهن في وقت راحتهن، وهو غضب مستحق، وإن كان مبرر الداخلين لا يخلو كذلك من وجهة إذ غرضهم النجدة والمساعدة، ولكن الله سلم ويات موقفاً طريفاً يحكى ويُذكر.

ومما يجدر ذكره في هذا الموطن ما ورد في السنة من بيان لكيفية التصرف عند رؤية منام مفرع، روى البخاري رحمه الله بسنده عن يحيى بن سعيد، قال: سمعت أبا سلمة، قال: سمعت أبا قتادة، يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه فلينبث حين يستيقظ ثلاث مرات، ويتعوذ من شرها، فإنها لا تضره» وقال أبو سلمة: «وإن كنت لأرى الرؤيا أثقل علي من الجبل، فما هو إلا أن سمعت هذا الحديث فما أبا ليها»<sup>١</sup>.

وبعد أن ساق الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى جملة من الأحاديث والتي تبين كيفية التعاطي مع المنامات قال: «فحاصل ما ذكر من أدب الرؤيا الصالحة ثلاثة

١ - صحيح البخاري (٥٧٤٧).



أشياء: أن يحمد الله عليها، وأن يستبشر بها، وأن يتحدث بها لكن لمن يحب دون من يكره، وحاصل ما ذكر من أدب الرؤيا المكروهة أربعة أشياء: أن يتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، وأن يتفل حين يهب من نومه عن يساره ثلاثاً، ولا يذكرها لأحد أصلاً، ووقع عند المصنف -البخاري- في باب القيد في المنام عن أبي هريرة خامسة: وهي الصلاة، ولفظه: فمن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصه على أحد وليقم فليصل<sup>١</sup>، وقال النووي رحمه الله: «وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "إنها لا تضره" معناه أن الله تعالى جعل هذا سبباً لسلامته من مكروه يترتب عليها، كما جعل الصدقة وقاية للمال وسبباً لدفع البلاء، فينبغي أن يُجمع بين هذه الروايات ويُعمل بها كلها، فإذا رأى ما يكرهه نفث عن يساره ثلاثاً قائلاً: أعوذ بالله من الشيطان ومن شرها، وليتحول إلى جنبه الآخر، وليصل ركعتين، فيكون قد عمل بجميع الروايات، وإن اقتصر على بعضها أجزاءه في دفع ضررها بإذن الله تعالى كما صرحت به الأحاديث»<sup>٢</sup>.

١ - فات الحافظ رحمه الله أن يذكر الرابع وهو التحول من جنب إلى جنب، وقد ذكره النووي رحمه الله فيما يلي.

٢ - فتح الباري لابن حجر (١٢ / ٣٧٠).

٣ - شرح النووي على مسلم (١٥ / ١٨).





## رحلة الحج .. بين اليوم والأمس !



يقول أحد الأفاضل من أصحاب الحملات: لأعقد لكم هذه المقارنة المختصرة بين رحلة الحج في أواخر سبعينيات القرن الماضي وبين رحلة الحج اليوم: في الماضي كنا نذهب مع مجموعة لا تقل عن خمسين وتصل بعض الأحيان إلى مئة من الشباب المتحمس، وذلك لأداء النسك، وكنا في حرجنا نتحرى تتبع السنة في أداء النسك، ونحاول أن لا نترك منها شيئاً فنلتزم جميع ما ورد؛ سواء بالمبيت في المزدلفة أو في رمي الجمار بعد الزوال في كل أيام التشريق، وهكذا حالنا في كل مناسك الحج المعروفة، وكنا نوفد مجموعة تضم من ثمانية إلى عشرة أشخاص، يذهبون في أول أو ثاني يوم من ذي الحجة للإعداد المسبق وتوفير كل المتطلبات التي يحتاجها الحجاج وتعينهم على أداء النسك، ونتواعد مع باقي أفراد الحملة، فنستقبلهم في اليوم الثامن وقد جهزنا المخيم في منى لاستقبالهم، وأعدنا لهم كل ما يحتاجونه، وكنا نستقبلهم ونغديهم ونعشيهم وبعد يوم التروية نذهب الضحى إلى عرفة ونبقى في وادي عرنة ولا ندخل إلا بعد الزوال كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعد

ذلك النفر كما هو معروف، ثم إذا رجعنا بالسلامة إلى الكويت ندعوهم إلى وليمة من «الحطة»<sup>١</sup> نفسها، وهذا كله كنا نعهده من المبلغ المرصود للحج والذي تشاركه الإخوة، وكانت قيمة اشتراك الحاج الواحد عشرين ديناراً فقط، وقد كان هذا المبلغ المدفوع يغطي جميع تكاليف الحاج أثناء سفره، فحتى سيارة الأجرة التي يستقلها عندما يروم الذهاب إلى الحرم لأداء أحد أو بعض الفروض العادية تكون على حساب الحملة، وفوق ذلك فإننا عندما نرجع يكون لكل واحد نصيب من المبلغ الإجمالي المتبقي، فأقول للإخوة قد تبقى لكل واحد منكم ثلاثة دنانير، فما رأيكم هل تريدونها أم نتصدق بها لجمعية خيرية فيقول الجميع: «خلاص، إحنا حجيننا الحمد لله، والله يتقبل وهذي الفلوس تبرع بها لأي جهة خيرية تراها».

أما اليوم فترى البنخ والإسراف بل وصار بعضهم يتباهى بالمبالغ المدفوعة في الحج، وربما دفع المسافر آلاف الدنانير ولكنه مع ذلك لا يحظى بتلك الأجواء الروحانية التي حظينا بها في ذلك الزمن.

١ - الحطة: هي اشتراك مجموعة في مبلغ معين فيدفع (يحط) كل واحد منهم جزءاً صغيراً من المبلغ الكلي أي بالتعبير الكويتي الشعبي: «يتحاطون».

### الفوائد الفقهية والوعظية :

لعلنا نبين للقارئ الكريم السبب الداعي لتلك «الفضضة»، فذلك لأننا، وفي سبيل تحصيل أكبر قدر من المواقف الواقعية الغريبة التي حصلت للحجاج؛ قد تواصلنا مع عدد من أصحاب الحملات والإداريين فيها، فكان أن أثار حديثنا عن الحج الشجون، فكانت تلك الكلمات المؤثرة والتي يتبين من خلالها القارئ الكريم كيف تتغير الأزمان، ويتضح له المعنى الذي لأجله يتحسر بعض المتقدمين في العمر على الأيام الخالية.

وهذه المقارنة البسيطة التي عقدت تبين لك كيف كان حال غالب الناس، من البساطة ويسر الأخلاق ونبذ التكلف، بينما هذا الغلاء الفاحش والذي يطاردنا في كل جانب اليوم ينبئ عن التعقيد الذي طرأ، ولهث إنسان اليوم خلف الماديات، وليس ذلك محصوراً في الأمور الدنيوية، بل وحتى الدينية، فنرى المغالاة والمبالغة والتفنن في ابتداء أساليب ترفيهية وتسويقية للحجاج مما أثار على تكاليف الحج بشكل عام، فطغيان المادة على الروح هو العامل المؤثر الأكبر وراء ما نراه اليوم من ارتفاع الأثمان وتكاليف الحج.

وكي لا يساء فهمنا نوضح، نحن لا نرمي من وراء كلامنا إلى نبذ كل الوسائل الحديثة المعينة للحجاج على أداء المناسك بشكل أمثل، وقد سبق ووضحنا ذلك بما لا مزيد عليه عند كلامنا عن لطائف وسائل السفر في القسم الأول من هذا الكتاب.



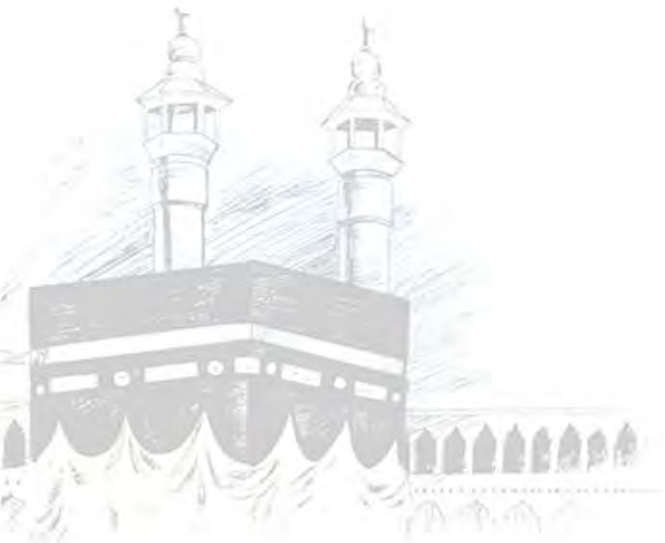
فنحن هنا إنما ننشد التوسط والاعتدال، فكما ننكر التكشف وتعذيب النفس والذي قد يؤثر على الحج نفسه إذ يسوء خلق الحاج من جراء معاناته آثار ذلك التكشف وقد وضحناه سابقاً واستدلنا عليه بكلام أهل العلم؛ ننكر أيضاً المبالغة في الرفاهية والإسراف والذي يحيل الحج إلى رحلة سياحية تبتلع الماديات فيها جميع القيم الروحانية فلا يكاد ينتفع الحاج من رحلته بشيء من مشاعر القرب لله تعالى والتذلل إليه، وإن من مقاصد الحج تقريب الحجاج إلى بعضهم وبيان اشتراكهم في أصل الخلقة وأن الفروق الدنيوية المصطنعة كلها إلى زوال ولا يبقى إلا الفرق المؤثر الحقيقي وهو التقوى، ونرى ذلك في كل مظاهر الحج ابتداء من الإحرام وانتهاء إلى الاشتراك والتزاحم في كل المناسك، وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى عن الحكمة من تجرد المحرم من المخيط في الحج والعمرة؟

فقال رحمه الله: «أولاً: ما معنى غير المخيط؟ المخيط هو القميص، والسراويل، والبرانس، والعمائم والخفاف لأنها هي التي نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن لبسها، وليس المراد ما فيه خياطة.

والحكمة من التجرد من أجل أن يكمل ذل الإنسان لربه عز وجل ظاهراً وباطناً، لأن كون الإنسان يبقى في رداء وإزار ذُلٌّ، تجدد أغنى الناس الذي يستطيع أن يلبس أفخر اللباس تجده مثل أفقر الناس لكمال الذل، وأيضاً من أجل إظهار الوحدة بين المسلمين وأنهم أمة واحدة حتى في اللباس، ولهذا يطوفون على بناء واحد، ويقفون في مكان واحد، ويبيتون في مكان واحد، ويرمون في موضع واحد.



الفائدة الثالثة: أن الإنسان يتذكر أنه إذا خرج من الدنيا فلن يخرج إلا بمثل هذا، لن يخرج بفاخر اللباس وإنما سيخرج في كفن والله المستعان<sup>١</sup>.  
فلسفة الوحدة والعدل والمساوة تتجلى في الحج، فلا ينبغي للإنسان أن ينقضها بإسراف يمنع من تحقيقها، بل القصد والاعتدال هو الغاية وهو الذي كنا ولا زلنا ندعو إليه.







## حافلة بلا سائق !



يقول أحد الفضلاء: كنت مسؤولَ المواصلات في إحدى الحملات، وفي مساء يوم التروية خرجت مع إحدى الحافلات لاستقبال الحجاج في المطار، وخلال الطريق، فوجئت بالسائق يغادر مكانه من أمام مقود الحافلة أثناء سيرها وبسرعتها العادية، وذهب إلى ثلاجة الحافلة، وأخذ يقلب فيها وانتقى عصيراً وأخذ زجاجة ماء ثم عاد مرة أخرى ليتابع القيادة وهو يضحك مسروراً بما صنع، وكل ذلك جرى وأنا أنظر مذهولاً، ولم أستطع أن أتكلم ولم أزد على أن تشهدت، وحاولت بعد رجوعه التزام الهدوء وحافظت على أعصابي من الانفلات جراء هذا الإهمال واللامبالاة، وعاتبته بهدوء قائلاً: كيف فعلت ذلك وأنت مؤتمن على حياة البشر من حجاج وسائرين في هذا الطريق؟! فلم يزد على التبسم، وبمجرد وصولنا إلى وجهتنا هاتفت الشركة المسؤولة عن السائقين؛ فأخبروني أن بعض السائقين قد اعتادوا تناول عقاقير منبهة

تعينهم على الاستيقاظ لفترات طويلة، وذلك لضمان عدم نومهم أثناء القيادة لمسافات طويلة، ومن سلبيات تلك العقاقير أنها تؤثر على وعيهم بتصرفاتهم فقد يصدر منهم بعض الأفعال غير المتزنة، فانزعجنا جداً، وقمنا بإنهاء خدماته لحملتنا خوفاً على أرواح الناس وحرصاً على سلامتهم.

### الفوائد الفقهية والوعظية :

وقد يبدو هذا موقفاً طريفاً باعتبار حيرة ذلك المسؤول ودهشته من تصرف السائق؛ أما بمجموعه فليس طريفاً بل هو محزن مقلق؛ فإن يبلغ الأمر بأحد المؤتمنين على أرواح الناس أن يستهتر هذا الاستهتار فهذا يدق جرس خطر عظيم ويستدعي وقفة مستحقة.

ووقفنا هنا: للتأكيد والبيان على أننا جميعاً مؤتمنون على ما يقع في نطاق مسؤوليتنا وطاقتنا، ففي الموقف السابق: الشركة المسؤولة عن المواصلات مؤتمنة على اختيار السائقين وانتقاء الكفاء الأمين منهم ومتابعتهم، والسائق مؤتمن على من بعهدته من ركاب وعلى أرواح السائرين في الطريق؛ فلزم أن يجد ويخلص في السعي لتأمينهم وأن يتجنب كل ما يمكن أن يسبب خطراً أو أذى، واختياره لتعاطي تلك العقاقير المنبها مع تضمن ذلك الاختيار لتلك السلبيات القاتلة -حرفياً-؛ إخلال بالأمانة، فهو إنما نظر إلى كيفية بقاءه ساهراً بغرض تحصيل أكبر أجر ممكن من خلال العمل لساعات أطول؛ فتعاطى تلك العقاقير لأنها تكفل له ذلك، ولو أنه قدم صيانة الأمانة الموكلة إليه، ولبها: الحفاظ على أرواح الناس؛ لحرص

على تجنب كل ما من شأنه أن يعرضها للخطر فامتنع عن تعاطي تلك العقاقير تحرُّزاً من آثارها الجانبية الخطيرة.

وكذلك الشركة المسؤولة عن المواصلات؛ فهي مسؤولة عن كفاءة السائقين وتتبعهم وتقصي أحوالهم، فلا يكفي أن تختار كفوًّا ابتداءً، بل لزم أن تتأكد من أمانته واستدامة كفاءته وذلك يكون بالمتابعة المستمرة والاختبار وفحص أحواله، وما ذُكر في القصة من علمهم بذلك الفعل المشين من بعض السائقين؛ يعظم من مسؤوليتهم الرقابية ويجعل استمرارهم بالمتابعة حتماً لازماً فإن لم يفعلوا ضيعوا الأمانة الموكلة إليهم، كما ينبغي عليهم توفير أجر مناسب للسائق يغنيه عن تجشم خطر استعانهه بتلك العقاقير للعمل لساعات إضافية مما يعرضه ومن سلك معه الطريق إلى الأذى، كما ينبغي عليهم توفير عدد من الموظفين يغطي كم العمل الموكل إليهم، وأن يرفضوا الأعمال التي تزيد عن قدرتهم الاستيعابية وإن أتر ذلك على المكاسب، وقليل يباركه الله تعالى برضاه عنه؛ هو خير من كثير منزوع البركة.

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: «أين - أراه - السائل عن الساعة»، قال: ها أنا يا



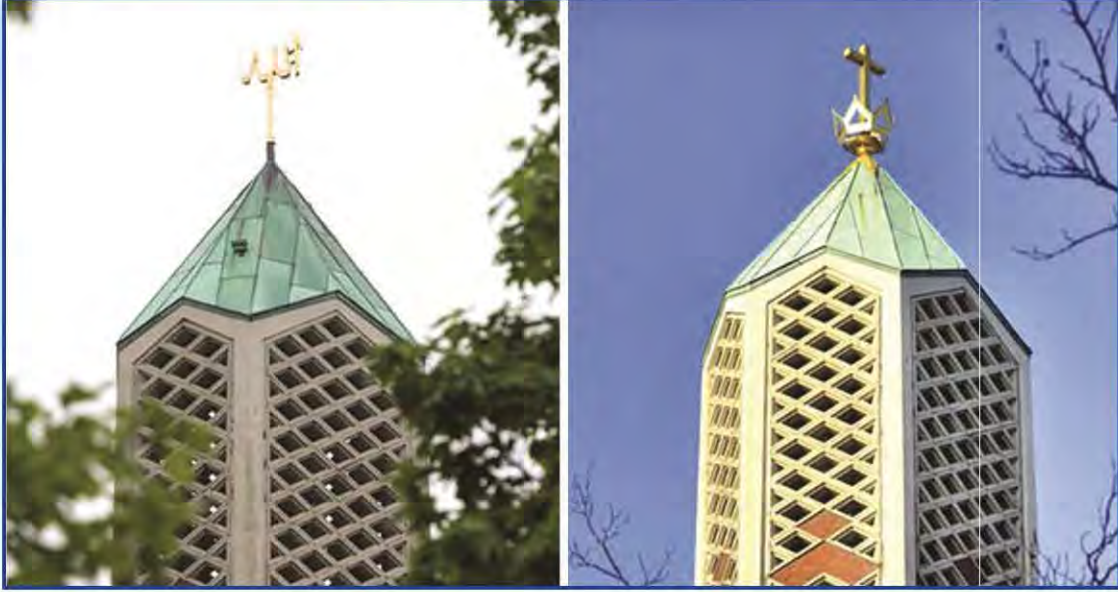
رسول الله، قال: «فإذا ضيُعت الأمانة فانتظر الساعة»، قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسِدَّ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»<sup>١</sup>.

«أي إذا أسندت الأمور المهمة التي ترتبط بها مصالح المسلمين من إمارة وقضاء وحسبة وشرطة وأي مصلحة عامة أو خاصة إلى غير أصحاب الكفاءات الشرعية والإدارية والعلمية والفنية، وسُلِّمت لغير ذوي الاختصاص، فقد ضاعت الأمانة وأوشكت الساعة أن تقوم، لأن الولاية أمانة ومسؤولية لا يمكن أن يؤديها إلا من كان عالماً بها ناصحاً فيها، مقدرًا لمسؤوليته نحوها، فإذا وليها غير أهلها من الجهلة أو الخونة لم يقوموا بأدائها، فتضيع مصالح الناس، وتنتشر الفوضى، ويعم الظلم، وتتفشى العداوة والبغضاء، فينهار كيان المجتمع، ويؤدي ذلك إلى القضاء على الأمة، وعند ذلك انتظر الساعة، إما ساعة تلك الأمة خاصة إذا كان ضياع الأمانة في نطاقها، أو ساعة العالم كله إذا ارتفعت الأمانة من الدنيا كلها، فإنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى»<sup>٢</sup>.

١ - صحيح البخاري، (٥٩).

٢ - منار القاري (١/ ١٥٦)، بتصرف يسير.

## من بركة الحج: كنيسة تتحول إلى مسجد !



يقول أحد المرشدين الدينيين في إحدى حملات الحج: في إحدى السنوات ونحن في طريقنا إلى الحج بلغني من بعض المعارف أن كنيسة كبيرة في ألمانيا قد تم بناؤها ولكن صاحبها قد تراكمت عليه الديون وهو ينشد بيعها، ويريد المسلمون هناك شراءها وتحويلها إلى مسجد، وكانت معروضة بمبلغ يوازي ستين ألف دينار كويتي، فكان أن وقفت في عرفة بعد الخطبة وشرحت الوضع للناس، فسارع الحجاج إلى التبرع بغرض المشاركة في الأجر والثواب، وأثناء جمعنا للمبلغ فإذا برسالة من أحد الحجاج القطريين مشكوراً، وفيها أنه يطلب منا إيقاف جمع التبرعات وأنه يتكفل بالمبلغ كاملاً، وبالفعل ذهبنا بعد الحج إلى ألمانيا وأتممنا عملية الشراء وافتتحنا المسجد، ولله الحمد والمنة.



### الفوائد الفقهية والوعظية :

سبق في مقدمة الكتاب أن لكلمة «نكتة» معاني كثيرة<sup>١</sup>، فمن معانيها: «فكرة لامعة، قضية مشكلة، فائدة دقيقة»، وأيضا من معانيها الحكاية المضحكة أو الطريفة وعلى هذا المعنى استقر عرف المتأخرين؛ فيتبادر معنى الحكاية المضحكة إلى الذهن عند سماع اللفظة، ولكن جرى العرف في كتب أهل العلم على استعمال اللفظة في الإشارة إلى الفوائد الدقيقة، فتراهم عنونوا بعض مصنفاتهم بـ«النكت»، كفعل الحافظ ابن حجر عندما صنف: «النكت على كتاب ابن الصلاح»، فقصد به الفوائد الدقيقة على كتاب ابن الصلاح، ونحن وإن كنا جرينا على العرف المستقر في معنى النكتة؛ ولكن لا مانع من أن نزاوج بينه وبين ما تعارف عليه العلماء فكان أن سقنا إليك هذه النكتة والتي تُعدُّ شاهداً من الشواهد المتواترة على بركة الحج.

أما الأمر الذي ينبغي أن نشيد به ثم نذكر به فهو اغتنام أوقات مضاعفة الحسنات، فقد رأينا الأفاضل من الحجاج كيف سارعوا إلى إنفاق أموالهم في مرضي الله سبحانه، وقد وقع أجرهم على الله تعالى، وإن من كرم الله تعالى وتوفيقه لهم أن يسر لهم وفتح بابا من الخير في زمان فاضل (يوم عرفة)، ومكان فاضل (جبل عرفة) فنرجو الله تعالى أنه قد تحقق لهم بذلك مضاعفة الأجور والزيادة في الثواب.

وقد توارد العلماء على التذكير بأهمية اغتنام فرص مضاعفة الأجور، فقال النووي رحمه الله: «يستحب الإكثار من الصدقة عند الأمور المهمة وعند الكسوف والسفر وبمكة والمدينة وفي الغزو والحج والأوقات الفاضلة كعشر ذي الحجة وأيام العيد

١ - انظر: تكملة المعاجم العربية، (١٠/٣٠٤).

ونحو ذلك، ففي كل هذه المواضع هي أكد من غيرها<sup>١</sup>، وقال الهيثمي رحمه الله: «الأفضل تحري الصدقة في سائر الأزمنة الفاضلة كالجمعة ورمضان سيما عشرة الأواخر، وعشر ذي الحجة وأيام العيد، والأماكن الفاضلة كمكة والمدينة، وليس المراد أن من أراد التصدق في المفضول يسن تأخيره إلى الفاضل بل إنه إذا كان في الفاضل تتأكد له الصدقة وكثرتها فيه اغتناماً لعظيم ثوابه والأفضل تحريها»<sup>٢</sup>.

وقال القرطبي رحمه الله: «لأن الله سبحانه إذا عظم شيئاً من جهة واحدة صارت له حرمة واحدة، وإذا عظمه من جهتين أو جهات صارت حرمة متعددة فيضاعف فيه العقاب بالعمل السيئ كما يضاعف الثواب بالعمل الصالح. فإن من أطاع الله في الشهر الحرام في البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام. ومن أطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه في شهر حلال في بلد حلال. وقد أشار تعالى إلى هذا بقوله تعالى: **{يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين}** .

وقد سئل الشيخ ابن باز رحمه الله: هل تضاعف السيئة في مكة مثل ما تضاعف الحسنة؟ وماذا تضاعف في مكة دون غيرها؟

فأجاب: «الأدلة الشرعية دلت على أن الحسنات تضاعف في الزمان الفاضل مثل رمضان وعشر ذي الحجة، والمكان الفاضل كالحرمين، فإن الحسنات تضاعف في مكة مضاعفة كبيرة. وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه

١ - المجموع، (٦/٢٣٧).

٢ - المنهاج القويم، (ص: ٢٤١).



قال: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في ما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في مسجدي هذا» فدل ذلك على أن الصلاة بالمسجد الحرام تضاعف بمائة ألف صلاة فيما سوى المسجد النبوي، وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم خير من ألف صلاة فيما سواه سوى المسجد الحرام، وبقيّة الأعمال الصالحة تضاعف، ولكن لم يرد فيها حد محدود إنما جاء الحد والبيان في الصلاة، أما بقيّة الأعمال كالصوم والأذكار وقراءة القرآن والصدقات فلا أعلم فيها نصاً ثابتاً يدل على تضعيف محدد، وإنما فيها في الجملة ما يدل على مضاعفة الأجر وليس فيها حد محدود. والحديث الذي فيه: «من صام رمضان في مكة كتب الله له مائة ألف رمضان» حديث ضعيف عند أهل العلم.

والحاصل: أن المضاعفة في الحرم الشريف بمكة لا شك فيها (أعني مضاعفة الحسنات) ولكن ليس في النص فيما نعلم حداً محدوداً ما عدا الصلاة، فإن فيها نصاً يدل على أنها مضاعفة بمائة ألف كما سبق.

أما السيئات فالذي عليه المحققون من أهل العلم أنها لا تضاعف من جهة العدد ولكن تضاعف من جهة الكيفية، أما العدد فلا؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ فالسيئات لا

١ - مراد الشيخ رحمه الله بالكيفية لا العدد؛ أي أن السيئة الواحدة تبقى واحدة حتى في الحرم فلا تتضاعف عدداً كما تتضاعف الحسنات، ولكنها تتضاعف باعتبار أن العاصي قد ارتكبها في مكان أو وقت فاضل يلجأ الناس فيه إلى ربهم، فانصرافه عن الطاعة في هذه الأمكنة إلى العصيان يعتبر علامة على استهتاره وعصيانه وفساد حاله والذي يستوجب من باب العدل تضعيف الإثم عليه، وسيوضح ذلك للقارئ في ثنايا كلام الشيخ في تنمة الفتوى.

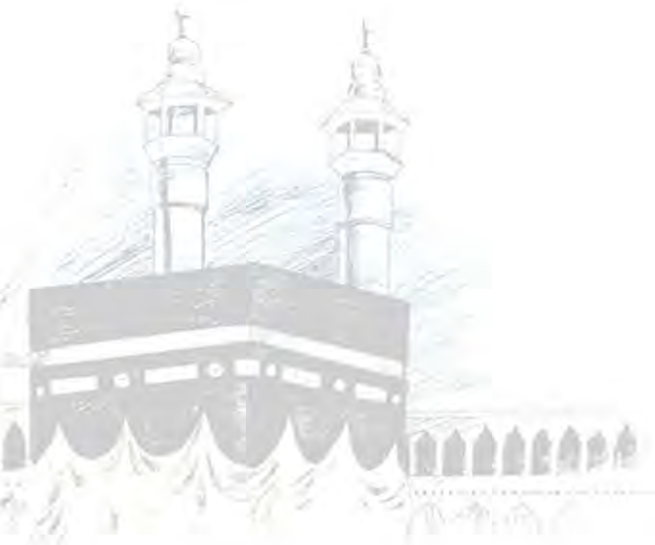
تضاعف من جهة العدد لا في رمضان ولا في الحرم ولا في غيرهما، بل السيئة بوحدة دائماً، وهذا من فضله سبحانه وتعالى وإحسانه.

ولكن سيئة الحرم وسيئة رمضان وسيئة عشر ذي الحجة أعظم في الإثم من حيث الكيفية لا من جهة العدد، فسيئة في مكة أعظم وأكبر وأشد إثمًا من سيئة في جدة والطائف مثلاً، وسيئة في رمضان وسيئة في عشر ذي الحجة أشد وأعظم من سيئة في رجب أو شعبان ونحو ذلك، فهي تضاعف من جهة الكيفية لا من جهة العدد.

أما الحسنات فإنها تضاعف كيفية وعدداً بفضل الله سبحانه وتعالى، ومما يدل على شدة الوعيد في سيئات الحرم وأن سيئة الحرم عظيمة وشديدة قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فهذا يدل على أن السيئة في الحرم عظيمة وحتى ألهم بها فيه هذا الوعيد<sup>١</sup>.

ولعل هذا التذكير مناسب لأن نختم به المواقف المعاصرة لعل الله تعالى أن يجعله سببها، فييسر لنا اغتنام مواطن مضاعفة الحسنات بمنه وكرمه.

١ مجموع فتاوى ابن باز، (١٧/١٩٧).



## ملحق (١)

### متفرقات تراثية في الحج

نعرض في هذا الملحق بعض اللطائف التي وقفنا عليها خلال بحثنا في لطائف الحج، وهي وإن كانت يمكن من حيث الترتيب أن تُضم تحت ما سبق من أقسام، ولكننا آثرنا إفرادها بهذا الملحق إذ تمتاز عن سواها بكونها إنما وردت في قرون الإسلام الأولى بخلاف ما نقلناه من لطائف، والتي أكثرها معاصرة، ولم نتجاوز في نقلنا عصور الإسلام المتأخرة، فنسوق هذه اللطائف مع التعليق عليها عند الحاجة.



## لطيفة لعمر بن أبي ربيعة



ما دام الكلام عن الحج والبلد الحرام وقد قرناه مع اللطائف والرقرة والفكاهة والنادرة، فليس يحسن بنا أن نختم رحلتنا بغير التعرّيج على لطيفة ونادرة في الحج لأحد أطف شعراء مكة وأرقهم شعراً، نعني: عمر بن أبي ربيعة والذي اجتمعت فيه متناقضات الإنسان، الخير والشر، فكان الشرم منه حال شبابه في تشبيهه وغزله، ثم استقر أمره على الخير إذ تزهد وتنسك وتاب، ونذر لله تعالى أن يعتق رقبة عن كل بيت يقوله، وقد حافظ في توبته على روح العاشق مرهف الحس فكان له هذا الموقف المشتهر، والذي نسوقه إليك:

حج عمر بن أبي ربيعة، فبينما هو يطوف بالبيت إذ نظر إلى فتى من نمير يلاحظ جارية في الطواف؛ فلما رأى ذلك منه مراراً، أتاه، فقال له: يا فتى، أما رأيت تصنع؟



فقال له الفتى: يا أبا الخطاب لا تعجل عليّ؛ فإن هذه ابنة عمي، وقد سُميت لي، ولست أقدر على صداقتها، ولا أظفر منها بأكثر مما ترى؛ وأنا فلان بن فلان، وهذه فلانة ابنة فلان. فعرفهما عمر، فقال له: اقعد يا ابن أخي عند هذه السارية حتى يأتيك رسولي.

ثم ركب دابته حتى أتى منزل عمّ الفتى، ففرغ الباب فخرج إليه الرجل، فقال: ما جاء بك يا أبا الخطاب في مثل هذه الساعة؟ قال: حاجة عرضت قبلك في هذه الساعة. قال: هي مقضية. قال عمر: كائنة ما كانت؟ قال: نعم! قال: فإني قد زوجت ابنتك فلانة من ابن أخيك فلان، قال: فإني قد أجزت ذلك. فنزل عمر عن دابته، ثم أرسل غلاماً إلى داره فأتاه بألف درهم فساقها عن الفتى<sup>١</sup>، ثم أرسل إلى الفتى فأتاه، فقال لأبي الجارية: أقسمت عليك إلا ما ابنتي بها هذه الليلة! قال له: نعم، فلما أدخلت على الفتى انصرف عمر إلى داره مسروراً بما صنع، فرمى بنفسه على فراشه وجعل يتململ، ووليدة<sup>٢</sup> له عند رأسه، فقالت: يا سيدي، أرقت هذه الليلة أرقاً لا أدري ما دهمك؟

فأنشأ يقول:

تقول وليدتي لَمَّا رأتني ... طرِبتُ وكنْتُ قد أقصرتُ حيناً

أراك اليومَ قد أحدثت شوقاً ... وهاج لك الهوى داءً دفيناً

١ - كنية عمر بن أبي ربيعة.

٢ - فساقها عن الفتى: أي تحمل المهر ودفعه لأهل الفتاة نيابة عن الفتى.

٣ - وليدة: جارية.

وكنْتَ زعمت أنك ذا عزاء ... إذا ما شئتَ فارقتَ القرينا  
 بعيشِكَ هل رأيتَ لها رسولاً ... فشاقتك؟ أم لقيتَ لها خديناً؟<sup>١</sup>  
 فقلت: شكا إليّ أخٌ محبٌ ... كبعض زماننا إذ تعلمينا  
 فقصْ عليّ ما يلقي بهنْدٍ ... يندكُّ بعض ما كنا نسينا  
 وذو القلب المصاب وإن تعزّي ... مشوقٌ حين يلقي العاشقينا  
 ثم ذكر يمينه، فاستغفر الله، وأعتق رقبة لكل بيت<sup>٢</sup>.

### الفوائد الفقهية والوعظية :

من الفوائد التي يمكن أن نغتمها من أحداث القصة:

- إن الشفاعة في النكاح مما يستجد من الرجل الشريف ذي المروءة، وليس يغيب عنا في هذا الموطن الاستشهاد بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري من طريق ابن عباس إذ شفع في مغيث إلى بريرة<sup>٣</sup>، قال الصنعاني: «التناكح محبوب لله سبحانه، فالشفاعة فيه من أفضل الشفاعة»<sup>٤</sup>.
- ومن أهم ما يستفاد من القصة عدم اليأس من استقامة المسرف، فهذا عمر بن أبي ربيعة الذي ملأ الأرض شعراً في التشبيب بالنساء، حتى قيل: «ما عصي الله

١ - قال ابن سيده: الخدين، والخدين: الصاحب المحدث، والجمع: أخدان، وخذناء. المحكم (٥/١٤٢).

٢ - العقد الفريد (٦/٢٣١).

٣ - صحيح البخاري، (٥٢٨٣).

٤ - التنوير شرح الجامع الصغير (٤/١١٨).

بشعر أكثر مما عَصِي بشعر ابن أبي ربيعة؛ انقلب حاله إلى الزهد والتنسك، وهَجَرَ الشعر حتى إنه نذر لله أن يعتق رقبة إن قال بيتاً، فسبحان مقلب القلوب، بل ومما يروى في شأن وفاة ابن أبي ربيعة أن حياته قد ختمت بالشهادة، وذلك أنه غزا في البحر فأحرقوا السفينة وكان عمر بن أبي ربيعة ممن احترق فيها، فرحمه الله تعالى وغفر له.



## أبي رجل يحتال لنفسه !



حكى عن الأصمعي أنه قال: «سمعت أعرابياً وهو يقول في الطواف: اللهم اغفر لأمي. فقلت له: مالك لا تذكر أباك؟ فقال: أبي رجل يحتال لنفسه<sup>١</sup>، وأما أمي فبائسة ضعيفة<sup>٢</sup>».

### الفوائد الفقهية والوعظية :

يصدق في هذه الطرفة ما ذكرناه سابقاً من ضرورة تعلم آداب الدعاء وما الذي يحسن في خطاب العبد لربه، ولكن اختصت لطيفة الأعرابي بما بدر منه من نكران لجميل أبيه، فضنَّ عليه بالدعاء وإن كان بذريعة أنه رجل وبالتالي فهو أقوى وأقدر من المرأة؛ والذي يبقى تبريراً غريباً وغير معتاد.

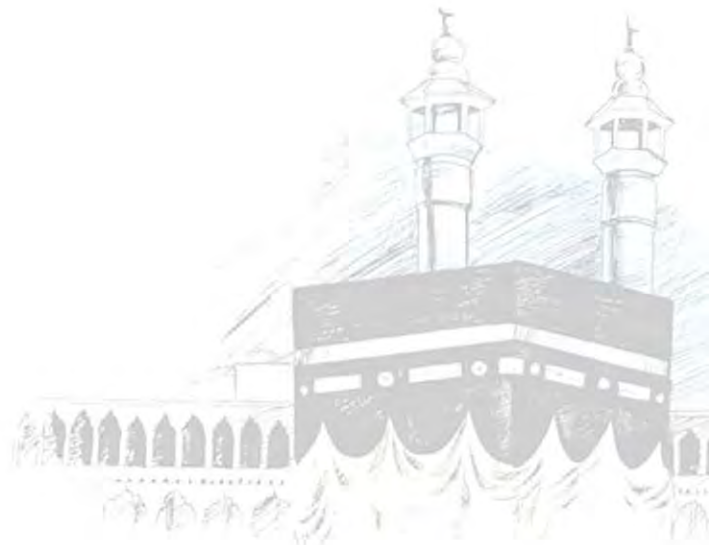
١ - يحتال لنفسه: أي له من القوة والحنق ودقة النظر ما يمكنه من إدراك مطلوبه، انظر: لسان

العرب، (١٨٥/١١).

٢ - العقد الفريد (٤ / ٦٩).



والذي غاب عن الأعرابي أن من البر الدعاء لمن تحب، أو لمن أسدى إليك معروفًا،  
حتى وإن كان المدعو له غنياً عن الداعي، فإن ذلك من الوفاء والمرءة والبر، ووالدك  
من أحق الناس ببرك ووفائك.



## جئتك مستجدياً لا مستفتياً !

اعترض رجلُ المأمونَ فقال: يا أمير المؤمنين، أنا رجل من العرب، قال: ما ذاك بعجب، قال: واني أريد الحج، قال: الطريق أمامك نهج، قال: ليست لي نفقة، قال: قد سقط عنك الفرض، قال: إني جئتك مستجدياً لا مستفتياً، فضحك وأمر له بِصِلَةٍ.

### الفوائد الفقهية والوعظية :

جواب المأمون «سقط عنك الفرض» يقودنا للحديث عن وجوب الحج، ما من مسلم إلا ويعلم أن الحج يجب على المستطيع، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧)، فمن كان قادراً على الحج فملك المال وتيسرت له وسيلة السفر وليس يمنعه عن الحج مانع، فالحج واجب عليه، أما من لم تتحقق فيه شروط الاستطاعة فلم يملك المال مثلاً؛ فلا يجب عليه أن يسعى لجمعه ولا يأثم إن لم يفعل، وهذا للفرق بين الواجب والوجوب، فما تعلق في الذمة وصار واجباً فينبغي تحقيق شروطه إذ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كالوضوء لمن وجبت عليه الصلاة، أما ما لم يتعلق بالذمة كالزكاة للفقير الذي لا يملك النصاب، فلا يجب عليه أن يسعى لجمع المال ليبلغ به النصاب ولا يأثم إن لم يفعل.

سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: هل يجب على المسلم أن يجمع ما لا لكي يزكي، وهل يجب عليه إذا تم الحول على نصاب من المال، أن يقوم بما يلزم لإخراج الزكاة؟

فأجاب: «لا يجب عليه جمع المال ليزكيه، ويجب عليه إذا حال الحول على نصاب من المال أن يقوم بما يلزم لإخراج زكاته.

والفرق بينهما أن ما لا يتم الوجوب إلا به فليس بواجب، وأما ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؛ فتحصيل المال ليزكي «تحصيل لوجوب الزكاة وليس بواجب»<sup>١</sup>.  
وسئل أيضاً: هل يجب على الزوجة الغنية التي ليس لها محرم يحج بها أن تتزوج ولو كانت عجوزاً لفرض الحج؟

فأجاب رحمه الله بقوله: «لا يجب عليها لأن القاعدة عند العلماء (أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما لا يتم الوجوب إلا به فليس بواجب) فهذه المرأة لا يجب عليها الحج لكن لو تزوجت وصار محرماً وجب عليها الحج، فلا يجب عليها أن تحصل على محرم كما نقول: لا يجب على الرجل أن يتجر من أجل أن تجب عليه الزكاة، ولا يجب عليه أيضاً أن يتجر من أجل أن يجب عليه الحج، فهنا فرق بين ما لا يتم الواجب إلا به، وما لا يتم الوجوب إلا به، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما لا يتم الوجوب إلا به فليس بواجب، وعليه فنقول هذه المرأة: لا يجب عليها أن تطلب الزوج من أجل أن يكون لها محرم فتحج»<sup>٢</sup>.

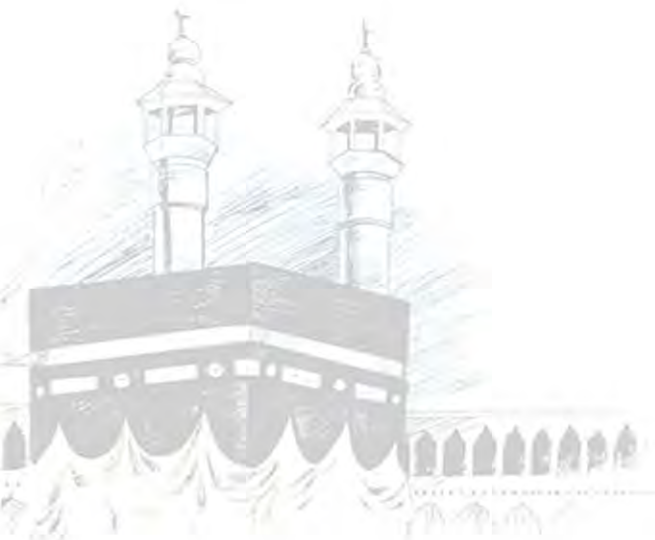
وقال الشيخ المعلمي رحمه الله: «المسألة الثالثة: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وذلك كغسل شيء من حدود الوجه مع الوجه، والسفر لأداء الحج، وتحصيل ما يستر العورة وسترها للصلاة، ونحو ذلك.

١ - الشرح الممتع على زاد المستقنع (٦ / ٩٦).

٢ - مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢١ / ٢٢٣).

فإن الرجل إذا كان هو وولده خارج حجرة مقللة فيها مصحف، وهو يعلم ذلك كله، وقال لولده: ناوئني المصحف؛ علم من هذا الأمر أمره بالحركة إلى الحجرة وفتحها ونحو ذلك مما لا بد منه للتوصل إلى مناولة المصحف.

فأما ما لا يتم الوجوب إلا به فلا يجب؛ فالتوبة من الذنب واجبة، ولا يتم وجوبها إلا بإتيان الذنب، وليس بواجب. وقضاء الدين واجب، ولا يتم وجوبه إلا بأخذ الدين، وليس بواجب. وهكذا تحصيل النصاب للزكاة، وغيره.





## اكتب إليهم ليؤخروه !

خرج إسحاق بن مسلم العقيلي مع أبي جعفر المنصور إلى مكة فأمعن في السير وطوى المراحل، فقال إسحاق: إنا قد هلكتنا يا أمير المؤمنين، فما هذه العجلة؟ قال: نخاف أن يفوتنا الحج، قال: فاكتب إليهم ليؤخروه عدة أيام.

## الفوائد الفقهية والوعظية :

يشير على الخليفة بتأخير الحج، وكان ذلك بيد الخليفة! فلحج زمان فرضه الله على عباده لا تصح الفريضة في غيره، قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ (البقرة: ١٩٧)، وقد أجاب الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن سؤال: ما هي مواقيت الحج الزمانية؟ وهل للعمرة ميقات زمني؟

فقال: «مواقيت الحج الزمانية تبتدىء بدخول شهر شوال، وتنتهي إما بعشر ذي الحجة أي بيوم العيد، أو بآخر يوم من شهر ذي الحجة وهو القول الراجح لقول الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ وأشهر جمع، والأصل في الجمع أن يراد به حقيقته، ومعنى هذا الزمن أن الحج يقع في خلال هذه الأشهر الثلاثة، وليس يُفعل في أي يوم منها، فإن الحج له أيام معلومة، إلا أن مثل الطواف والسعي - إذا قلنا بأن شهر ذي الحجة كله وقت للحج - فإنه يجوز للإنسان أن يؤخر طواف الإفاضة وسعي الحج لآخر يوم من شهر ذي الحجة، ولا يجوز له أن يؤخرهما عن ذلك، اللهم إلا لعذر، كما

لو نَفَسَتِ المرأة قبل طواف الإفاضة وبقي النفس عليها حتى خرج ذِي الحجة فهي معذورة في تأخير طواف الإفاضة، هذه هي المواقيت الزمانية للحج. أما العمرة فليس لها ميقات زمني، فتُفعل في أي يوم من أيام السنة، لكنها في رمضان تعدل حجة، وفي أشهر الحج اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم فكل عُمَرِهِ عليه الصلاة والسلام في أشهر الحج، فعمرة الحديبية كانت في ذِي القعدة، وعمرة القضاء كانت في ذِي القعدة، وعمرة الجعرانة كانت في ذِي القعدة، وعمرة الحج كانت مع الحج في ذِي القعدة. وهذا يدل عن أن العمرة في أشهر الحج لها مزية وفضل لا اختيار النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأشهر لها<sup>١</sup>.



## للحجاج حين أراد الحج !

خطب الحجاج حين أراد الحج فقال: أيها الناس إنني أريد الحج، وقد استخلفت عليكم ابني هذا، وأوصيته بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنصار؛ إن رسول الله أوصى أن يقبل من محسنهم، وأن يتجاوز عن مسيئهم؛ وإنني أمرته ألا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم. ألا وإنكم ستقولون بعدي مقالة لا يمنعكم من إظهارها إلا مخافتي، ستقولون بعدي: لا أحسن الله له الصحابة! ألا وإنني معجل لكم الجواب: لا أحسن الله لكم الخلافة، ثم نزل<sup>١</sup>.

### الفوائد الفقهية والوعظية :

هذه الطرفة من جملة الطرائف التي تنقل عن حال الناس مع الحجاج، وكيف كان يسوسهم بالشدّة والقسوة، والتي قطعاً ستلقى تبرماً من الناس وبغضاً منهم لتلك الشدة وللحاكم بها.

وينبغي لمن ولي من أمر المسلمين شيئاً أن يرفق بهم، وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن رفق بالمسلمين فقال: «اللهم، من ولي من أمّتي شيئاً فشقّ عليهم، فاشقّق عليه، ومن ولي من أمّتي شيئاً فرفق بهم، فارفق به»<sup>٢</sup>، ويصدق ذلك على كل أنواع الولايات، حاكم وشعب، مدرس وتلاميذ، مدير وموظفين، فكل تلك الصور وما شابهها نرجو أنها مشمولة بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١ - عيون الأخبار، (٢/٢٦٧).

٢ - صحيح مسلم، (١٨٢٨).



يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وهذا دعاء من النبي صلى الله عليه وسلم على من تولى أمور المسلمين الخاصة والعامة؛ حتى الإنسان يتولى أمر بيته، وحتى مدير المدرسة يتولى أمر المدرسة، وحتى المدرس يتولى أمر الفصل، وحتى الإمام يتولى أمر المسجد.

ولهذا قال: «من ولي من أمر أمتي شيئاً، وشيئاً» نكرة في سياق الشرط، وقد ذكر علماء الأصول أن النكرة في سياق الشرط تفيد العموم؛ أي شيء يكون، «فرفق بهم فارفق به»، ولكن ما معنى الرفق؟

قد يظن بعض الناس أن معنى الرفق أن تأتي للناس على ما يشتهون ويريدون، وليس الأمر كذلك؛ بل الرفق أن تسير بالناس حسب أمر الله ورسوله، ولكن تسلك أقرب الطرق وأرفق الطرق للناس، ولا تشق عليهم في شيء ليس عليه أمر الله ورسوله، فإن شققت عليهم في شيء ليس عليه أمر الله ورسوله؛ فإنك تدخل في الطرف الثاني من الحديث؛ وهو الدعاء أن الله يشق عليك والعياذ بالله، يشق عليه إما بأفات في بدنه، أو في قلبه، أو في صدره، أو في أهله، أو في غير ذلك؛ لأن الحديث مطلق «فاشقق عليه» بأي شيء يكون، وربما لا تظهر للناس المشقة، وقد يكون في قلبه نار تلظى والناس لا يعلمون، لكن نحن نعلم أنه إذا شق على الأمة بما لم ينزل به الله سلطاناً؛ فإنه مستحق لهذه الدعوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

## ملحق (٢)

## «الوفاء قيمة فطرية حتى عند وحوش البشر»

وحديثنا عن الوفاء هنا إنما هو وفاء بالوعد الذي قطعناه على أنفسنا عند كلامنا عن خلق الوفاء في قصة «الحاج زغبوط»، فنذكر شاهداً حديثاً على خلق الوفاء وتأثيره في شرار الخلق فضلاً عن خيارهم، مقروناً بتفصيل مستوعب لأبعاد قيمة الوفاء وأثرها كنا قد ذكرناه في كتابنا «مريون من بلدي»، وآثرنا إعادته هنا لتمام الفائدة ولكونه مكماً لما سبق ومعضداً له، فنقول:

«قد حملت الشواهد الحديثة من لطائف الوفاء من حيث كونه قيمة تؤثر في الكبير والصغير، وفي الطيب من الناس والشرير... ومن العجب أنها تهزكيان بعض الأنفس البشرية ولو كانت سيئة العمل شريرة الأفعال.

ومن الطريف حادثة رواها لي شخصياً العم صالح حمد العيسى نقلاً مباشراً عن والده الحاج حمد عبد الله العيسى رحمه الله تعالى والقصة بارزة النتيجة...

وخلصتها أن الوفاء قد يفرض نفسه حتى على قطاع الطرق والوحوش من البشر.

ولد الحاج حمد العيسى عام ١٨٧٧م، وأخذ يتاجر وهو شاب بين القرى والمدن، فهو

مثل غيره ينقل التمر من قرىتي «الحريج» و«الحوطة» جنوب مدينة الرياض لبيعها

في قرية «القوية» ثم يعود محملاً أزواده بالملح لبيعه. وهكذا، وقد كان المسافرون

لا يرحلون في الصحراء إلا جماعات تسمى «خبرات» وواحدتها: «خبرة»، وأقلها ثلاثة

أو أربعة مسافرين.

وفي إحدى سفراته خرج في «خبرة» مع قوم يعرفهم ويعرفونه جيداً إلا مرافق لهم ... فلم يعرفه منهم أحد ... وبعد صلاة العشاء وتناول طعام العشاء حان موعد الهجيع الليلي فتساءل المسافرون في الخبرة: «هل تعرفون الرجل؟» ولم يعرفه حينها أحد فقالوا: «أيها الغريب ... أنت من الجنوب ... وقد أتيت لسرقتنا كما سبق لكثير من جماعتك من أهل الجنوب فقد سرقوا الكثير من الخبرات قبلنا، فعد من حيث أتيت ولا تخرج معنا»، وكان فعلاً موقفاً محرراً للجميع، فرد الرجل الجنوبي والذي كان يدعى «محماس» على الفور: «والله لن أعود، ولقد كنت أنتظر الخبرة منذ شهرين لكي أعود إلى أهلي وجماعتي فافعلوا ماشئتم» ولما عجزوا عن إقناعه بالعودة طلبوا منه أن يمشي معهم في النهار، ولكن يوثقوه بالليل حين يهجعون لكي لا يسرقهم كما سرق غيره أصحابهم في الخبرات السابقة، فوافق من فوره على ذلك قائلاً: «هذا حقكم»، فلما عزموا على ذلك احتج عليهم أحدهم وهو المرحوم الحاج حمد عبد الله العيسى رحمه الله قائلاً: «يا جماعة ... هذا ليس من شيمة العرب ... الرجل يسافر معنا ... أكلاً شارباً ... ويشاركنا كل شيء في النهار ... ونأتي لنشد وثاقه بالليل ... أنا لا أرى ذلك»، فقالوا: «إذا أنت تكفله؟»، فقال: «نعم أنا كفيله حتى تعودوا إلى القويعة»، فوافقوا على ذلك، فأكبر الرجل الغريب «محماس» هذا الصنيع وأسرّه في نفسه، فلما وصلوا جميعاً إلى الحريج والحوطة ليبيعوا بضائعهم نزل محماس ضيفاً على العم حمد ثلاثة أيام كما هي عادة العرب من أداء حقوق الضيف ... وبعد ذلك فاتح محماس العم حمد: «والله لقد عرفت شهامتك ومروءتك ولوؤم أصحابك ... فهل انتهت كفالتك لي عندهم؟ لأنني عازم أن أسرق

دوابهم فور انتهاء كفالتك لكي يتأدبوا من سوء ما صنعوا». فرد العم حمد على الفور: «لا.. لقد كفلتهم حتى يعودوا إلى القويعية»، فقال محماس: «والله يا حمد لو كفلتهم طوال حياتك ما مددت يدي على شيء يملكونه فلك ذلك».

ومضت الأيام ودار الزمان دورته ... وما هي إلا سنون حتى جذبت أرض الشمال ... بينما أريعت في الجنوب، فأرسل الحاج عبد الله العيسى ولده حمد إلى الجنوب لكي يشتري مئتي رأس غنم ليتاجر بها في الشمال تمهيداً لتوفير مستلزمات عيد الأضحى المبارك. وقد بحث حمد له عن «خوي» أي مرافق من قبيلة قحطان التي يكثر منتسبوها في الجنوب، حيث إن الخبرات وكل القوافل التجارية تصحب معها مرافقاً من أبناء القبائل التي ستمر عبر الأراضي التي تقطنها من باب الحماية والولاء ... فلا يصيبها شيء من هذه القبيلة ما دامت استجارت بهذا المرافق، وتلك كانت القيم السائدة والمتبعة، وحين لم يجد «الخوي» أي المرافق سافر إلى منطقة «تثليث» حيث الغنم الجيدة، وهناك حدث ما لم يكن في الحسبان، إذ طلع عليه وعلى أبنائه ومرافقيه ستون بعيراً كل بعير يحمل رجلين مسلحين ... فأدرك حمد لأول وهلة أنه لا طاقة له بالقوم إذ لم يكن هو ومرافقوه يحملون سوى بنادق بسيطة للدفاع عن النفس ... فأمرهم بالجلوس أرضاً دون مقاومة فسلب القوم دوابهم وأغنامهم التي اشتروها من «تثليث» وسلبوا حتى ثيابهم إلا ما يستر العورة، ولما سلب أحدهم «شماغ» حمد من على رأسه، بان وجهه وهو يسترجع ويحوقل، فلمحه رجل منهم فعرفه وسأله: «أنت حمد؟» فقال: «نعم» فصاح صيحات مدوية في الفضاء لافتاً أنظار صحبه من قطاع الطرق ... وكان هذا أسلوب التنادي بينهم،

فلما اجتمعوا حوله أقسم عليهم أن يردوا كل ما أخذوه ... فإذا الرجل هو محماس الذي وقف معه حمد العيسى موقف الرجولة والشهامة ... فنذكره وما نسيه قط. وعندما علم القوم نبأ صاحبهم محماس ضربه، وهذا هو الأسلوب المتبع بين مثل تلك الأقوام، وذلك ليثنوه عن إجارته للرجل المسلوب ويجربوا عزمه وتأكيد، فلعله يثني عن إجارته للرجل الغريب عنهم وعنه فيسلموا بالغنيمة المسلوبة. فقال: «اضربوني إن شئتم وكيف شئتم فأنتم أبناء عمومتي ولكم أن تصنعوا بي ماتشاعون ولكني لن أسمح لكم بأن تمسوا شيئاً صغيراً كان أو كبيراً لهذا الرجل مادمت حياً»، فسأله: «ما خطبك والرجل؟» فأجابهم بما حدث من سنوات من نبأ حمد العيسى معه في الخبرة ... فأقروه على ذلك وقدروا نبل حمد وحسن صنيعه وشهامته كما قدروا الوفاء في صاحبهم رغم أنهم جميعاً قطاع طرق.

وهنا اهتز كيان حمد ... وشعر بلطف الله تعالى به ويرفقه وأدرك جلياً قول الله تعالى: **{إِنَّهُ يَصْعَدُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ يَرْفَعُهُ}** <sup>١</sup>، ولما طابت نفسه قدم لمحماس زاده من التمر ليأكل القوم وتطيب نفوسهم ويذوقوا من الزاد، فقاطعه محماس قائلاً: «والله ما يأكلونه ولا يذوقونه»، فقدم له حمد بعض الدراهم التي كانت معه (أربعين ريالاً) لتطيب نفسه، فاعتذر بشدة رغم أنها كانت بطيب نفس من حمد ... بل إنه رافقه وبعض أبناء عمومته حتى خرج من حمى القبيلة وحدودها وأراضيتها.

إنها حقاً قصة عجيبة أبرزت ثمرة الوفاء ... وأنه نبتة تخرج بين الأحجار الصلدة في الصحاري القاحلة كما كان من نبا أولئك القوم من المفسدين في الأرض قطاع الطرق الذين كان الوفاء سبباً في رجوعهم عن المغنم الوفير.

وإذا كان الوفاء للعبد مطلوباً ومحموداً، فإن الوفاء لله - عز وجل - أجل أنواعه، وهو صفة الأخيار الأبرار فقد قال تعالى: **{بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}**<sup>١</sup>، وقال أيضاً: **{إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ}**<sup>٢</sup>، وقال عز من قائل: **{وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}**<sup>٣</sup>.

والوفاء بالعهد في أمثال هذه الآيات الكريمة يشمل الوفاء بمختلف أنواع العهد بين الناس، سواء أكان عهداً مادياً أم معنوياً، حالاً أم مؤجلاً، ويشمل كذلك الوفاء بعهد الله تبارك وتعالى، ولذلك جاء في تفسير المنار هذه العبارة: «العهد ما تلتزم الوفاء به لغيرك، فإذا اتفق اثنان على أن يقوم كل منهما للآخر بشيء مقابلة ومجازاة، يقال إنهما تعاهدا، ويقال: عاهد فلان فلاناً عهداً، فيدخل فيه العقود المؤجلة والأمانات، فمن ائتمنك على شيء أو أقرضك مالاً إلى أجل، أو باعك بثمن مؤجل، وجب عليك الوفاء بالعهد، وأداء حقه إليه في وقته، من غير أن تلجئه إلى التقاضي والإلحاح في الطلب، بذلك تقضي الفطرة، وتحتمه الشريعة، وهذا مثال العهد في

١ - آل عمران، (٧٦).

٢ - الرعد، (٢٠).

٣ - الفتح، (١٠).

الناس»، ثم قال : «ويدخل في الإطلاق عهد الله تعالى، وهو ما يلتزم المؤمن الوفاء له به من اتباع دينه، والعمل بما شرعه على لسان رسوله، وعهد للناس العمل به»<sup>١</sup>.  
 وبعد هذا العرض المفصل عن الوفاء نقول: إن صنائع المعروف مهما بلغت في سموها ونبالتها، فلن تبلغ ما يقدمه المعلم من تهذيب النفوس، وتقويم الأخلاق، وتثقيف اللسان. فهو يهدي للنفوس مكارم الأخلاق، ويهدي للأمم الأجيال الصالحة.  
 فمن الذي سيضي بحق المعلم، الأفراد أم الأمم؟ فعش أيها المعلم في نفوس الطفولة البريئة مغذياً لها بالمكارم، وعش في أحلام الشباب اليافع موجهاً للخير، وعش في قلوب الكهول والشيب محققاً ثمرات يانعة. وصدق من قال : «من علمني حرفاً كنت له عبداً، إن شاء أعتق، وإن شاء أمسك».

واني لأرتئي لك اسماً يليق بك : فأنت المربي والمعلم.

فإلى رواد حضارتنا الثقافية أقدم هذه المعاني النبيلة في الوفاء، فلتقر عينكم، فنحن غرسكم الذي انتظرتموه وقد أثمر إن شاء الله تعالى، وها نحن كما أردتمونا على دروب العلم، نكمل المسيرة التي بها تقر عينكم، ولن نجد معنى للوفاء يفي بحقكم إلا أن نتم ما بدأتموه ونُعَلِّي بناء ما أسستموه وندين لكم ما حيينا بعرفان الجميل، وعلو المقام، وسبق الريادة.

ولن ننسى في هذا المقام أيضاً تلك النعمة الكبرى التي من الله تعالى بها علينا، وهي نعمة التحرير والنصر بعد غدر الجار واحتلاله أرضنا الطاهرة. فوفاء لهذا النصر وهذا التحرير، ووفاء للعهد الذي قطعناه على أنفسنا في أثناء الاحتلال،

ونحن لا نملك إلا سلاح الدعاء والالتجاء إلى الله سبحانه الذي يسر لنا عودة بلادنا إلينا، يجب علينا مقابلة هذه النعمة بالتمسك بدينه، والعمل لشرعه وتعاليمه.

### أخي القارئ الكريم :

إن الوفاء رمز من رموز النبل والشرف والرفعة وهو كذلك دليل الثقة بالله تعالى وبالنفس، وهو مؤشر على الأصالة والاعتدال والخلق الرفيع، وهو متعدد متفرع شامل لحياة الإنسان بكل صلاته. ولعل خير ما نختم به حديثنا بعض الالتزامات والتوصيات فيه وهي:

**أولاً:** يقتضي وفاؤك لأخيك في الله تعالى أن تراعي جميع أصدقائه وأقاربه المتعلقين به.

**ثانياً:** من الوفاء ألا يتغير حال الإنسان في التواضع لأخيه وإن ارتفع شأنه، أو عظم جاهه. والشاعر يقول :

**إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن**

**ثالثاً:** من لوازم الوفاء أن يجزع الإنسان لفراق أخيه.

**رابعاً:** من لوازم الوفاء ألا يصادق الإنسان عدو أخيه.

**خامساً:** أجل أنواع العهد عهد الحياة الزوجية الذي يقول عنه القرآن الكريم مخاطباً الأزواج: **{ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا }<sup>١</sup>.**



ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: « أحق ما أوفيتم به من الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج »<sup>١</sup>.

وإذا كان القرآن الكريم يطلب منا الوفاء بالعهود، فإن هذا الوفاء ملزم لنا ما لم يكن الأمر المتعاقد عليه مخالفاً لأمر الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام.

والأولى بالإنسان أن يقول عند إعطاء الوعد: «إن شاء الله»، وأن ينوي الوفاء؛ به في عزم، ومن عزم على الوفاء، ثم عرض له مانع وعذر مقبول من الوفاء لم يكن منافقاً. ولقد كان الوفاء شاخصاً في مخيلتي عندما كنت أقدم للمستمع الكريم حلقات يومية من سلسلة برنامج: «مربون من بلدي»، وتأكيداً لهذا المعنى الجميل للوفاء ... وتقديرى بل تقديسي للوفاء ... فقد كنت أختتم كل حلقة إذاعية بخاتمة تدل على هذا المعنى الجميل لتذكير المستمع الكريم بأن هذه السلسلة لا نسوقها للثقافة فحسب بل لتكريس معنى الوفاء<sup>٢</sup>.

١ - صحيح البخاري، (٥١٥١).

٢ - مربون من بلدي، (ص: ٢٢-٢٥).



## الخاتمة

هذا ما يسر الله تعالى لنا الوقوف عليه من لطائف الحج والعمرة وما فتح الله سبحانه به علينا من فوائد اندرجت تحتها، ونحن إذ بلغنا ختام رحلتنا فلن نغاير في الطريقة والأسلوب، بل نختم بطرفة ذكرها ابن الجوزي رحمه الله، فقال: «قال رجل لرجل: إن لطمتك لطمة لأبلغن بك المدينة، فقال له: فأحب أن تردفها بأخرى لعل الله تعالى أن يرزقني الحج على يدك»<sup>١</sup>.

نقول: قد بلغ من تعلق ذلك الرجل بالحج أن يتمنى لطمة تقوده إليه، ونحن والله نحب حج بيته وزيارته، ولكننا نفارق ذلك الرجل بأننا نتمنى أن يكتب الله لنا زيارة بيته بغير سوء ولا ضرر، بل بعافية منه وتوفيق ونعمة، ولعل الله تعالى أن يتفضل علينا بقبول دعائنا، فنعود محملين بلطائف ونوادر، والأهم أن نعود متخفزين من الذنوب والأوزار بمغفرة يمنُّ بها علينا الرحيم الغفار سبحانه وتعالى.

ولعلنا هنا قد قدمنا جوانب من فقه الحج والعمرة ومواعظهما ولكن بأسلوب جديد يجعل الطرفة والنكتة والغرابة مدخلاً له، وهو كفيل بتقديم إضافة جديدة إلى المكتبة الإسلامية ضمن رصيد المصنفات المختصة بالحج والعمرة وسائر مسائلهما.

ونسأل الله تعالى أن نكون قد أصبنا الأجرين: أجر الاجتهاد وأجر الصواب.

والحمد لله رب العالمين

١ - الأذكياء لابن الجوزي، (ص: ١٤٧).



## المراجع

- روايات أصحاب الحج والمشرفين الدينيين والإداريين فيها.
- آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، تحقيق: د. علي العمران، الطبعة الأولى: ١٤٣٤هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.
- أحكام الحرم المكي، سامي بن محمد الصقير، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ١٤٠٢هـ، دار المعرفة، بيروت.
- الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح الحنبلي، د.ت، عالم الكتب، بيروت.
- أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، ١٩٨٦م، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- الاستنكار، أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أسد الغابة، عز الدين ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، ١٤٠٩هـ، دار الفكر، بيروت.
- الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي دمشقي، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين، بيروت.
- الإفادات والإنشادات، إبراهيم بن موسى الشاطبي الأندلسي، تحقيق: د. محمد أبو الأجضان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الأم، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ١٤١٠هـ، دار المعرفة، بيروت.

- أمالي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون، تحقيق: محمد عبد الجواد الأصمعي، الطبعة الثانية، ١٣٤٤هـ، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- البصائر والذخائر، أبو حيان علي بن محمد بن عباس التوحيدي، تحقيق: د. واد القاضي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، دار صادر، بيروت.
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، ١٤٢٣هـ، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض مرتضى محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تحقيق: مجموعة من المحققين، ١٩٦٥م، دار الهداية للنشر والتوزيع، الكويت.
- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الطبعة الثانية والعشرون، ١٤٢٥ هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
- التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر.

- تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، ١٩٩٠م، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الطبعة الأولى، ١٣٩٣-١٤١٤هـ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة.
- تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيترآن دوزي، ترجمة: محمد سليم النعيمي- جمال الخياط، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، وزارة الثقافة والإعلام، العراق.
- تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.
- التنوير شرح الجامع الصغير، أبو إبراهيم محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ، مكتبة دار السلام، الرياض.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، مصر.

- الجامع الكبير، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مختار إبراهيم الهائج - عبد الحميد محمد ندا - حسن عيسى عبد الظاهر، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، الأزهر الشريف، القاهرة.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- جامع مسائل ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: محمد عزيز شمس، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة.
- الحج والعمرة والزيارة، عبد الله بن محمد البصيري، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، هند.
- دليل الحاج والمعتمر وزائر مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، مجموعة من العلماء، ١٤١٩هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
- ذكريات، علي بن مصطفى الطنطاوي، تصحيح وتعليق: مجاهد مأمون ديرانية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٧هـ، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة.



- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، دار الرسالة العالمية، بيروت.
- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ١٩٩٨م، دار الغرب، بيروت.
- سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.
- السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: د. عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، مصر.
- سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخرساني النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية.



- شرح النووي على مسلم، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- شرح شافية ابن الحاجب، الرضي حسن بن محمد الحسيني الأستراباذي، تحقيق: د. عبد المقصود محمد عبد المقصود، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ، مكتبة الرشد، الرياض.
- شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي الحسني الفاسي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة، بيروت.
- صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- صيد الخاطر، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: حسن المساحي سويدان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، دار القلم، دمشق.
- الضحك، هنري برجسون، ترجمة: د. علي المقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر

- العقد الفريد، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي - د. إبراهيم السامرئي، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ، مطبعة العاني، بغداد.
- فتاوى اللجنة الدائمة، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد عبد الرزاق الدويش، د.ت، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة للطبع، الرياض.
- فتاوى نور على الدرب، محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، القصيم، المملكة العربية السعودية.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب، ١٣٧٩هـ، دار المعرفة، بيروت.
- فتح الباري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية.
- فصول في الثقافة والأدب، علي بن مصطفى طنطاوي، جمع وترتيب: مجاهد مأمون ديرانية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة.

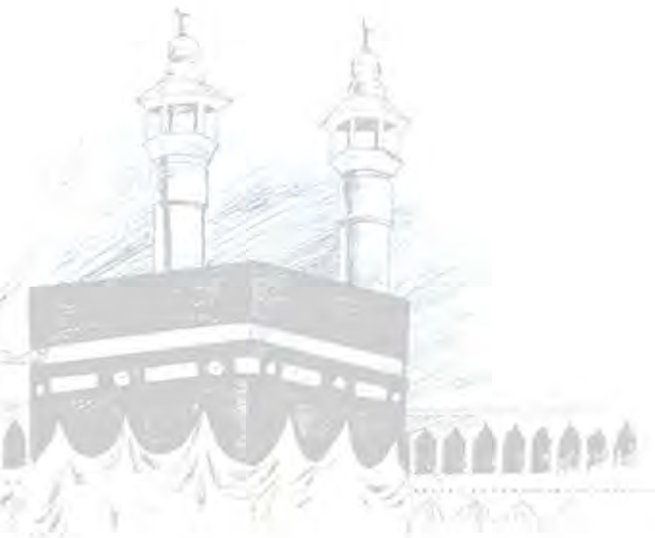
- في منزل الوحي، د. محمد حسين هيكل، الطبعة الثامنة، دار المعارف، القاهرة.
- قصص وطرائف من الحج في القرون السوالمف، محمد بن موسى الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ، دار الأندلس الخضراء، جدة.
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي الفاروقي الحنفي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.
- مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ١٤١٦هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، د.ت، دار الفكر، دمشق.
- مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، أشرف على جمعه: محمد بن سعد الشويعر، ١٤٢٠هـ، دار القاسم للنشر، الرياض.
- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السلیمان، الطبعة الأخيرة، ١٤١٣هـ، دار الوطن، الرياض.
- مجموعة القصائد الزهديات، أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن السلیمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، مطابع الخالد للأوفيس، الرياض.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.

- محسنون من بلدي، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، بيت الزكاة، الكويت.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المختار المصون من أعلام القرون، محمد بن حسن بن عقيل موسى، دار الأندلس الخضراء، جدة.
- المختار من الرحلات الحجازية، د. محمد بن حسن بن عقيل بن موسى الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ، دار الأندلس الخضراء، جدة.
- مختصر منهاج القاصدين، نجم الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، ١٣٩٨ هـ، مكتبة دار البيان، دمشق.
- مريون من بلدي، د. عبد المحسن عبد الله الخرافي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م، حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، الكويت.
- المستدرك على الصحيحين، ابن البيع أبو عبد الله الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط / عادل المرشد وآخرون، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

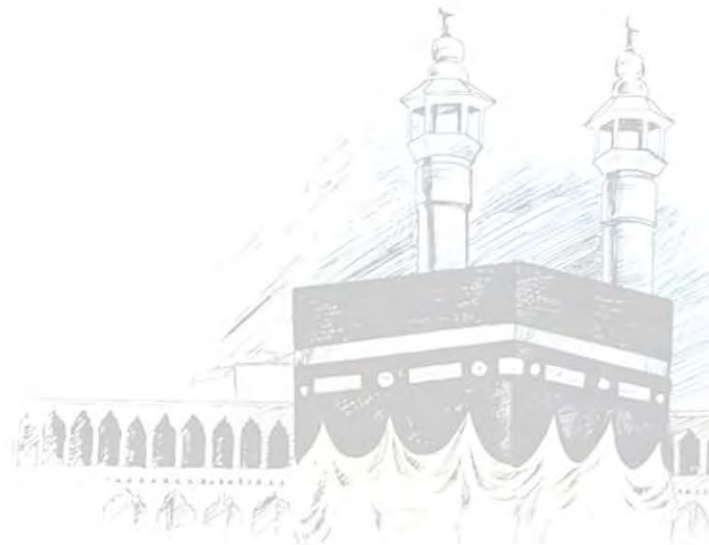


- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، دت، المكتبة العلمية، بيروت.
- المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ، مكتبة الرشد، الرياض.
- المعتمد في أصول الفقه، أبو الحسين محمد بن علي الطيب البصري، تحقيق: خليل الميس، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- معجم الرائد، جبران مسعود، الطبعة السابعة، ١٩٩٢ م، دار العلم للملايين، بيروت.
- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق بن زوير بن زاير بن حمود البلادي الحربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ١٣٩٩ هـ، دار الفكر، بيروت.
- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المغني، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، ١٣٨٨ هـ، مكتبة القاهرة، القاهرة.
- من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨ م، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.

- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، ١٤١٠هـ، مكتبة دار البيان، دمشق.
- المنهاج القويم، شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الموافقات، الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الفرناطي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، دار ابن عفا، الجيزة، مصر.
- موسوعة أحسن الكلام في الفتاوى والأحكام، عطية صقر، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ، مكتبة وهبة، القاهرة.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، من ١٤٠٤-١٤٢٧هـ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت.
- نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن حسن الإنسوي الشافعي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ١٣٩٩هـ، المكتبة العلمية، بيروت.



مَسْجِدُ مُحَمَّدٍ ﷺ



## حكاية الكتاب

إن من رحمة الله تعالى ولطفه أن يهيئ للخير أسباباً، وإن من النعمة أن يهدي الله تعالى عباده إلى استخلاص النفع من حوادث عارضة، فتكون سبباً لابتكار مفيد ينفع فيه المبتكر نفسه وربما تعدى هذا النفع إلى الغير؛ فكم هو جميل أن تستحيل الأحداث العابرة إلى محفزات على الإبداع وإنجاز جديد، وكما قال الشافعي رحمه الله تعالى : " اغتنموا الفرص فإنها خلس أو غصص " ( أي إما أن تنتهز سريعاً أو تكون غصة من الندم لفواتها )، وقد يسر الله تعالى لي حج بيته الكريم، ووفقني إلى أن أظفر بذلك الشرف، وكما هو معلوم؛ فإن السفر من مواطن تزاحم التجارب واكتساب الخبرات، وأيضا كنز من الأحداث واللطائف التي تراكمت في الذاكرة، عايشت بعضها، وسمعت أو قرأت بعضها الآخر، فعزمت على جمع ما تناثر منها في قالب متكامل يجمع النكتة مثل الطرفة واللطيفة والفائدة، فأهديها للقارئ الكريم كي ينتفع بها كما انتفعت بحمد الله تعالى وتوفيقه، ويبدأ من حيث انتهيت، وقد أثبت مبدأها وسبب تأليف هذا الكتاب وهو « حمامة عرفات » التي فصلت حكايتي معها في صفحة ١٣ من هذا الكتاب .

وكما ترى بين يديك عزيزي القارئ الكريم، ها قد يسر الله تعالى إخراجها، فالحمد لله تعالى على فضله، ولعلنا هنا قد قدمنا جوانب من فقه الحج والعمرة ومواعظهما ولكن بأسلوب جديد يجعل الطرفة والنكتة والغرابية مدخلاً له، وهو كفيل بتقديم إضافة جديدة إلى المكتبة الإسلامية ضمن رصيد المصنفات المختصة بالحج والعمرة وسائر مسائلهما، كما أنني قمت باختيار عنوان الكتاب بشكل يجذب الخاصة من أهل العلم والعامّة على السواء، وذلك بشقّيّة : العلمي الجاد، و الترويحي المازح .

ونسأل الله تعالى أن نكون قد أصبنا الأجرين: أجر الاجتهاد وأجر الصواب.

## والحمد لله رب العالمين



بيت التمويل الكويتي  
Kuwait Finance House



[www.ajkharafi.com](http://www.ajkharafi.com)

✉ [ajalkharafy@gmail.com](mailto:ajalkharafy@gmail.com)

▶ د عبدالمحسن الخرافي

📞 00965- 51199999